جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية

مجلة الإناسة وعلوم المجتمع

دورية سداسية دولية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية

الترقيم الدولي: ISSN 2588 - 1639

المدير الشرفي للمجلة	الأستاذ الدكتور بداري كمال، مدير الجامعة
مدير المجلة	الأستاذ الدكتور مختار رحاب
رئيس هيئة التحرير	الدكتور عبد الناصر عزوز

أعضاء هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور: رشيد بوسعادة

الدكتور: الدراجي زروخي

الدكتور: محمد السعيد قاصري

الدكتور: علي دربالي

الدكتور: وهيبة زلاقي

الأستاذ الدكتور: خليفة عبد القادر

الدكتور: درنوني سليم

الهيئة الاستشارية العلمية للمجلة

أ.د. الهاشمي لوكيا	جامعة قسنطينة3
أ.د. إسماعيل زروخي	جامعة قسنطينة3
أ.د. صالح فيلالي	جامعة الشارقة
أ.د. محمد الدقس	جامعة عمان الأردن
أ.د. علي محمد المكاوي	جامعة القاهرة
أ.د. رشيد بوسعادة	جامعة الجزائر2
أ.د. ميلود سفاري	جامعة سطيف2
أ.د. مختار رحاب	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
أ.د. عبد العالي دبلة	جامعة بسكرة
أ.د. عبد الرحمن برقوق	جامعة بسكرة
د. عبد الناصر عزوز	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. جلول مقورة	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. حامد المنجي	جامعة قفصة، تونس
د. سامية بن عمر	جامعة بسكرة
د. عبيدة صبطي	جامعة بسكرة
د. علي دربالي	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. جغلولي يوسف	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. محمد سفيان بداوي	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. حسنين توفيق إبراهيم	جامعة زايد الإمارات العربية المتحدة
د. مريم بوزيد سبابو	المركز الوطني للبحث CNRPH
د.محمد سليمان شناق	جامعة اليرموك، الأردن
د. عمر بوسكرة	جامعة ابن خلدون، تيارت
د. جمال بن خالد	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. نايف عمار الدوسري	جامعة سلمان بن عبد العزيز، السعودية
د. إحسان الديك	جامعة النجاح، فلسطين
د. سعيد قافيتي	جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب
د. وهيبة زلاقي	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. عبد الكريم حمو	المركز الوطني للبحث وهران CRASC
د. بتقة ليلى	جامعة محمد بوضياف، المسيلة

د.منصور مرقومة	جامعة مستغانم
د. عاشور علوطي	جامعة محمد بوضياف المسيلة
د. بغزو صبرينة	جامعة عباس لغرور خنشلة
د. منير قندوز	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. عبد الملك مكفس	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. الدراجي زروخي	جامعة محمد بوضياف، المسيلة
د. بوطرفة نوال	جامعة عنابة
د. الأزهر ضيف	جامعة الوادي
د. الطيب جاب الله	جامعة البويرة
د. عباس رضوان	ملحقة تلمسانCNRPH

المراجعة اللغوية

الأبحاث باللغة الفرنسية	أ. عبد الكريم زبيري
الأبحاث باللغة الانجليزية	د. مريم شباح
	د. بغزو صبرينة
	أ. سعاد جعيجع

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعكس رأي المجلة

مجلة الإناسة وعلوم المجتمع

مجلة الاناسة وعلوم المجتمع مجلة علمية دورية محكمة تعنى بنشر الأبحاث الأنتروبولوجية السوسيولوجية وكذا الدراسات الاجتماعية والإنسانية، وتقوم المجلة بنشر الأبحاث والدراسات المبتكرة ذات الأصالة العلمية في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا خصوصا، والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية عموما، وباللغات الثلاث العربية الفرنسية والانجليزية.

رسالة المجلة:

لقد انشغل الإنسان منذ قديم الزمان بمحاولة فهم ما يدور حوله من الظواهر الطبيعية والكونية التي يعتبر جزءا منها، بل يشكل مركز هذا الكون، كما سعى الإنسان كذلك إلى العمل على استجلاء وفهم أسرار ومكونات الطبيعة البشريةوكذا الاختلافات والفروق القائمة بين الأجناس البشرية من حيث العرق، الانتماء اللون الطبقة،العادات والتقاليد...ومن هذه الاهتمامات المختلفة الجوانب طرح الإنسان جملة من التساؤلات والإشكالات، وسعى لتقديم إجابات وحلول لها، حيث انبثق التفكير العلمي وانتظم لاحقا في فترات من تقدمه وتطوره، في شكل تقسيمات وفروع علمية عدة، نذكر من بين هذه الفروع العلمية ما اصطلح على تسميته ب"الأنثروبولوجيا" أو"علم الاناسة" أو"علم الإنسان"، وكان من أبرز معاني هذا التخصص هو ذلك العلم الشمولي الذي يدرس الإنسان دراسة شاملة ومتكاملة من حيث الجانب الفيزيقي، الثقافي، الاجتماعي والحضاري.

والعلاقة بين الانتربولوجيا وعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى متقاربة في المجالات البحثية فهناك بعض الجوانب في المجال البحثي يلتقي فيها العلمان وهما متقاربان؛ مما يؤدي كذلك إلى التقارب في بعض النتائج المتوصل إليها

والنظريات المنبثقة عن الأبحاث والدراسات المنجزة. ومن خلال هذه العلاقة القائمة بين الفرعين العلميين تم اقتراح تسمية المجلة:"الاناسة وعلوم المجتمع" ونسعى من خلالها إلى تجميع الطاقات الجزائرية البحثية، لتشجيعها وتحفيزها على القيام بالأبحاث العلمية بما يخدم المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى الانفتاح على الكوادر الأكاديمية في العالم الغربي والعربي في إطار الاستفادات والشراكات البحثية العلمية. بما ينمي ويخدم البحث العلمي والجامعة الجزائرية. كما نسعى من خلال المجلة إلى ايصال وتحقيق جملة من الرسائل نذكرها على سبيل الاختصار:

دراسة الثقافة الجزائرية، وكيفيات تشكل البنى الاجتماعية، والأنساق الثقافية وما هي أبرز عناصر الوحدة والتجانس الحاصلة في الجانب الثقافي والاجتماعي لفهم التفاعلات الاجتماعية والثقافية الحاصلة، كما سنعمل على الكشف عن عوامل ومظاهر التغير الثقافي والاجتماعي الذي تعرض له البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري بصفة عامة، وعلى وجه الخصوص التركيز على دراسة التغير الذي طرأ على منظومة القيم بأنواعها المختلفة، تحديد منطلقات إستراتيجية للمحافظة على القيم الإيجابية والأصيلة في المجتمع الجزائرية لاسيما منها الوظيفية،التوصل صياغة مقاربة نظرية وخطوات منهجية لتحليل الواقع الاجتماعي من خلال تحديد مختلف المشكلات والعوائق التي تعرقل مسارالحياة الاجتماعية وسبل معالجة مختلف المشكلات الاجتماعيةالتي يعرفها المجتمع التتبع العلمي لأبرزالتطورات الحاصلة في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية.

أهداف المجلة:

- تسعى المجلة في ظل التطورات الراهنة التي تعرفها الساحة العلمية إلى تفعيل الاستثمار في الرأسمال البشري من خلال الكتابات والأبحاث المتخصصة في علم الإنسان وعلوم المجتمع.

- المساهمة في تنشيط مؤسسات البحث العلمي بما يخدم التنمية المجتمعية الشاملة للمجتمع الجزائري.
- المساهمة في إيجاد قاعدة بيانات وإحصائيات حول الحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري والتعريف بها.
- المساهمة من خلال الأبحاث المنجزة في ايجاد رؤى وخطط علمية تساهم في خدمة المجتمع الجزائري خصوصا في ظل تفشي العديد من الأمراض الاجتماعية.
- المساهمة من خلال الأبحاث المنجزة في مجال الانسانيات والمجتمع في الحفاظ على الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية.
- المساهمة في دراسة المجال الاجتماعي والثقافي بما يخدم المجتمع الجزائري محليا وفي دائرة العالم العربي وكذا انتمائنا الحضاري، ودائرة التعاطي العالمي خصوصا في زمن العولمة.

قيم المجلة:

من جملة القيم التي تعتمدها المجلة:

- ضرورة الالتزام بالنزاهة والتمسك بأخلاقيات البحث العلمي.
- الموضوعية في الطرح والدقة في تناول المسائل العلمية.
- التمسك بمعايير الجودة والريادة العلمية.

شروط النشر:

وتقوم المجلة بنشر الأبحاث والدراسات المبتكرة ذات الأصالة العلمية في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا خصوصا، والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية عموما، باللغات الثلاث العربية الفرنسية والانجليزية. وفق شروط النشر الآتية:

- أن يكون البحث المقدم يتصف بالدقة والعمق والأصالة العلمية. بإتباع الأصول العلمية في انجاز الأبحاث والدراسات خصوصا ما تعلق بإثبات المصادر والمراجع وكذا قواعد التوثيق والتهميش والاقتباس.

- ألا يكون البحث المقدم قد نشر أو أرسل للنشر إلى جهة أخرى أو تم تقديمه في مناسبات علمية.
- تقديم ملخص للبحث المرسل لا يتجاوز عشرة أسطر مكتوب باللغة العربية، بالإضافة إلى تقديمه **بلغتين مغايرتين** للغة المقال وعنوانه.
- ألا يقل المقال عن 15 صفحة ولا يزيد عن 25 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والملاحق.
- تكتب المادة العلمية للمقال المقدم للمجلة بخط SimplifiedArabicرقم 12 مسافة 1.00 بين الأسطر على أن تكون العناوين الرئيسية Arabic Simplified Gras رقم14، وتكتب المقالات المقدمة باللغة الفرنسية بخط Times New Roman رقم 12.
- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية Not de fin. على أن تكون في نهاية المقال.
- حدد هوامش الصفحات بالمقاسات الآتية أعلى وأسفل 2.5، أيمن 3 سم، أيسر 2,5، رأس الورقة2 وأسفل الورقة 2، على أن يكون حجم الورقة العادي A4.
- يرسل البحث عبر البريد الالكتروني للمجلة. مرفوقا بالسيرة الذاتية المختصرة للباحث تتضمن درجته العلمية، الوظيفة الحالية، العنوان " المهني+ الشخصي" العادي والالكتروني+ رقم الهاتف الثابت والمحمول.
- تخضع البحوث المرسلة للتحكيم السري المحكم.
- المقالات التي تقبل وتنشر بالمجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها.
- لا يمكن إعادة إرسال المقالات التي لم تقبل بعد نتائج التحكيم.

ترسل الأعمال عبر البريد التالي:

مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية- جامعة المسيلة طريق اشبيلية ص ب 166 المسيلة- الجمهورية الجزائرية

العنوان الالكتروني الخاص بالمجلة:

revueanthropologiesociologie@gmail.com

كلمة العدد:

كلمة مدير المجلة:

احتوت المجلة في عددها " المصباح" الثالث على تنوع وثراء من الاسهامات العلمية المتنوعة نوعا وكيفا، ويعود هذا التنوع في أحد عوامله الى طبيعة المجلة وأهدافها التي وضعت من أجلها، كما يرجع الأمر الى تكاتف جهود الباحثين واقامتهم لجسور ما بين تخصصية في المجال المعرفي والعلمي، هذا بالإضافة الى الاعتماد على آليات وطرائق علمية ذات أهمية بالغة في اعداد أباحثهم ومقالاتهم سواء في الحقل السوسيولوجي أو الأنثروبولوجي أو الفلسفي أو التاريخي...، ومما جعل من تناولاتهم وتحليلاتهم ذات قيمة علمية.

لقد حظيت المجلة في عددها الثالث بمجموعة من المقالات ذات التناول الأنثروبولوجي والسوسيولوجي على غرار المقال الذي تقدم به الأستاذ الدكتور المحترم حسان الجيلالي –جامعة بسكرة- حول الأنثروبولوجيا، الاستعمار، وثقافة الفقر حوار مع أستاذ الانثربولوجية الدكتور محمد حسن الغامري، كما تطرق الدكتور عباس رضوان من ملحقة CNRPH بتلمسان الى موضوع الإرث الثقافي اللامادي المورسكي بمنطقة تلمسان، وتناول أ.د/ لعلى بوكميش، رفقة الدكتورة باشيخ أسماء من جامعة أدرار موضوع الزاوية وتحدي المرجعيات في المجتمع الجزائري المعاصر ، وجاء مقال حول القيم الأخلاقية والخطاب الصوفي. من إعداد الدكتور: الطيب جاب الله-جامعة البويرة-، والأستاذة بلعسل خديجة-جامعة الجزائر2.أبو القاسم سعد الله. كما تناول طالب الدكتوراه الطور الثالث سليم سهلي من جامعة العربي التبسي موضوعا حول امتهان الجسد الأنثوي ، الجسد الايروتيكي أنموذجا دراسة أنثروبولوجية .

أما الإسهامات الثانية فجاءت حول المؤسسات حيث تناولت الدكتورتان :بلقمري ناهد، و مشري سعاد موضوع إدارة الأزمات وإشكالية العقلانية في المؤسسة الجزائرية . والمساهمة الثانية في هذا المضمار تقدم بها الدكتور صالح حسين .وكانت حول الأدوار الجديدة للأستاذ الجامعي في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، وتطرقت باحثة الدكتوراه بن عمر فاطنة رفقة باحثة الدكتوراه: كزيز آمال-جامعة ورقلة- في مقال إلى نبذة تاريخية لماهية المؤسسة الأرشيفية ودور الموظف الأرشيفي بين الواقع والمأمول

باقي المساهمات العلمية الأخرى جاءت متنوعة نذكر منها مقالا حول الضوابط الأخلاقية للبحث العلمي: قراءة تحليلية من منظور إسلامي الأستاذة . كزيز صباح-جامعة بسكرة- بالاشتراك مع أ. كزيز نسرين-جامعة ورقلة-، كما قدم الأستاذ عبد الرحمن بوقرنوس –جامعة أم البواقي- مقالا: حول تولي المرأة رئاسة الجمهورية في ضوء الفقه الإسلامي و المؤسسات الدستورية المعاصرة ، وفي السياق نفسه بخصوص الأبحاث حول المرأة قدم الأستاذ بشيري حمزة. أستاذ بحث "أ"، دائم بمركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران. مقالا بعنوان: الصورة النّمطية للمرأة الجزائرية في أعمال الكاريكاتير.

ختاما لهذه الكلمة يمكن القول أن العدد الثالث من المجلة قد لبى طموحات القائمين على المجلة في أبرز أهدافها المسطرة وهو الوصول من خلال اعتماد عمليات التحكيم العلمي وفق القواعد الرصينة الى اخراج عدد المجلة الثالث في ثوب قشيب، يكتسي حلة علمية أكاديمية، وبخطى ثابتة وواثقة نحو تحقيق مستويات أعلى من الجودة العلمية مستقبلا، وهذا من خلال تقديم المساهمات العلمية من قبل الباحثين والباحثات من داخل الجامعة الجزائرية وخارجها، وهي دعوة صريحة وصادقة تبعثها هيئة تحرير المجلة، وتفسح المجال لمشاركة كل الكفاءات التي ترفع التحدي لتقديم المزيد من الاضافات العلمية

النوعية في الأعداد القادمة ، خدمة للعلم والجامعة الجزائرية، وتدعيم مسارات البحث العلمي في وطننا الجزائر.

كلمة رئيس التحرير:

تواصل مجلة الإناسة وعلو م المجتمع التابعة لمخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية- جامعة محمد بوضياف– المسيلة. في نشر الأبحاث والدراسات العلمية في مجالات الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية بصفة عامة بشكل منتظم ودوري. وذلك بمساهمة أساتذة وباحثين وخبراء مختصون.

وقد جاء العدد الثالث من المجلة متضمن لأبحاث جادة وقيمة تتناول موضوعات وقضايا في غاية من الأهمية تستجيب لحركية المجتمع وتغيراته المختلفة في شتى المجالات الاجتماعية والثقافية والانسانية...من منظور علمي أكاديمي.

ومن دون شك أن الدراسات والأبحاث العلمية الحديثة تتجه إلى محاولة الأخذ بالروافد العلمية المختلفة التي تشكل حلقات مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا لاينفك، وهي ضرورة علمية أملتها حاجة المجتمعات الانسانية لذلك، حيث أن تعقد المجتمع وتنوع ظاهراته التي تنبع من مصادر توجد في مستويات أخرى من العلوم الاجتماعية أصبحت حقيقة علمية ملاحظة من خلال استقراء تطور وتغير مسارات واتجاهات الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع سواء من الناحية المنهجية أو العلمية استجابة لحاجات المجتمع ومتطباته، وفي هذا السياق تعطي المجلة عناية فائقة لهذا التوجه وتستمد فلسفتها منه.

وفي الأخير تأمل إدارة المخبر في أن يجد القارئ في مضمون هذا العدد ما يفيده ويكون بمثابة إضافة علمية ومعرفية.

فهرس العدد

كلمة مدير المجلة - كلمة رئيس التحرير	ص9 - ص11
الأنثروبولوجيا، الإستعمار، وثقافة الفقر حوار مع استاذ الانثربولوجية الدكتور محمد حسن الغامري اجراه البروفيسور حسان الجيلاني	ص14- ص27
الإرث الثقافي اللامادي المورسكي بمنطقة تلمسان د: عباس رضوان	ص28- ص50
الزاوية وتحدي المرجعيات في المجتمع الجزائري المعاصر أ.د/ لعلى بوكميش (نائب مدير جامعة أدرار- الجزائر) . د/ باشيخ أسماء (جامعة أدرار- الجزائر)	ص51- ص71
الأدوار الجديدة للأستاذ الجامعي في الجزائر في ظل التحديات الراهنة.دراسة ميدانية بمعهد علوم وتقنيات نشاطات التربية البدنية والرياضية بجامعة المسيلة الدكتور: صالح حسين	ص72- ص103
إدارة الأزمات وإشكالية العقلانية في المؤسسة الجزائرية . د/ بلقمري ناهد د/ مشري سعاد	ص104- ص130
امتهان الجسد الأنثوي في المجتمع التبسي الجسد الايروتيكي أنموذجا دراسة أنثروبولوجية الأستاذ: سليم سهلي	ص131- ص178

الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي: قراءة تحليلية من منظور اسلامي أ/ كـزيز صباح - جامعة محمد خيضر بسكرة أ/ كـزيز نسرين- جامعة زيان عاشور الجلفة	ص179- ص207
نبـذة تاريخيـة لماهيـة المؤسسـة الأرشـيفية ودور الموظف الأرشيفي بين الواقع والمأمول باحثة الدكتوراه بن عمر فاطنة جامعة ورقلة باحثة الدكتوراه: كزيز آمال جامعة ورقلة	ص208- ص233
القيم الأخلاقية والخطاب الصوفي د/ جاب الله طيب رئيس المجلس العلمي كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة البويرة أ/ بلعسل خديجة الجزائر 02 ابوقاسم سعد الله	ص234- ص281
تولي المرأة رئاسة الجمهورية في ضوء الفقه الإسلامي و المؤسسات الدستورية المعاصرة عبد الرحمان بوقرنوس	ص 282- ص313
الصـورة النّمطيـة للمـرأة الجزائريـة في أعمـال الكاريكاتير "أيوب" و"ديلام". أ/ بشـيري حمـزة. أسـتاذ بحـث "أ"، دائـم بمركـز البحـث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران	ص314-335

الأنثروبولوجيا، الإستعمار، وثقافة الفقر.

حوار مع استاذ الانثربولوجية
الدكتور محمد حسن الغامري
اجراه البروفيسور حسان الجيلاني

الملخص:

حوار أجري مع أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة قسنطينة الدكتور محمد حسن الغامري تناولنا فيه مختلف القضايا التي تعالجها الأنثروبولوجيا كثقافة الفقر، الاستعمار والتباين بين السلالات البشرية. وهو يركز على نشاط الإنسان الاقتصادي والسياسي والديني والأسري، ولكل نشاط من هذه الأنشطة تخصص في الأنثروبولوجيا .

Anglais:

A dialogue with the Professor of Anthropologyat the University of Constantine, Dr. Muhammad Hassen Al-Ghamri, in whichwediscussed the various issues addressed by anthropology as a culture of poverty, colonialism and the difference betweenhuman races. It focuses on several activities such as human economic, political, religious and family, and eachactivity has it'shown specificfield in the anthropology science.

français:

Un dialogue avec le professeur d'anthropologie à l'Université de Constantine, le Dr Mohamed Hassan Al-Ghamri, dans lequel nous avons discuté des différentes questions abordées par l'anthropologie en tant que culture de pauvreté, de

colonisation et de différenciation entre les races humaines. Il se concentre sur les activités de l'humain comme l'économiques, politiques, religieuses et familiales, chacune de ces activités étant consacrée à un domain de l'anthropologie.

قبل البدء

هذا الحوار يعتبر من اقدم الحوارات التي تطلعنا على حالة الانثربولوجية في الجامعات الجزائرية في عقد الثمانينات اجراه الاستاذ الدكتور حسان الجيلاني مع البروفيسور محمد حسن الغامري احد اعمدة الانثربولولجيا في الوطن العربي الذي كان استاذا بمعهد العلوم الإجتماعية بجامعة قسنطينة وتم نشر الحوار بجريدة النصر المؤرخة يوم الاحد 17 نوفمبر 1985، ونظرا لأهميته ها نحن نعيد نشره.

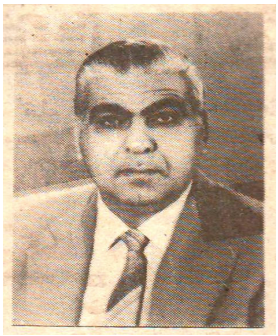

كان معهد العلوم الاجتماعية خلية حيّة، يؤدي دورا كبيرا في إعداد وتكوين الطلاب، ويحتوي على ثلاثة أقسام أساسية هي:
قسم علم الإجتماع، والتاريخ، والفلسفة، أما قسم علم النفس فقد اختار لنفسه الإستقلالية.
وكان قسم علم الإجتماع الذي تداول على ترأسه الشيخ الدكتور "العيد مسعود"، والدكتور "فيلالي صالح" بعد ذلك، يعد صرحا للعلم، ومنه تخرجت كل أجيال علم الإجتماع على مستوى الشرق الجزائري، وقد تدعّم بعدة أساتذة أكفّاء منهم الدائمون، وأكثرهم من الزائرين، منهم "محمد السويدي"، و"محمد عودة"، ومحمد الدقس"، وغيرهم الكثير.

وفي تلك السنة 1985/84م تعاقد الدكتور "محمد حسن غامري" مع الجامعة، والتحق بقسم علم الإجتماع لتدريس مادة الأنثروبولوجيا، والمنهجية، وغيرها، مع العلم أن الجامعة في تلك الفترة قد شهدت تقليص عدد الأساتذة الأجانب ليحل محلهم الجزائريون، ولعله الأستاذ الوحيد العربي بقسم علم الإجتماع بعد أن رحل أغلب الأساتذة الأجانب.

والحقيقة أن الأستاذ "محمد حسن غامري" كان من خيرة الأساتذة المصريين الذين تعاقدت معهم الجامعة لكفاءته، وحسن سيرته، وأخلاقه، وتوغله في ميدان اختصاصه وهو الأنثروبولوجيا، لذلك كان الأستاذ منهمكا في التدريس، والإشراف على طلبة دبلوم الدراسات المعمّقة والماجستير الخ، فليس لديه وقت حتى للتنفس والراحة.

كان الدكتور "حسن" يقيم بنفس الحي الذي أقيم فيه بقسنطينة، والذي يسمى رسميا بحي (ساقية سيدي يوسف) وشعبيا بحي (لابوم) على اسم الشركة الألمانية التي قامت ببنائه، وكنت أتطفّل عليه في شقته المتواضعة التي يقيم فيها لوحده، وتجدني من حين لآخر، وفي الأمسيات خاصة أقتحم عليه شقته، فكان يستقبلني بحرارة رغم أشغاله، ويخصص لي وقتا للحديث ومناقشة القضايا المتعلقة بالسوسيولوجيا، والأبحاث، والدراسات الأنثروبولوجية.

وكان الأستاذ يدخن بشراهة، فتجد غرف البيت مليئة بالدخان الكثيف، ولعله كان يسلّي نفسه وهو يعيش وحيدا، بعيدا عن جو العائلة والأصدقاء، ماعدا تلك المكالمات الشحيحة التي تفرج عليه في بعض الأحيان محنة الغربة.

كان "محمد حسن غامري" فارع الطول، أسمر البشرة، ممتلئ الجسم، وكعادة المصريين يرحب بك، ويبتسم في وجهك حتى ولو كان يحقد عليك في داخله.

لذلك كان الأستاذ "حسن" يستقبلني في مدخل بيته المليء بالدخان، ونظل في حكاياتنا ودردشتنا، وقد أخرجته من الروتين والرتابة التي كانت تطبع أيامه.

ومن الجدير بالذكر أنه بعد أربع أو خمس سنوات من العطاء بقسم علم الإجتماع، غادرنا الأستاذ في اتجاه وطنه مصر، وقد أوصاني خيرا بكتبه التي أودعها بديوان المطبوعات الجامعية لأكمل تصحيحها، والإشراف عليها إلى غاية نشرها، وهو ما تحقق بالفعل، حيث تابعت كتابه – مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة – إلى أن تم طبعه ونشره، وقد منحني ديوان المطبوعات عشر نسخ للمؤلف، ولم أستطع إرسالها له إلى مصر لأنه لم يترك لي عنوانه، ولا حتى رقم هاتفه، إذ أنه سافر على عجل.

وأعتقد أنه مباشرة دخل المستشفى لإصابته بسرطان الرئة الذي لم يمهله طويلا فانتقل إلى رحمة الله.

ونظرا لأهمية الحوار والمعلومات الواردة فيه، ها أنا أنقله لكم كما جرى، وكما نُشر بجريدة النصر حينها، فإليكموه:

الدكتور "محمد حسن غامري" أحد المساهمين برصيد ثقافي وعلمي متميز في مجال الأنثروبولوجيا الإجتماعية، وله أربعة كتب مطبوعة في هذا المجال، وهي على التوالي:

– مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة.

– المناهج الأنثروبولوجية.

– الأنثروبولوجيا الحضرية.

– ثقافة الفقر (دراسة في أنثروبولوجيا التنمية الحضرية).

بالإضافة إلى مساهمته بالعديد من المقالات والأبحاث في مختلف المجلات، والدوريات العلمية المتخصّصة.

وقد حلّ هذه السنة بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، كأستاذ محاضر في مادة اختصاصه الأنثروبولوجيا، كما أنه يشرف على بعض طلاب الدراسات العليا.

ونظرا لأهمية مادة الأنثروبولوجيا كعلم له معالمه، ومناهجه، ومميزاته، وأدوات بحثه، وخاصة بالنسبة لمجتمعنا الجزائري الذي هو في حاجة ماسّة إلى مثل هذا الاختصاص، للاستفادة منه في مسيرتنا التنموية الشاملة، كان لنا لقاء مع الدكتور "محمد حسن غامري".

س: ارتبط مفهوم الأنثرويولوجيا بالمجتمعات البدائية من جهة، ويعامل الحركات الإستعمارية في بداية القرن التاسع عشر من جهة أخرى، فهل علم الأنثرويولوجيا يقتصر بحثه عن المجتمعات البدائية القديمة فحسب...؟ وهل فعلا أنشئ لخدمة أغراض إستعمارية بحتة...؟

ج: يقتضي قبل أن نتطرّق إلى الإجابة أن نوضح كلمة أنثروبولوجي، فهذه الكلمة تتكون من شقّين، الأول وهو أنثروبوس وهي كلمة لاتينية، وتعني الإنسان، والثاني لوجي وتعني العلم، والمصطلح يعني – علم الإنسان – أي العلم الذي يدرس الإنسان، ونظرا لأن الإنسان كائن إجتماعي يعيش في شكل جماعات، يمارس خلالها العديد من الأنشطة الإجتماعية مثل النشاط الإقتصادي، والسياسي، والديني، والعائلي، كل

هذه الأنشطة يدرسها أحد فروع الأنثروبولوجيا، وهو الأنثروبولوجيا الاجتماعية، كما أن الإنسان هو الكائن البيولوجي الفريد الذي له لغة، وهذه اللغة تعبر عن فكر، وينعكس هذا الفكر على البيئة الخارجية التي يعيش فيها على شكل ما يعرف بالثقافة، فالإنسان له حاجات بيولوجية يريد إشباعها، ومن ثمة لابد أن يشبع هذه الحاجات من خلال مؤسسات تنظيمية تتشكل داخل المجتمع، كما أن له منتجات مادية تبدأ من أبسط الأشكال إلى الأشكال المعقّدة، وهذا ما يطلق عليه بالثقافة المادية.

وأيضا الإنسان هو الكائن البيولوجي الوحيد الذي له قيم، وعادات، وتقاليد، وأعراف، وقوانين، وهذا ما يعرف بالثقافة اللاّمادية، وتشكل الثقافة المادية واللاّمادية الجانب الثقافي عند الإنسان، ويدرس هذا الموضوع أحد فروع الأنثروبولوجيا أيضا، بدراسة الإنسان ككائن فيزيقي من حيث تكوينه البيولوجي، والتغيرات الوراثية التي تحدث داخل جسم الإنسان.

كما تدرس أيضا التباين الذي يظهر بين السلالات البشرية، وتهتم بدراسة هذا الجانب الأنثروبولوجيا الفيزيقية، أي أن الأنثروبولوجيا لها فروع رئيسية تتمثل في الأنثروبولوجيا الإجتماعية، والفيزيقية، والثقافية، وكل فرع من هذه الفروع الثلاثة ينقسم إلى تخصصات دقيقة لا يسع المجال لذكرها كلها.

بعد هذا التقديم المختصر لتعريف علم الأنثروبولوجيا، نعود إلى القضايا التي وردت في السؤال، والقضية الأولى هي ارتباط الأنثروبولوجيا بالمجتمعات البدائية.

إن كلمة مجتمعات بدائية هو تعبير مجازي، لأننا لو ننظر إلى هذه المجتمعات من خلال مظاهر الثقافة المادية التي تستخدمها، وكذلك بساطة النظم الإجتماعية والثقافية التي تتواجد عندهم، وكما يقول "**ليفي شتراوس**" كان العقل البشري ثابت وكان ثمّة طبيعة بشرية واحدة تجمع بين كل من العقلية البدائية والعقلية العلمية، أي في صورتها الحديثة المتطورة، وقد توصل "**ليفي شتراوس**" من خلال دراساته إلى أن ما نسميه بالمجتمعات البدائية هي في الحقيقة مجتمعات غاية في التعقيد، ومن جانب آخر فإن الإتجاه الذي يعتقد أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة المجتمعات البدائية فقط يعتمد على أساس الفترة التاريخية التي ركّز فيها الأنثروبولوجيون على دراسة هذه المجتمعات بغرض التعرّف عن الأشكال الأولى للنظم الإجتماعية في صورتها البسيطة، متأثرين بالنظرية التطورية التي سادت القرن التاسع عشر.

ومن جانب آخر لاحظ الأنثروبولوجيون الأوائل أن الاحتكاك الثقافي بين ثقافات المجتمعات المتقدمة، والمجتمعات التي يطلق عليها بدائية، أدّى إلى تغيّر الأبنية الإجتماعية والثقافية للمجتمعات البدائية، مما اقتضى من الأنثروبولوجي سرعة إنجاز الدراسات الأنثروبولوجية على المجتمعات البدائية خشية اندثارها.

أما عن القضية الثانية وهي هل الأنثروبولوجيا نشأت لخدمة أغراض استعمارية خاصة...؟ ففي حقيقة الأمر أن رجال الإدارة والسياسة في الدول الغربية استعانوا ببعض علماء الأنثروبولوجيا للتعرف على طبيعة المجتمعات التي كانت تخضع للنفوذ الإستعماري حتى يسهل فرض السيطرة السياسية والعسكرية على هذه المجتمعات، وقد

ظهر ذلك بوضوح في مجتمعات إفريقيا، وأستراليا، وجنوب آسيا، وبعض المجتمعات العربية، ولكن يجب أن نفرّق بين المجالات النظرية للعلم وأهدافها التنموية الشاملة، وبين المجالات التطبيقية التي يوظف فيها التنظير العلمي، إذ كثيرا ما نجد أن المجالات التطبيقية للعلم ترتبط بالأغراض السياسية للدول، وقد وجدت الإدارة السياسية للدول الإستعمارية أن التنظير الأنثروبولوجي يمكن توظيفه لمعرفة المكونات الإجتماعية والثقافية للمجتمعات البدائية، حتى يمكن فرض إرادة الإستعمار عليها، وأدّى ذلك إلى الإعتقاد بأن الأنثروبولوجيا تخدم الأغراض الإستعمارية، وهذا لا شك مغالطة كبيرة وافتراء على علم الأنثروبولوجيا.

س: إذا كانت الأنثرويولوجيا في بداية نشأتها قد ارتبطت بالمجتمعات البدائية القديمة فهل استطاعت أن تطور مناهجها، وأساليبها في دراسة المجتمعات الحضرية...؟ وما هي الأسس التي تعتمد عليها الأنثرويولوجيا مع العلم أنك قمت بدراسة في هذا الموضوع تناولت مدينة – العين – بأبو ظبي...؟

ج: تتميز المجتمعات البسيطة بأن أبنيتها الإجتماعية صغيرة ومحدودة نسبيا، لذلك فإن الباحث الأنثروبولوجي يستخدم أساليب منهجية تتلاءم معها، مثل الملاحظة المباشرة، أو الملاحظة بالمشاركة، وإجراء المقابلات، كما يتطلب من الباحث أن يقضي في مجتمع البحث فترة زمنية طويلة عادة لا تقل عن سنة، حتى يتسنّى له الجزء الثاني ملاحظة الأحداث الإجتماعية التي تمارس على مدار العام، وفي المناسبات المختلفة.

وعندما اتجهت الأنثروبولوجيا إلى دراسة المجالات الحضرية، كان عليها أن تتطور في الأساليب المنهجية حتى تتلاءم مع طبيعة التعقيد الحضري الذي تتميز به المجتمعات الحضرية.

س: هل هناك إسهامات من طرف الباحثين العرب في الدراسات الأنثروبولوجية...؟ وما هو تقييمكم لهذه الإسهامات...؟

ج: نعم، يوجد في مصر كثير من الباحثين الأنثروبولوجيين، كما يوجد في العراق، وسوريا، والمغرب، وليبيا، والجزائر، ومعظم هؤلاء الباحثين تخرجوا من جامعة الإسكندرية قسم الأنثروبولوجيا، ويعتبر الأستاذ الدكتور "أحمد أبو زيد" رائد الفكر الأنثروبولوجي في مصر والعالم العربي، وقد تخرّج على يديه معظم الباحثين الأنثروبولوجيين العرب، كما أن إسهامات الدكتور "محمد الجوهري" إيجابية وجيّدة، أما بالنسبة لإسهامات هؤلاء الباحثين فقد تناولوا الكثير من المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية بالأبحاث الأنثروبولوجية، ويلاحظ هنا أن نتائج تقارير هذه الأبحاث قد استفاد منها رجال السياسة الإجتماعية والتخطيط، لأنها تقدم لهم الظواهر الإجتماعية بصورة جزئية، وليست مجموعة الإحصائيات والأرقام المجردة، وبذلك يشعر مسؤول السياسة الإجتماعية والتخطيط أنه يعيش داخل هذا المجتمع موضوع البحث، ويعرفه تمام المعرفة، لذلك يأتي التخطيط متماشيا مع طبيعة المجتمع، وتوجد دراسة في مصر عن البناء الإجتماعي لمصنع تكرير البترول، واستخدم الباحث المنهج الأنثروبولوجي في دراسته، واستفادت إدارة المصنع من نتائج هذه الدراسة، وأحدثت تطويرا بالمصنع بناء على نتائج الدراسة.

س: التخلّف ليس مسألة ظروف قاسية يعيش تحتها المجتمع، وإنما هي سمات متأصلة في ثقافة هذا المجتمع، وتعرف هذه الحالة بثقافة الفقر، فما هي السمات والخصائص المميزة لثقافة الفقر...؟ وما علاقتها بالأنثروبولوجيا الحضرية...؟

ج: ظاهرة ثقافة الفقر ترتبط بصورة أكثر وضوحا بالمجتمعات النامية، إذ يصاحب حالة الفقر بعض الخصائص والسمات الثقافية، من أهمها انتشار الأمية، وعدم المشاركة في النقابات المهنية، وعدم المشاركة السياسية، وعدم الإستجابة للتنظيمات الرسمية للضبط، والإحساس بالشك والريبة نحو الجهات الرسمية، وعدم تطابق السلوك الواقعي مع السلوك المثالي، والشعور باللاّمبالاة، وانتشار الحلول المحلية المؤقتة، والإستجابة السريعة للمواقف، وعدم القدرة على تأجيل إشباع الدوافع الفردية، وعدم القدرة على التخطيط للمستقبل، والإحساس بالإستسلام للجبرية.

وتتأصل هذه السمات الثقافية للفقر في شخصية الإنسان، لذلك تنعكس آثارها على المؤسسات المهنية، والإجتماعية، وتعمل على إعاقة الإنتاج، وتجعل العامل يميل إلى البيروقراطية والروتين في إنجاز الأعمال، لأنه يفتقد الإحساس بالإنتماء.

ويمكن التخلص من سمات ثقافة الفقر برفع مستوى المعيشة، وتحسين الدخل، وعندما يتكون عند الشخص الفقير وعيا اجتماعيا، ويصبح عضوا نشطا في المنظمات، يرتبط فكريا بالأحداث العالمية عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، فإنه في هذه الحال لا يشكل جزءا من ثقافة الفقر على الرغم من أنه يعاني من الفقر اقتصاديا، لذلك يجب

على مسؤول السياسة الإجتماعية والتخطيط أن يخرج الإنسان ليس فقط من الدائرة الإقتصادية المحدودة، وإنما عليه أيضا أن يخرجه إجتماعيا إلى دائرة الأحداث العالمية، وبذلك تتسع إدراكاته المعرفية من خلال تفاعله مع الأحداث العالمية.

أما عن علاقة ثقافة الفقر بالأنثروبولوجيا الحضرية، فإن الموضوعات التي تهتم بها هي دراسة المناطق الحضرية، كما تهتم بدراسة عمليات التنمية الحضرية.

س: بتركيزكم على ثقافة الفقر تهملون جانبين أساسين هما المرض والجهل، فهل هما نتيجة لثقافة الفقر...؟ أم أنهما من بين أسبابها الرئيسية...؟ وكيف ترى الدراسات الأنثروبولوجية الحضرية لهذا الثالوث المتخلف – الفقر، الجهل، المرض – من وجهة النظر العلمية طبعا...؟

ج: الواقع أن الفقر والمرض والجهل هم من المظاهر المصاحبة لثقافة الفقر أولا، فالفقر لا يميل إلى التخطيط للمستقبل، لأنه يعيش في حالة إحباط اجتماعي ونفسي، لذلك لا يتجه للتعليم، لأن نتائج التعليم لا تظهر إلا في المستقبل البعيد، وهو عادة يفضل الإشباع المؤقت بدلا من الإنتظار لسنوات طويلة.

أما من ناحية المرض فإن الظروف الفيزيقية التي يعيش فيها الفقير تساعد على انتشار المرض، والمؤثر لذلك ماذا ننتظر من إنسان يعيش في مساكن من القصدير أو الأكواخ، لا تهوية، ولا تدفئة، ولا مياه صالحة للشرب، لا شك أنه سوف يتعرض لمختلف الأمراض.

س: هل استطاعت الأنثروبولوجيا الحديثة أن تخلق لنفسها مناهج مستقلة...؟ أم أنها مازالت تستعمل مناهج بعض العلوم الأخرى...؟

ج: الأنثروبولوجيا كعلم يستخدم أساليب منهجية متعدّدة، والمهم في هذا هو قدرة الباحث الأنثروبولوجي على اختيار الأسلوب المنهجي الذي يتلاءم مع موضوع البحث، والمجال الذي يجري فيه البحث.

والبحث الأنثروبولوجي يعتبر – فن – يتطلّب من الباحث أن تكون لديه صفات شخصية معيّنة، منها القدرة على التفاعل مع أعضاء مجتمع البحث، وعليه أن يقنع أعضاء المجتمع بشخصيته أولا حتى يكتسب ثقتهم، وثانيا يجب أن تكون لديه قدرة على الخوض فيها وراء المظاهر السلوكية التي يلاحظها في المجتمع، ومن هنا فإنه لا يمكن لأي شخص أن يكون باحثا أنثروبولوجيا ناجحا مهما كانت درجة استيعابه للتنظير الأنثروبولوجي.

س: هل سبق أن اطلعت على البحوث والدراسات التي تتناول المجتمع الجزائري قبل مجيئك إليه...؟

ج: للأسف الشديد لم أحظ بهذا المكسب العلمي، ولكن الذي لاحظته أن معظم الباحثين الجزائريين يتوجهون نحو البحوث السوسيولوجية، ويستخدمون الطريقة الإمبريقية بصورة فجّة أفقدت الظاهرة الإجتماعية محتواها الإجتماعي والثقافي، وتحولت إلى كمّ متراكم من الإحصائيات المعقّدة والأرقام، وهذا الإتجاه عامة في البحوث الإجتماعية لا يتلاءم مع طبيعة المكونات الإجتماعية للمجتمع الجزائري، إذ أن مجتمع الجزائر يحتاج إلى البحوث الأنثروبولوجية، لأن ذلك يتناسب مع المرحلة التاريخية التي يعيشها.

س: هل ما تصورته عن المجتمع الجزائري قبل مجيئك إليه كان مطابقا لما وجدته فيه...؟ أم أن الصورة تختلف عن الحقيقة...؟

ج: لقد كنت أتابع نهضة مجتمع الجزائر منذ كفاحها مع الإستعمار الفرنسي عن طريق أجهزة الإعلام المصرية، وكنت مثل بقية الزملاء نتلهّف كل صباح لسماع أخبار النضال والبطولات التي كانت تهتز لها نفوس كل المصريين، وبعد ذلك كنت أتابع التجربة الإجتماعية التي تمارسها الجزائر، ولكن لم أستطع أن أكوّن صورة حقيقية وأنا أعيش بعيدا عنها، وعندما حظيت بفرصة العمل بجامعة قسنطينة، وأصبحت الآن أعيش بين الشعب الجزائري، كان من أهم ما لفت نظري أن الجزائر تعتمد على نفسها في كافة جوانب الإنتاج، والإستقلال الإقتصادي علامة على الإستقلال السياسي والحرية، لأن أخطر شيء في المجتمع هو التبعية الاقتصادية التي تؤدي حتما إلى تبعية سياسية.

ومن خلال منظوري الإجتماعي، فإنني أعتقد أن الجزائر إذا استمرت بهذه الدفعة الإقتصادية والإجتماعية التي تظهر في جميع جوانب الحياة، فإن المجتمع الجزائري سيصبح بعد عشرين عاما أعظم قوة ضاربة في شمال إفريقيا، بل أكثر من ذلك سوف تكون تجربة الجزائر الإجتماعية والإقتصادية والسياسية مثلا يحتذى به في المجتمعات العربية الراغبة في الإستقلال الحقيقي، والراغبة في التخلّص من التبعية السياسية.

س: وماذا يمكن أن تقترح لتشجيع البحث العلمي في ميدان الأنثروبولوجيا بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة...؟ وما هي الصيغة التي تراها كفيلة بتحقيق ذلك...؟

ج: لقد لاحظت أن معهد العلوم الإجتماعية بجامعة قسنطينة يعمل دائما على التطوير العلمي، لذلك أقترح أن تنشأ دائرة خاصة للدراسات الأنثروبولوجية، وأن تكون لها إدارتها الخاصة بها، وإلى أن يتحقق ذلك يمكن مبدئيا إضافة التخصص الأنثروبولوجي ضمن التخصصات التي تشتمل عليها دائرة علم الاجتماع، فهناك تخصص في علم الإجتماع الصناعي، وآخر في علم الإجتماع الريفي الحضري، ويضاف إلى ذلك تخصص في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، ومن جانب آخر يجب أن يشجع الطلاب على استخدام المناهج الأنثروبولوجية في بحوث مذكرات الليسانس، وكذلك دبلوم الدراسات المعمّقة، وحتى الماجستير.

س: كلمة أخيرة يا دكتور...؟

ج: ينبغي الإتجاه بأقصى سرعة نحو التعريب، كما يجب العمل على تكوين الإطارات الجزائرية المؤهلة أكاديميا، وأخيرا أوجه كامل شكري وتقديري إلى جريدة النصر التي أتاحت لنا فرصة اللقاء والحوار.

انتهى.

الإرث الثقافي اللامادي المورسكي

بمنطقة تلمســـان

د: عباس رضوان

CNRPAH TLEMCEN

ملخص:

نعالج في هذا المقال قضية مهمة جدا خاصة بتراثنا الثقافي المحلي اللامادي الذي يعود تاريخه الى تواجدا الجالية الاندلسية بالمنطقة التي كان لها الشرف في استقبال هذه الفئة والتي استفادت منها بطريقة مباشرة او غير مباشرة على مختلف الاصعدة، منها ما نعالجه في الوريقات حول الارث الثقافي الذي خلفه أو تركه العنصر المورسكي وما بقي منه كدليل على تواجد هذا العنصر بمنطقة تلمسان .

Résumé

Nous abordons dans cet article une question très importante, particulièrement notre héritage culturel local, qui remonte à la présence de la communauté andalouse dans la région qui a eu l'honneur de recevoir cette catégorie, qui a bénéficié directement ou indirectement de différents niveaux, y compris ce que nous traitons. A laissé l'élément Morskis et ce qu'il en restait comme preuve de la présence de cet élément à Tlemcen.

summary

In this article, we address a very important issue, particularly our local cultural heritage, which goes back to the presence of the Andalusian community in the region that had the honor of

receiving this category, which benefited directly or indirectly from different levels, including understood what we are dealing with. Left the element Morikis and what remained of it as proof of the presence of this element in Tlemcen.

الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي، العنصر الموريسكي، منطقة تلمسان، محلي ، تراث

مـــــــــــــــقدمة

الحديث عن عنصر الأندلسي في اُلمجتمع التلمساني، بالمقارنة مع بقية العناصر، شكَّل نوعا من الاستقلالية والتميز، فقد حددت درجة الّثقافة ونوعيتها حاجة الأمير الزياني إليهم، وفي نوعية العلاقة التي كانت تربطهم بالجماعة المنافسة لهم في تسيير شؤون البلاد، أي رؤساء الجيش من بِني هلال، حسب عبد الله فهو يرجع بسبب استقدامهم الى « انعدام التقاليد اُلملوكية فيها [1]» ولأنهم وافدين على مجتمع لا عصبية لهم فيه[2] وإن كانت أهداف الهجرة من الأندلس إَلى تلمسان، قد اختلفت أغراضها وأسبابها بين طلب العلم، أو التجارة، أو الفلاحة، أو الكسب، أو الاستقرار والبحث عن مؤوى هروبا من بطش الاسبان ومحاكم التفتيش اذن.

ماذا بقي لنا من مظاهر التأثير الموريسكي الاندلسي على أهل تلمسان من تراث ثقافي ؟ أو بتعبير أخر : ماذا حمل معهم هؤلاء الموريسكيون القادمون من الاندلس الى تلمسان من تراث ثقافي اللامادي وماذا بقي منها؟

يمكننا ان نقول انهم لم يحملوا معهم شيئا إلا الازدهار الذي عرف في مملكتهم، وبسبب احتضان اهل تلمسان لهم وبفضل الاحتكاك مع شعبنا "شعب تلمسان" خلق نوع من التطور والتفاعل مع الوافدين الجدد ، اذا من هو هذا الوافد" المورسكي"؟

تعريف بالمورسكي:

فقد أثبتت المصادر3، هجرة الأندلسيين خلال فترة: 791 910 هـ / 1388 –1504 م، وكان أكبر جالياتها في عهدي الأميرين، عبد الواحد بن أِبي عبد الله (814– 827 /هـ / 1411 1424 م)، وخلفه أبو العباس أحمد الزيانِي (834 862– .(1462 1431كما أثبت الواقع الزيانِي، فئة روس الأموال في درب خاص، عِرف بدرب الأندلسيين4 ونالت العامة وفئة الفلاحين نصيبها من ضواحي مدينة تلمسان وأحوازها، لاسيما وادي الوريط فانتشروا على ضفَّتيه، وشيدوا قرى وبساتين، وأسسوا مصانع ومتاجر عديدة، وغرسوا، الحقول والمزارع المختلفة الثِّمار5 وأظهروا هناك من صنائعهم ومتاجرهم، ما عاد بالنفع علي أهل تلمسان يشير إَلى ذلك ابن الأعرج بقوله على البلاد وأهلها، وملؤوا تلك الشعاب من البساتين المتنوعة الثِّمار، وأنواع الرياحين، والأزهار 6. وتتضح معالم التحولات في البنية الاجتماعية والاقتصادية، في ظهور طبقات متميزة، تتناسب مع طبائعهم واختصاصهم الحرفي والمهِني:

1 أهل البادية والزراعة.

2 اُلمثقَّفون والحرفيون.

3 التجار وأصحاب رؤوس الأموال.

4 أصحاب الملاحة والصيد البحري.

ويدخل أهل البادية والزراعة، وأصحاب الحرف والمهن اُلمختلفة في غمار العامة، وهم المرتبة السفلى من الهرم الاجتماعي، وقد أ كد المقَّري عن وضعهم الاجتماعي بقوله قضاء الله، على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة، فتفرقوا في ببلاد المغرب، من بر العدوة، حتى بلاد أفريقية، فأهل البادية قد مالوا إَلى البوادي، إَلى ما اعتدوه ودخلوا على أهلها، وشاركوهم فيها، فاستقوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدقوا الأرض 7 وعّلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرَقت بلادهم وصلحت أحواُلهم ويشير ابن الأعرج إَلى الملكية المشتركة، وهذا شأن القرى، فنجد قرى الجالية الأندلسية قد وصلت إَلى جبل بيدر، وإَلى مدشر (الشولي) وعين تالوت وعين فزة وغيرها من المداشر التي، لم يبق إلاَّ إسمها في ضواحي مدينة تلمسان وأحوازها8 واستمرارية هذا النمو له صلة بهجرة التجار، وأصحاب المهن والصناعات، يقول ابن الأعرج وكان لعهد نزول الأندلسيين بها تلمسان مزدانة بالمصانع المفيدة، فما شئت من أطرزة ومنسوجات الحرير والقطن والكتان، والصوف ومعامل الفخار والخزف 9.

وسائر الأوانِي المترلية وقد نبغت أسماء أندلسية في العلم والفقه والأدب، كأَبِي الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي

الشهير بالقلصادي (ت 891 هـ / 1486 م)10 ، وأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي الغرناطي، المعروف بابن الأزرق (ت 896 هـ 1491/ م)11 ، ومحمد بن جابر الوادي آشي12، وأبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن داود البلوي الغرناطي13، وغيرهم كثير. وهي دلالة على اختيارهم مدينة تلمسان، يؤكِّد ذلك ابن الأعرج بقوله 14 ، استقروا بتلمسان وجزائر بِني مزغنة وِبجاية، وفضل بعضهم ندرومة. ومن بينهم أهل الذمة.

أهل الذمة: اليهود

حيت تحدثت المصادر عن وجود اليهود في تلمسان، لاسيما خلال سقوط غرناطة سن ة 897).:هـ / 1492 م، كان من بينهم العلماء والأطباء كالطبيب موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي، المعروف بابن الأشقر، قال عنه عبد الباسط ابن خليل.« لَم أسمع بذمي، ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم » : سنة 869 هـ / 1464 م[15] ، وبعض الحرفيين والتجار الذين عملوا على تنمية الصناعة اَلمحلية وتدعيمها، وتنمية الحركة التجارية بتلمسان، وربطوا علاقات اقتصادية قوية بين المغرب الأوسط وأروبا، وتدعم بذلك الدخل الضريِبي للدولة الزيانية، وزاد بفضل رؤوس أموالهم الكثيرة، وقروضهم للتجار التلمسانيين الصغار، حيث كانت بعض العائلات اليهودية من أصل ميورقي تتاجر باستمرار مع تلمسان ومدن أخرى في المغرب الأوسط16 أما الوضعية الشرعية التي كان يتمتع بها اليهود في الدولة الزيانية، فقد كان لهم حق التملُّك، وحرية التصرف في أملاكهم، مقابل

دفع الجزية التي قررها الشرع الإسلامي وقد أشارت الأبحاث المتخصصة في الدولة الزيانية إَلى سوء معاملة اليهود، بسبب هيمنتهم على التجارة والأعمال المالية، والوظائف السياسية.

وكانت للطائفة اليهودية بتلمسان مقبرتها الخاصة، وَلها بيعتها، ورئيس يدير شؤونها يدعى :« شيخ اليهود » ويكون همزة وصل بينها وبين السلطات التلمسانية والطائفية17 ،أما عن سكنى اليهود، فيذكر الوزان18 حارة اليهود بالقرب من المشور، تضم نحو خمسمائة دار، يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة، جلُّهم من الأثرياء، بعد انتقال اليهود القدماء من حي أكادير، إَلى مدينة تاكرارت19، بسبب الاختلاف مع المهاجرين الجدد في اللُّغة والعادات والمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية.

وكانت الحرفة أو الصنعة مع خاصة التجار، إذ وقع التفريق بين حرفة نفيسة وأخرى خسيسة، فقد ذكر الرصاع حرف نفيسة مثل صناعة المعادن الّثمينة والعطورات والشمع وترصيص المنابر وتزيين السقوف، في حين نظر بعض الفقهاء إَلى الحرفة نظرة طبقية، إذ عد الحياكة صناعة رفيعة، لأنها حسب قوله:« كانت من الصناعات التي يستعملها وجهاء الناس »20

فقد كان للتجار اليهود دور في تسويق البضائع التي كانت يبادله تجار تلمسان مقابل مبلغ ، من المال نقدا أو عينا، فضلا عن هيمنتهم على تجارة الذهب21وبالنظر إَلى الخدمات التي كانت تقدمها مدينة تلمسان في مجال التجارة، شجع العديد من الفقهاء والعلماء إَلى الاشتغال

بحرفة التجارة، كما هو الحال لعائلة المرازقة، واحتراف الفقهاء . لبعض المهن كالحراثة وتربية المواشي، وخياطة الملابس ونسخ المصاحف والكتب22. أما عن الاحتفالات.

الاحتفاليات

الأكيد في عادات عامة تلمسان هو الاحتفال بالعيد الأضحى، وبالمولد النبوي الشريف، وهما لا يخرجان عن الأعياد الدينية في كل اُلمجتمعات الإسلامية، وهم يظهرون دائما صبيحة، يوم العيد بلباس جديد في الصباح، ثم يتوجهون إَلى المصّلى لأداء صلاة العيد.

الّلهم إلاَّ ما كان يرتبط بعيد المولد النبوي، يقول التنسي عن السلطان أِبي تاشفين الّثاِني وكان يحتفل لليلة مولد المصطفى صّلى الله » :(791 795 هـ / 1388 1393 م عليه وسّلم بأعظم الاحتفال، ونسجه ونسج أبيه في ذلك على منوال، ويرفع إليه من الممادح الغر الحجال، ما يزري بأمداح، سيف الدولة، وشمس المعالي، ويثيب عليها من عظيم المنوال، بما لم »23يسمع بمثله في سالف الأحوال وذكر أنَّ السلطان أِبي زيان محمد الّثاِني بن أِبي حمو (796 801 هـ / 1394 – 1399).م)، كان يحتفل للمولد النبوي احتفال أسلافه الكرام24 وأنَّ السلطان أِبي مالك عبد الواحد بن أِبي حمو (814 827 هـ / 1412 .(1424 م ، كان يقيم ليلة المولد ويحتفي بها غاية الاحتفاء[25]

كما ذكر التنسي26، أنَّ أبا زيان محمد بن أِبي حمو (796 801 هـ / 1393– 1399م)، كان يحتفل لمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام،

احتفال أسلافه الكرام .وقد أثيرت مسألة إيقاد الشموع والبخور في منازل العامة، وكذا في المساجد والزوايا، حيث تصدى بعض فقهاء تلمسان لتلك الظواهر واعتبروها بدعة27 وإلَى جانب الاحتفال بالأعياد الدينية والمناسبات.

وهناك احتفالات موسمية خصت بها طبقة الفلاحين وارتبطت بالنشاط الزراعي، من بينها احتفال بفترة العصير في فصل الخريف، حيث يخرج أهل القرية إلى الحقول و الأودية المجاورة و يقضون عدة أيام وليال يستغلونها في جني العنب وعصره، كما يستغل بعضهم هذا الموسم للنزهة والفرجة، وثمة موسم أخر يتم الاحتفال به وهو موسم صباغة الحرير، ففيه يخرج الأندلسيون لجمع القرمز، حيث يقيمون خيامهم في بطون الأودية والحقول، ويصطحبون معهم آلات الغناء، ويقضون أوقاتهم في الرقص والبهجة28 . الى زمن غير بعيد كانت تلمسان تملك مصنعا كبيرا لصناعة الحرير مقره بأبو تاشفين " البرية"، الذي تحول الي مصنع الكرتون ملكية لاحد الخواص، الكائن مقره بحي الدودة "أبو تاشفين تلمسان"، الذي كان بدوره يملك بساتين عديدة في الولاية زمن الثورة الزراعية منها على سبيل المثال بساتين الخندق بالمنصورة، ووجود شجرة التوت في جانب الطرقات لهو خير دليل على اهتمام لأهل تلمسان بتربية دودة الحرير.

إلى جانب الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمواسم الفلاحية، شارك أهل الأندلس إخوانهم المسيحيين في أعيادهم، لأنهم جزء مهم ساهم في

تشكيل المجتمع وهذا يدل على قمة التسامح الذي اتبعه المسلمون نحو أهل الذمة ، ويمكن حصر الأعياد المسيحية فيما يلي:

أ –**عيد النيروز** :أصله فارسي، و يقال أن أول من اتخذه " جمشيد " أحد ملوك الفرس، ويقال له " جمشاد" ، ومعنى جم :القمر،(وشاد : الشُعاَعُ والضياء، و سبب اتخاذهم لهذا العيد أن " طهومرت " لما هلك ملك بعده " جمشاد " فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز " أي اليوم الجديد ،" وهو أحد الأعياد الكبرى في الأندلس، وقد اقترن الاحتفال به بالطبيعة، ووجد اهتماما كبيرا من قبل الأندلسيين، حيث يقع في بداية السنة في أوائل يناير من كل عام، وهو من بين الأعياد التي احتلت مكانة رفيعة في نفوس الأندلسيين، وبلغ اعتزازهم به حدا عظيما، وكانوا يعتبرون الليلة السابقة لهذا العيد أنسب الأوقات للزواج، وقد جرت العادة أن يصنع الناس في هذا اليوم الحلوى في صورة مدائن ذات أشكال مستحسنة جميلة لتقديمها للضيوف في هذه المناسبة، وقد ألهمت هذه الحلوى وأشكالها قرائح الشعراء فتنافسوا في وصفه.

ب –عيد المهرجان أصله فارسي، يقع في السادس عشر من شهر ماهرماه من شهور الفرس، و هو يقابل السادس و العشرون من، أكتوبر، بينما هناك من الباحثين من يجعله في الرابع و العشرون من يونيو، ويمتد ستة أيام، ويسمى عند الأندلسيين ، بالمهرجان أو عيد سان خوان، عيد ميلاد يحي بن زكريا عليه السلام ويسمى كذلك:

ج– العنصرة : وللناس بمختلف طبقاتهم الاجتماعية عادات وتقاليد في هذا العيد، وربما هذا ما أدى بالطرطوشي إلى جعل هذا العيد من البدع،

خاصة وأنهم يحرصون في هذه المناسبة على شراء المجبنات والإسفنج تشبها بالنصارى29 ، وقد ظهر هذا العيد في أمثالهم، فصورت ما يقام فيه من احتفالات، كقولهم " :الكبش المصوف ما يكفز على العنصرة 30، ومن الأعياد المسيحية الأخرى المحتفل بها في الوسط الأندلسي، نذكر الاحتفال بليلة العجوز، وهي ليلة آخر السنة الميلادية31 ، وتتصل بمناسبة أخرى

الأعياد اليهودية: أعياد اليهود كثيرة، نذكر البعض منها باعتبارهم جزء لا يتجزأ من التركيب الاثني من المجتمع الأندلسي، منها:

أ- **عيد الفصح**: و يسمونه عيد الفطير، يكون في الخامس عشر من أبريل في كل عام، و يدوم سبعة أيام يأكلون فيها الفطير، وينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير، وذلك احتفالا بذكرى خلاصهم من فرعون وغرقه[32]

ب- **عيد حوماريا**: يسميه النويري صوماريا، ويسمى عند اليهود بالكبور وهو عندهم الصوم الكبير، أما عقوبة من لم يصمه هو القتل في شريعة اليهود ومدة الصوم خمس وعشرون ساعة، ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياهم بهذا الصوم[33]

ج- **عيد الأسابيع**: ويعرف بعيد العنصرة ، ويحتفل به بعد عيد الفصح بسبعة أيام، وهي الأسابيع التي فرضت فيها الفرائض وكمل فيها الدين، حيث يصنعون في هذا العيد قطائف يتفننون في صنعها، ويجعلونها بدلا

عن المن والسلوى الذي أنزل عليهم[34] ، ويقع هذا العيد في فصل الصيف.

اذن هذه بعض الأعياد والمهرجانات والمواسم التي كانت سائدة في المجتمع الأندلسي، حيث نجد أعياد الأندلس تمارس بالمفهوم الحضاري الواسع، وهي نوعان :أعياد أصيلة وأعياد مكتسبة، فالأصيلة هي الإسلامية كالفطر والأضحى فقط، وأما المكتسبة غير الإسلامية كنيروز والفصح. ويقول في هذا الصدد دون باسكوال وأصل الموريسكيون حياتهم كالمورو في ملبسهم وكلامهم، لم يكونوا مسيحيين صالحين. عملت السلطات والمسؤولون على محاربتهم في طقوسهم، وعاداتهم وفي حمامتهم، كانوا يتركون أبوابهم مفتوحة يوم الأعياد وأيام الجمعة، منعوا نساءهم من طلاء أيديهم وأرجلهم وشعرهم بالحناء، ومن الزواج على طريقة المورو وألا يضع أطفالهم القبعات فوق رؤوسهم[35].

اللباس الموريسكي

وهناك عادة انفردت بها الأندلس عن باقي الأقاليم الإسلامية، وهي أنهم يختصون بارتداء الثياب البيضاء في الحزن والحداد، وهذه عادة أهل الأندلس وفي ذلك يقول الشاعر الحضري:

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

ألم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزت على الشباب[36]

1-**الألبسة** :إن الأزياء تعد شكلا ثقافيا يجسد رؤية الجماعة والفرد لمجموعة من القيم والمعايير الاجتماعية ومن ثمة فإن وظيفة اللباس

تكمن في إبراز اختلافات الامتيازات الاجتماعية والمهنية، كما يعبر عن درجة التحضر[37] وكانت صناعة الغزل والنسيج والحرير من الصناعات الرائجة في الأندلس وبخاصة صناعة الحرير، حيث قامت شهرة بعض المدن عليها، كمدينة جيان التي بها قرابة ثلاث ألاف قرية لتربية دود الحرير، وكان هناك عدد من النساجين بقرطبة.

الشدة: هذا اللباس هو خاص بالمرأة وهو معروف في مناطق كثيرة من الجزائر، فهو يتكون من عدة قطع ليشكل لباسا وحدا متميزا، فهو لباس اميري، فيصفه لنا محمد العربي حرز الله على انه لباس:

- عريض الكمين مصنوع من قماش رقيق، دقيق الخيوط شفاف مزود بالدانتيل ومرصع باللآلئ الثمينة
- يحتوي على تاج علوي مخروطي الشكل مطرز بالخيوط الذهبية وينتهي في قاعدته بقلادة ذهبية من الذهب الخالص ومرصعة هي الاخري بالاحجار الكريمة وتعرف بالقرصة
- الرداء وهو ثوب من الحرير الخالص المطرز بالذهب
- المثقلة وهي بمثابة حزام عريض يوضع على الخصر
- القفطان او الجوهر وهو ما يوضع على الصدر ويصنع عادة من القطيفة الثمينة المرصعة
- الحذاء وهو الاخر مطرز بالذهب والجواهر لتكملة الشدة[38]

فهذا اللباس أصبح اليوم من بين التراث اللامادي المصنف علميا في منظمة اليونسكو للحفاظ على الموروث الثقافي العالمي.

السلهام: فهي تعني كلمة برنس واستعملت بدلها كلمة سلهام المأخوذة من كلمة Zulame القشتالية فهي كلمة كانتا مستعملتين في الاندلس لدي المسلمين والمسحيين، والبرنس كان اليهود هم الذين يلبسون البرنس الاسود وبطريقة مختلفة عن الطريقة التي كان يلبسها بها المغاربة، وبسبب ذلك بقيت كلمة سلهام وحدها تخص المغاربة.

الشاشية: هي عبارة عن قلنسوة كان يصنعها رجال المخزن والعلماء والطلبة، وهي موجودة الى يومنا هذا، أما النسبة الى اليهود فقد كانت الشاشية الخاصة بهم ذات اللون الاسود. إَلى أنَّ تيار التصوف لا يعمل وإنما يعتمد في عيشه على الفتوح والصدقات، إلاَّ أنَّ كتب المناقب تأكد على بعض أنشطة المتصوفة، كتعليم الصبيان وطلاب العلم، ونسخ الكتب، والاشتغال بالزراعة، والجزارة والصيد برا وبحرا، وجمع الحطب لبيعه، والحياكة والخياطة، وصنع الإسفنج والأطباق والحصر والشواشي.

العمائم :كانت أكثر انتشارا في غرب الأندلس عكس شرقها الذي يكاد يخلو منها، حيث يقول المقري وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم، لاسيما في شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك[39]، ثم إن العمائم كانت اللباس الشائع للرأس لدى رؤساء البربر، أما أهل الأندلس فلا يميلون إلى تغطية الرأس بالعمائم، باستثناء أهل العلم من الفقهاء [40] ، حتى أن أهل الأندلس عندما رأوا مشرقي بعمامة في

بلادهم أظهروا تعجبا واستظرافا، وإن حاولوا تقليدها، فإن ذلك ليس من عوائدهم ولا أوضاعهم[41]

القلنسوة :هي ما يغطي الرأس من الوشي أو الصوف أو الفراء وكانت محببة لدى الأندلسيين وشاع استخدامها عند القضاة المفتين والملوك والوزراء، كالمعتمد بن عباد ووزيره ابن عمار، وكذا مبارك ومظفر[42]

الطيلسان :هو ثوب يوضع على الرأس و ينسدل على الكتفين وانتشر بشكل واسع لدى الأندلسيين، حتى تنوعت أشكاله، ويشبه القلنسوة ويغطى به أكثر الوجه ثم يدار طرفان منه تحت الحنك إلى أن يحيط بالعنق، وشاع لباسه في صلوات الجمعة والاحتفالات، وقد استخدمه عوام الناس وخواصهم فلبسه الأدباء والكتاب والقضاة وطلاب العلم، وكان يوضع على رؤوس المشايخ[43]

برنيطا أو البريطا: قبعة برتغالية أو كتلانية منشقة من الاتننية: Barretine, Barreto,Bierrto فأهل المغرب لم يكونوا يستعملونها فكان الرجل منهم يغطي رأسه بما يناسب لباسه.

السراويل: كما تعتبر السراويل من بين الألبسة المشتركة بين الرجال والنساء، وكلمة سروال هي تحريف لكلمة شلوار الفارسية التي تعني ثوبا فضفاضا يغطي أسفل البدن حتى القدمين، وكان من بين الألبسة المحببة لدى الأندلسيين، وتحتفظ اللغة وهذه السراويل تمسك بشريط ، " Zaragüelles " الإسبانية حتى اليوم باسمه أو حزام[44]

البلغة: الكلمة من أصل لاتيني بمعنى Quercus وصيغت منها في اللغة الاسبانية كلمة Corcus والتي أخذت من القشتالية Al corque ومنها أتت الالفاظ التالية Am balga–Al borga فهي كلمة كانت مستعملة في الاندلس ثم انتقلت الى شمال افريقيا بعد هجرة المورسكين. وهي عبارة عن نعل ينتعله الرجل والمرأة ، وهي من بين الحرف التي يشتهر بها أهل ندرومة، وهناك بعض الحرفيين مازالوا الى يومنا هذا يحافظون على هذا الارث، ويسمون الالبسة بمسمياتها القديمة وهي لازالت الى يومنا هذا متداولة في الاوساط الشعبية التلمسانية مثل:

البدعية: فهي كلمة لم تكن مستعملة في الاندلس وانما كانت تستعمل كلمة الصدرية فهي من المحتمل انها اتت من فعل أبدع التي تعني الجديد الذي لم يكن يعرف من قبل، وفهي لفظ مازال مستعمل الى يومنا هذا في الجزائر وبالخصوص في تلمسان

المضمة: وهي حزام لشد اللباس الى الجسم، وهي من بين الاغراض التي نقلها المورسكيون الى تلمسان، وهي لا تزال الى يومنا هذا تصنع بالمدينة من طرف الحرفين، وهي حرفة كانت موجودة عند حرفيين الغرناطين الذين اشتهروا بالصناعة النسيجية وهي من بين لوازم العروس في جهازها أو الشهرة.

البنيقة: فهو لفظ مازال مستعمل الى يومنا هذا في الجزائر وبالخصوص في تلمسان، وهي عبارة عن منديل تضعه المرأة على رأسها لجمع شعرها، خصوصا بعد غسل شعرها وهي اجبارية ضمن شهرة وجهاز العروس التلمسانية.

2- الطعام المورسكي:

الأطعمة :إن الغذاء من أهم مطالب الحياة بصفته و ألوانه وطرق إعداده وطبخه وكيفية تقديمه وتناوله، لأنه يعرفنا على وجه أساسي من وجه الحياة الاجتماعية الأندلسية، ففن الطبخ يعبر عن ثقافة طهي المجتمع لمأكولاته وغذائه الذي كان بحاجة الى أدوات المطبخ الأندلسي، فقد شملت القدر، وهو على أحجام عديدة والفخار من الأنواع الأكثر شيوعا، حيث كانت هذه الصناعة منتشرة بمدينة تلمسان بشكل كبير حيث كانت الافران الخاصة بصناعة الفخار، حيث تمركز الحرفين بالمدين في منطقة اليوم تسمي بحي الفخارين المتواجد اسفل مباشرة من مدرسة ابن خلدون، ولا تزال هذه الحرفة رائجة في مدينة ندرومة مع اندثارها بمقر الولاية "تلمسان" في اليوم قليلة جدا في طريقها الى الاندثار بسبب قلة الحرفين وعدم الاهتمام بهذه المجال من طرف الشباب،

أما الفرن فقد كان يتم اللجوء إليه لأسباب منها العوز إلى مساحة مناسبة في المطبخ، وربما يستخدم لخبز الخبز اليومي للأسرة، ثم يأتي الموقد والتنور، الذي ربما اليوم يعرف رواجا في عملية بيع الخبز الذي يتم خبزه في الفرن التقليدي والذي يستقطب بدوره الكثير من الناس خصوصا أيام شهر رمضان لا تجد مكانا في اقتناء هذا الخبز سواء في منطقة المفروش التي تطل على الوريط وهي المناطق التي سكنها المورسكيون، وكذا منطقة ندرومة، وهنين الذين تفننوا ولا يزالون في صنع الكثير من ألوان الطعام المختلفة، وصارت موائهم حافلة بالأنواع المتعددة من الأطعمة والحلوى وأصناف الفواكه والأشربة التي كانت

تهيئ داخل البيوت مثل الزبزين وهو نوع من **البركوكش** عند الأندلسيين، ويخلط بالسمن والقديد والبصل، بالإضافة إلى **السخينة** وهي نوع من الحساء، وربما كانت منتشرة أكثر في الأسر البربرية في الأندلس، وتعرف باسم **أسماس**[45]، وهذا النوع نجده في معظم منازل أهل تلمسان، وهو يقدم في مناسبات عديدة منها مناسبة العقيقة أو ما يسمي "بالفاطات" بالتعبير المحلي أو النفاس و**المركاس** أو **المرقاس** وكان يصنع من لحم الضأن و**الهريسة** التي تعد من دقيق القمح، ثم الإسفنج الذي يصنع من السميد والبيض والخميرة والجوز و الفستق والعسل[46]، بينما في الريف هناك إشارات قدمها لنا القاضي عياض عن بعض المأكولات المنتشرة في البادية **كخبز الفطير**، جبنة، لبن، كما كانوا يستهلكون البصل أيام فترة الحصاد لمقاومة الحر[47]

3- الامثال والحكم

فالمجتمع الأندلسي كان يتنبأ بحالة الجو من خلال عادة متكررة لديهم والعلم الحديث أثبت صحة ذلك، كقولهم: " **إذا رأيت الضباب أبشر بالطياب**" و الطياب هو الصحو، فكل ضباب يتبعه صحو[48] ، و قولهم: " **النحس النحيس الجبة تحت القميص** " هذا المثل يضرب للتشاؤم، ذلك أن العادة في الجبة أنها تلبس فوق القميص و يتضح أنهم كانوا يتشاءمون من العكس و من قلب الثياب، وتحويلها من غير استسقاء وهذا ما ينهي عنه أهل تلمسان أبنائهم، حتي انهم يتطيرون من قلب النعل "النعالة أو الصباط" [49]، وكذلك قد بينت بعض الأمثال صفة التعاون بين أفراد المجتمع والأسرة على عمل ما، كقولهم: " **الناس**

بالناس والهراوة مع الفأس ، وهي عبارة تدل علي التضامن في شكل " التويزة" ،كما جسدت بعض أمثالهم مواسم الحصاد والتفاني في هذه العملية وحرص الفلاحين على الإسراع في عملية الحصاد، كقولهم: " **المنجل إذا وقع ما يرتفع**[50] ، و بينت أمثالهم كذلك الحث على النهوض باكرا لطلب الرزق وذم نوم الضحى ذلك أن النوم في غير محله يجلب الفقر و الكسل،" **ومن ضيع صبحه ضيع رزقه**"، و هذا ما يظهر في قولهم: " **إذا صبح ما يفلح** "، كما حمل المورسكيون معهم الى تلمسان جملة من العادات حسب تعبير محمد المزي "من بينها صورة الكف، وهي من بعض المعتقدات المسيحية التي رسخت في أذهان المورسكين لأن الكف هي كف مريم البتول وتعتبر في معتقداتهم مانعة من الأرواح الشريرة وتطرد كل شيطان رجيم "[51]. وهي في وقت ليس ببعيد كانت موجودة مجموعة من الصور الطاردة للأرواح الشريرة والعين، مثلا كأن نجد كف وبداخله عين انسان وبين أصابع الكف[52] يلتوى ثعبان الذي يمثل بدوره شيطان والعين هي عين الحاسد والكف يرمز الى كف البتول، وفوق كل ذلك أية الكرسي وعلى الجوانب الاربعة من الصورة أيات قرأنيه تحمل في طياتها التوكل على الله، حسب تعبيرهم الحسود لا يسود، كما أن هناك العديد من بين هذه الصور المعبرة عن المعتقدات التي حملها الينا المورسكيون الى المغرب العربي ، وتسمى عندنا اليوم "**بالخامسة**" يتطابق العدد الخمسة مع أصابع اليد، وهو العدد الاول الذي يحكي عن التجربة والمراقبة وفهم الواقع لذلك فهو يمثل عدد الوجود والطبيعة وحب الحياة والتفاؤل وهو عدد دائم الحركة ويرمز أيضا الى الانسان أي صورة الله على الارض[53]، ويقول عنهم دون باسكوال "كان

الموريسكييون مسلمين حتى النخاع في جميع مناحي عيشهم، عاداتهم ولغتهم، يطبقون تعاليم القرآن في حياتهم اليومية ويقدسون موروث أجدادهم، والمتنصرون منهم لم يتركوا ممارستها واعتقادها، وكانوا يعتبرون أنفسهم أعداء للمسيح حتى داخل الدين الجديد،...لقد تركوا بصمات خالدة وعميقة في المناطق التي عاشوا فيها ومروا منها، في طريقة عملهم بالحقول، لباسهم و أغانيهم، شكل حرثهم وصناعتهم، عاداتهم وشعوذتهم حفلاتهم والبذخ الذي ورثوه عن بني جلدتهم في المشرق و طريقة ركوبهم الخيل[54] زد عل ذلك فقد كانوا أهل احتياط وتدبير.

4- الاحتياط والتدبير مع الحذر:

يقول ابن سعد عن الأندلسيين: أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف من ذل السؤال فلذلك قد ينتسبون للبخل"[55] فقد كان مبدأهم في الحياة وربط العلاقات مع الاخرين قائمة على سوء الظن والحيطة والحذر وكانت المنفعة هي المحرك الاساسي في الكثير من السلوك وصلات بين الافراد، فهي عكس ما كان يتمتع به المغاربة من تضامن مع الغير ولو على حسابه، وحسن ظنه بالأخرين، ورغبته في التعامل معهم، وهي صفات لم توجد في هؤلاء الوافدين بسبب ما عانوه من محاكم التفتيش وما تعرضوا له في الطريق من مضايقات ونهب من طرف قطاع الطرق.

وفي الاخير لا يسعنا الا القول بأن المورسكيون في تلمسان كان لهم دور كبير في دفع عجلة التنمية في البلاد سواء قبل الهجرة أو بعدها،

كما كان لهم الفضل الكبير في نشر العادات والتقاليد الاندلسية، التي لا تزال الى يومنا هذا قائمة على المستوى الثقافي والاجتماعي والعمراني، لقد حققوا ما لم يحققه غيرهم من الذين دخلوا الى الجزائر.

الهوامش:

[1] العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ط: 2، الدار البيضاء، 2000، ص 215

[2]المقَّري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ج3، د.ط، بيروت، 1968 ،ص156 .

[3] نفسه، ج2 ،ص.297

[4]عبد العزيز فيلالي، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزيانِي دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية ، د.ط، موفم للنشر، د.ت. ص176

[5] نفسه، ج 1 ،ص 176

[6] نفسه، ج 3 ،ص156

[7]المقَّري المصدر السابق ج3 ،ص 157.

[8]عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ص 176

[9]نفسه ،ص 177

[10]ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد ، البسستان . في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر: محمد بن أِبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908 ، ص 141

[11]التنبكتي، أحمد بابا ،نيل الإبتهاج بتطريز الد يباج، إشراف وتقديم: الهرامة عبد الحميد عبد الله، ط: 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا،.1989 ص561

[12] المقري المصدر السابق ج 7 ،ص26

[13] التنبكتي المصدر السابق ،ص 138

[14]عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ص 176

[15]نفسه ،ص 193

[16]نفسه ،ص 193

[17]نفسه،ص195

[18] الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة :محمد حجي و محمد الأخضر،. ط: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص20

[19]ألفريد بل، الفرق الإسلامية في ال شمال الأفريقي، تر جمة: بدوي عبد الرحمن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981-.397

[20]الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق :محمد العنابِي، سلسلة من تراثنا الإسلامي، المكتبة .العتيقة، تونس، 1967-16

[21]عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ص 193

[22]نفسه،ص218

[23]التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت 899 هـ / 1493 م)، نظم الدر والعقبان في بيان شرف بِني زيان، تحقيق وتعليق : محمود بوعياد، المؤ سسة الوطنية للكتاب، الجزائر،.1985 ،ص 186

[24]نفسه 212 / 2

[25]نفسه / 236

[26]عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ص 284

[27]نفسه ،ص212

[28] المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 119

[29]أبو بكر الطرطوشي: الحوادث والبدع تحقيق و تقديم عبد الحميد تركي، دار الغرب الإسلامي، د.ط، بيروت 1990م، ص 300

[30]الزجالي أمثال العوام في الأندلس، مستخرجة من كتاب ري الأوام و مرعى السوام في نكت الخواص والعوام، (تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأصلي، د.ط، المغرب، القسم . الثاني ، ص 85

[31]نفسه، ص 23

[32]النويري :نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، د.ط،- القاهرة، د.ت، السفر الأول، ص 196

[33]نفسه، ص 195

[34]نفسه، ص 196

[35]دون باسكوال بورونات إي برَّاتشينا" الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم،بلنسية 1901 م"، ترجمة الدكتورة كنزة الغالي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،2012،ص168

[36]المقري :نفسه، ج4 ، ص109

[37]إبراهيم القادري بودشيش: المغرب و الأندلس في عصر المرابطين- ا تمع، الذهنيات الأولياء-، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط 2، تطوان.2004 PDF ،. ، ص 75

[38] محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 426

[39]المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 222

[40]سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في العصر الإسلامي –بحوث ندوة الأندلس – الدرس و التاريخ، كلية الآداب، الإسكندرية 13-15 أفريل 1994 م.، ص 254

[41]المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 223

[42]سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في العصر الإسلامي –بحوث ندوة الأندلس – الدرس و التاريخ، كلية الآداب، الإسكندرية 13-15 أفريل 1994 م.، ص 255

[43] نفسه ص 259 ،258

[44] نفسه ص259

[45]إبراهيم القادري بودشيش: المغرب و الأندلس في عصر المرابطين- المجتمع، الذهنيات الأولياء-، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط 2، تطوان2004. PDF ، .ص 72

[46]السقطي: آداب الحسبة، المطبعة الدولية، معهد العلوم المغربية، د.ط، باريس، 1931 ص 35،36

[47]القاضي عياض: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، ج 2: ص 438

[48] الزجالي: المصدر السابق، القسم الثاني ، 1971 ، ص85

[49] نفسه ص48

[50]نفسه ص81

[51] محمد المزي ، نور القبس بين طبرية والاندلس، ضمن كتاب بحوث عن الاندلس في توني،ص27

[52] زعيم الخنشلاوي، التصوير الروحاني في الفلكلور الجزائري، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ،2005،ص99

[53] جان م، صدقه، معجم الاعداد: رموز ودلالات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1994،ص 121

[54] نفسه 162

[55]المقَّري المصدر السابق ، ج1 ،ص223

الزاوية وتحدي المرجعيات في المجتمع الجزائري المعاصر

أ.د/ لعلى بوكميش (نائب مدير جامعة أدرار – الجزائر) . د/ باشيخ أسماء
(جامعة أدرار – الجزائر)

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحديد دور الزاوية كمؤسسة تربوية دينية في الحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري وهويته المتأصلة، هذا المجتمع الذي عرف محطات متباينة تأرجحت بين الانتكاسات تارة وانتعاشات تارة أخرى، وما يزال إلى اليوم يواجه العديد من التحديات التي تهدد وحدته بل وأمنه واستقراره.

ومن هذه التحديات الانقسام الثقافي للمجتمع، والتيارات والمذاهب الدينية الوافدة وما يصاحبها من تعصب وتطرف وعنف وأخيرا الغزو الثقافي وما ينجر عنه من طمس للهوية الثقافية للأمة وتفكيك لثقافة المجتمع إلى ثقافات متصارعة و متحاقدة.

وأمام هذه التحديات فان دور الزاوية يتمثل في الحفاظ على وحدة المجتمع وصيانته وتثبيت أواصر الانسجام والتناغم بين مكوناته، وكذا تجسيد الكمون الاجتماعي بين أفراده الذين هم بين مطرقة التغريب وسندان الأصالة وذلك من خلال:الحفاظ على الوحدة الثقافية للمجتمع، الحفاظ على المرجعية الدينية له والحفاظ على الهوية الثقافية له أيضا.

الكلمات المفتاحية: الزاوية، وحدة المجتمع، الوحدة الثقافية، المرجعية الدينية، الهوية الثقافية.

Abstract:

This research aims to define the role of the *Zawia* as an educational and religious institution in preserving the unity of the Algerian society and its inherent identity. This society knew different periods which oscillated between relapses and refreshments, and still faces many challenges that threaten its unity and even its security and stability. These challenges include the cultural divisions of the society; the inflowing religious currents and doctrines characterized by intolerance, extremism and violence; and finally the cultural invasion leading to an obliteration of the nation's cultural identity and the dismantling of the society's culture into conflicting and mutually malevolent cultures.

To withstand these challenges, the *Zawia* has to preserve and maintain the unity of the society, establish bonds of harmony, as well as the embodiment of social latency between its members who are torn between westernization and authenticity. This can be achieved through: maintaining the cultural unity of society; maintaining the religious reference of society and preserving the cultural identity of society.

Key words: The *Zawia* , society unity, cultural unity, religious reference, cultural identity.

Résume:

Cette recherche a pour but d'identifier le rôle du zawia en tant qu'institution éducative religieuse dans la préservation de l'unité de la société algérienne et de son identité inhérente, qui a connu différentes étapes et a fait face à de nombreux défis qui menacent son unité, sa sécurité et sa stabilité.

Parmices défis figurent la division culturelle de la société, les courants et les doctrines religieuses et l'intolérance, l'extrémisme et la violence, et enfin l'invasion culturelle et l'oblitération de l'identité culturelle de la nation et le démantèlement des Zawia est de préserver l'unité de la société et maintenir les liens d'harmonie entre ses composantes, ainsi que l'incarnation du retard social entre ses membres qui sont entre l'occidentalisation et l'originalité.

Mots-clés: zawia, unité communautaire, unité culturelle, référence religieuse, identité culturelle.

مقدمة:

إن الحديث عن النسق المجتمعي يعني ضمنياً الحديث عن أواصر تماسكه وثباته، خاصة في ظل ذيوع فكرة أنّ التنافر الاجتماعي ينفي المبدأ البنائي لهذا الأخير، فما سمي المجتمع كذلك إلاّ لأنه حيّز من العلاقات والتفاعلات المتبادلة والمتزنة في الغالب الأعم، بفعل الموروث

الثقافي المتنوع من عادات وتقاليد ودين...وغيرها، و التي تشكل في النهاية ضوابط عرفية مستصاغة لدى الأفراد؛ ومن بين هاته الآليات العرفية يمكن الحديث على سبيل التحديد لا الحصر عن "الزاوية" المؤسسة العريقة في الجزائر،و التي كان لها باع طيلة الحقب التاريخية من جهاد وتربية ودين وتكافل...

هاته الأدوار التي تجعل منها مؤسسة راعية للمرجعيات الهوياتية، فلطالما حافظت الزاوية على اللّغة والزّي و التنشئة الاسلامية والقيم الاجتماعية و الثقافية، بل وحتى في شد عضد الكيان الاجتماعي من الطمس والتحلل والزوال، الأمر الذي يستدعي في وقتنا المعاصر الوقوف عند هذا الدور ملياً كوننا في بيئة شديدة الديناميكية، عديدة الدواخل و التوافدات فهي بيئة طيعة الذوبان اذ لم تُحِط نفسها بجدار متين الوقاية، وهو ما يناط ويعول فيه على الزاوية المؤسسة المخضرمة في بيئتنا، الأمر الذي يجعلنا ننطلق هنا من تساؤل محوري مفاده: كيف يتشكل دور الزاوية في المحافظة على مرجعيات المجتمع الجزائري المعاصر؟

أولا: المدخل العام (نواتج تمازج النسق الديني والسياسي والاجتماعي):

تعد الزاوية مؤسسة تربوية دينية ذائعة الانتشار في بيئات المغرب العربي، تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية من أصول وفقه وعقيدة وحديث، وكذا التركيز على تعليم اللغة العربية لأنها السبيل لفهم العلوم السابقة الذكر وفهم القرآن الكريم وتفسيره، هذا إلى جانب

تدريس علوم أخرى –كما نلاحظه من المخطوطات– مثل الرياضيات والطب والفلك وغيرها من العلوم.

بحيث تستقبل هاته المؤسسة (الزاوية) الطلبة من مختلف الأعمار والمستويات، ويقوم أسلوب التعليم فيها على التلقين والحفظ واعتبار الشيخ مصدر العلم والمعرفة.

كما تقوم الزاوية بتربية النشء تربية إسلامية على أساس تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، على اعتبار أن التربية أساسا هي عملية تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي تواصلي واندماجي، لذا هي تهتم بتنمية الجوانب المعرفية والسلوكية لدى الفرد ليتمكن من مجابهة تحديات الحياة المتنامية، معتمدة في ذلك على مبدأ الاكتساب، فالفرد يكتسب ويتعلم المعارف والقيم ونماذج السلوك المقبولة اجتماعيا، وكذا العادات والتقاليد و ثقافة المجتمع بشكل عام.

أما التربية المقرونة بالدين والتي نعني بها "التربية الإسلامية" فهي تربية تقوم على أساس نظرة الدين الإسلامي للإنسان والحياة والكون، فهي تزود الإنسان المسلم اضافة لما سبق بكل ما يتطلبه تقرير العبودية لله وحده لا شريك له، وهي تربية روحية إيمانية في الأساس العام.

لذا لطالما كانت التربية الاسلامية أرضية نمت عليها المؤسسات التربوية الدينية على عمومها، والتي تعد مؤسسة الزاوية أهمها كون أنها عملت على مدار العصور على الحفاظ على هوية المجتمع و مرجعياته، وذلك من خلال محافظتها على مقومات الهوية (اللغة، الدين،...) ناهيك

على الفضل الكبير الذي أتاحته من خلال نشر الإسلام في الكثير من دول إفريقيا، وما تزال أدوارها إلى اليوم تتجسد من خلال تخريج طلبة وأئمة منتشرين عبر ربوع الوطن وحتى خارجه ينشرون تعاليم الاسلام.

أما عند الحديث عن الواقع الجزائري الذي عرف منذ أزيد من عقدين من الزمن تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية، كما عرف مأساة دموية راح ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء بفعل التطرف الديني ووفود أفكار دينية غريبة عن المجتمع، بل وعن الدين الإسلامي الحنيف الذي عرفه المجتمع الجزائري منذ قرون بعيدة.

كما عرف موجات من الغزو الثقافي تمثلت فيما تنشره وسائل الإعلام والاتصال تحت تأثير العولمة من نماذج ثقافية تختلف جذريا عن ثقافة مجتمعنا، و موجات من الغزو الفكري والديني تمثلت في انتشار وتوسع حركة التبشير التي تعمل على الترويج للدين المسيحي، هذا إلى جانب ظهور وترعرع تيارات ومذاهب دينية جديدة مثل المذهب الشيعي والتيار السلفي بمختلف أقسامه وفروعه.

وعلى غرار ذلك يمكن ذكر أيضا ما عرفه الوضع الخارجي المحيط بالدولة الجزائرية مثل ما عرفته بعض الدول من حالة انقسام مجسد وفعلي، ومنها دولة السودان التي تم تقسيمها إلى دولتين بعد أن كانت دولة موحدة ولم يكن شعبها يتصور أن هذه الحالة الانقسامية ستحدث في يوم ما، ناهيك عن بعض الدول التي عرفت وما تزال حالة من الحرب الطائفية والمذهبية، وخير مثال على ذلك دولة العراق التي تعرف حالة من الحرب الأهلية بفعل الصراع المذهبي الشيعي والسني، وما

عرفته الجزائر ذاتها في منطقة بريان (غرداية) من عنف بسبب الصراع المذهبي بين السنة والاباضيين، وكذلك دولة مصر التي عرفت حالة من العنف بفعل الصراع الديني الطائفي بين المسلمين والأقباط.

إن حالة الانقسام وحالة الحرب الأهلية وحالة العنف هو نتاج لحالة من الصراع الديني سواء بين المذاهب الإسلامية أو بين المسلمين والمسيحيين.

ومن خلال ما سبق عرضه سواء فيما يتعلق بما عرفه المجتمع الجزائري أو ما عرفته بعض المجتمعات العربية، فإننا نخشى أن تكون هذه الأمور الوافدة إلى مجتمعنا والدخيلة عليه سببا يهدد أمنه واستقراره والأخطر من ذلك هو المساس بوحدته، وعليه يأتي هذا المقال* كمحاولة للبحث في دور الزاوية إزاء هذه التحديات للحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري كلا لا يتجزأ.

ثانيا : مدخل تعريفي بمؤسسة الزاوية:

يشير التعريف اللغوي للزاوية «بأنها مشتقة من فعل انزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن اللذين فكروا في بناءها أوَل مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء ...الذي يساعد على التأمل والرياضة الروحية»1.

وقد اعتبر بعض المهتمين بالجانب الثقافي والديني في الجزائر أن الزاوية هي عبارة عن «مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي ...شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين أو بُنيت تخليدا لذكراهم، أما عن تسمية الزاوية كاصطلاح فهناك من يرى أنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة باعتبار أن العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أو لأن وجودها كان دوما في أطراف المدينة أو ركن منزوي بها ...وهي تشبه المدرسة أو الدير»2 .

وقد ذكر "دوماس" عام 1847 في كتابه (منطقة القبائل) تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال « إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة ...تحتوي عادة على مصلى وغرفة لتلاوة القرآن ومدرسة لتحفيظ القرآن وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية كما تضم غرفة ومراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية»3.

« وقد فرق "ديفوكس" بين زوايا الأرياف وزوايا المدن فقال: إن الأولى مبنية حول قبر لمرابط غير معروف كثيرا، ويوجد القبر في دوار تقطنه إحدى القبائل ،وفي الدوار أحفاد هذا المرابط ...أما في المدن فالزاوية عبارة عن بناية كبيرة لإيواء المشردين والطلبة والعلماء والغرباء ...وقد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذا تخصص لها أو ألحق بها مدرس شهير لتدريس العلوم العالية، وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه وأحيانا اسم المرابط التابعة له»4.

فالزاوية إطار تنظيمي ذي غاية تربوية دينية محضة متمحورة حول تثبيت التربية الإسلامية في الناشئة والحفاظ على ديمومة الموروث الإسلامي إذ تضم على إثر ذلك شيوخا لتلقين العلم الديني والعلوم اللاحقة به لجملة من الطلاب اللذين يكنون الولاء اللامتناهي للزاوية وشيوخها في إطار من الطاعة لشيوخ العلم والفقهاء.

ولا تنتهي غاية الزاوية عند هذا المقصد فحسب بل هي مسؤولة على تثبيت الأخلاقيات التي تحث عليها التربية الإسلامية حتى بين غير الطلاب المنتمين إليها أي بين أفراد المجتمع عموما بتهذيب النفوس والعمل على صلح المتخاصمين، والتوفيق بين المتضاربين وهدي المنحرفين وتثقيف الجاهلين و عون المعوزين ..وغيرها من المآثر التي هي كلها لا تخرج عن إطار المحاور الكبرى للتربية الإسلامية.

ثانيا: دور الزاوية في الحفاظ على الوحدة الثقافية للمجتمع الجزائري:

لا شك أن انقسام المجتمع إلى فئات أو طبقات أو طوائف وأخيرا إلى دويلات–هذه الأخيرة تعد أخطر أشكال الانقسام التي تخافها المجتمعات والدول– يبدأ أولا بالانقسام الثقافي وتضعضع الوحدة الثقافية لهذا المجتمع؛ والثقافة كما يعرفها العلماء وعلى رأسهم " تايلور" « هي ذلك الكل المعقد والمركب الذي يتكون من العادات والتقاليد والقيم والأعراف والدين واللغة وكل ما يتعلمه الإنسان باعتباره عضو في جماعة معينة»5؛ فالثقافة هي كل ما يكتسبه الفرد من المجتمع من خلال عملية التربية والتنشئة والتي من عناصرها العادات والأخلاق والدين وغيرها.

هذا الأخير (الدين) الذي يلعب دورا بارزا في رسم معالم الثقافة وإعطائها خصوصيتها المتميزة، لذلك نجد الحديث عن الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية وغيرها من الثقافات ذات البعد الديني، كما تشكل الثقافة الوعاء العام الذي يغترف منه أبناء المجتمع الواحد، مما يعطيهم طابعا ثقافيا موحدا ومتميزا عن غيرهم، ويولد لديهم نوعا من الشعور بالوحدة والتماسك والاندماج الاجتماعي.

والى جانب الثقافة العامة هناك ما يسمى بالثقافات الفرعية التي تخص فئات أو طوائف اجتماعية معينة، حيث للحفاظ على وحدة المجتمع لا بد من التركيز على الثقافة العامة أو ما يسميه البعض بالعموميات الثقافية بدل الخصوصيات الثقافية، ولكي يتحقق ذلك لا بد من بناء المناهج التربوية على أساس تلك العموميات حتى تتشربها الأجيال وتحس بأنها كيان واحد تنتمي إلى نفس الثقافة ونفس المجتمع.

من خلال ما سبق يتبين لنا ضرورة بناء التربية والمنهاج التربوي بالزاوية على أساس الثقافة العامة للمجتمع الجزائري أي على أساس القواسم الثقافية الكبرى المشتركة بين أبناء الشعب الجزائري، وتكريس قيم الوحدة ونبذ روح الفرقة والعصبية والجهوية ونبذ كل الأفكار التي تفرق الكلمة وتشتت الصف وتؤدي إلى تقسيم المجتمع.

ولنا أن نستفيد الكثير من العبر مما حدث في السودان، حيث تم تقسيمها الى قسمين وما انقسم السودان جغرافيا إلا بعد ما انقسم ثقافيا، وتقبل الناس في ثقافتهم فكرة الانقسام وأنهم جزئيين متناقضين ومتباينين ثقافيا، الأمر الذي نتج عندما تسللت أفكار وافدة بنت منظومة ثقافية

دخيلة قائمة على الانقسام الثقافي الذي تحُول الى سلوك يقاتل فيه الأخ أخاه بدافع الانفصال أو النضال المزيف.

ثالثا: دور الزاوية في الحفاظ على المرجعية الدينية للمجتمع الجزائري:

يلعب الدين دورا كبيرا وهاما في توجيه سلوك الأفراد، لأن تعاليم الدين تؤخذ دائما كأشياء قطعية مسلم بها ولا تقبل النقاش والجدال اذ تدخل دوما في دائرة المقدس الديني والدليل على ذلك كيف نصدق رغم ما وصلته البشرية من تطور في العصر الراهن أن نرى أشخاصا ذوي مستوى علمي رفيع جدا ينحنون ويسجدون للحيوانات كالأبقار والفئران والأفاعي وغيرها.

فالدين من خلال العقيدة التي يحملها يقود معتنقيه بشكل أعمى دون إعمال للعقل والمنطق وذلك ليس لأنه لا توجد لديهم عقول تفكر، ولكن لأنهم ينظرون إلى تعاليم الدين على أنها مقدسة ولا تحتمل الخطأ، وبأنها مسلمات يجب التقيد بها والخضوع لها فالدين له قوة عجيبة في تحريك السلوك البشري، فهو يدفع الإنسان أحيانا نحو التخريب والعنف والقتل أيضا.

وفي هذا الاطار نجد أنه قد تسللت إلى مجتمعنا تيارات فكرية ومذهبية غريبة عنه لها قواعد وأصول ومسلمات تختلف عما توارثه الشعب الجزائري جيلا عن جيل من وسطية سليمة تستند إلى المذهب المالكي الذي يقر جمهور الفقهاء بأنه أقرب المذاهب للسنة وأكثرها اعتدالا.

اذ عملت هذه التيارات الدينية الوافدة على تشكيل طوائف وفرق دينية متعصبة تدعي كل واحدة منها أنها صاحبة العقيدة الصحيحة مما ولد التطرف والغلو إلى حد بلغ فيه تكفير الطرف المخالف في الرأي واستباحة دمه، وقد انجر عن ذلك عشرية سوداء ذهب ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء.

ثم إنّ توافد التيارات الدينية والمذهبية على مجتمعنا يتزايد يوما بعد يوم وهي ذات مشارب مختلفة فهناك السلفية بأنواعها العلمية والجهادية، وهناك حركة الدعوة والتبليغ، وهناك المذهب الشيعي بمختلف فرقه وهناك الحركة التبشيرية وغيرها، و هو وضع سوف يقود في المستقبل إلى الانقسام الاجتماعي في شكل فرق وطوائف دينية ثم إلى مجتمعات طائفية، و لا شك أن الخطورة لا تكمن في الانقسام ولكن تكمن في الصراع وانتهاج العنف بما يسمى "الإرهاب" لمحاربه الطائفة المخالفة في الرأي ومحاولة فرض الرأي بالقوة ونبذ الحوار كسلوك حضاري أوصى به المولى تبارك وتعالى نبيه الكريم في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾6.

إذن إن هذه التيارات ستؤثر على وحدة المجتمع وعلى أمنه واستقراره حاضرا ومستقبلا خاصة إذا سيء استخدامها وتدخلت أطراف خارجية للتأثير عليها ولنا العبرة فيما يحدث في العراق ولبنان ومصر.

حيث كما سبق الذكر إن الخطر بالنسبة للفكر الديني هو أن له تأثير قوي على السلوك فتأثيره لا يتوقف عند مستوى الفكر بل يتعداه إلى

مستوى الممارسة، ولا شك أن أخطر مظاهر هذا السلوك هي التعصب والتطرف الديني والمذهبي وعدم تقبل الآخر ومحاولة فرض الرأي ولو بالقوة، وهذه أمور تجعل التعايش بين أبناء المجتمع الواحد مسألة صعبة المنال.

و أمام هذا التحدي فإننا نتساءل عن دور مؤسسة الزاوية؟

هل يا ترى ستبقى منغلقة على ذاتها على اعتبار أن الأمر لا يعنيها، وأن تتذرع بأنها متمسكة بالمذهب المالكي؟

وهو تساؤل هام كون أن شبابنا بحاجة إلى معرفة الحقيقة المقنعة التي من شأنها أن توضح حقيقة هذه المذاهب والتيارات الوافدة إلينا حتى تكون لديه الحصانة اللازمة والبرهان اليقيني الذي يمنعه من الوقوع فريسة لأفكار ومخططات هدفها الوحيد هو النيل من وحدة الشعب الجزائري.

والأمر يزادا الحاحا لدى الشباب اليافع (الصغار منهم) كونهم في مرحلة ارساء الشخصية القاعدية لديهم، ونحن بكل أسف نلاحظ أن منظومتنا التربوية قد ركزت على الجانب العلمي وأهملت الجانب التربوي والديني الذي كما أسلفنا له دور خطير في توجيه السلوك، اذ أن شبابنا في ظل هذا الوضع سيكون فارغا غير محصن يمكن تعبئته بما يفِد من مذاهب وأفكار.

مما سبق فإن من واجب الزاوية هو تحصين الشباب خاصة و تسليحه بالفكر الديني الصحيح والسليم القائم على التعاليم الصحيحة

للدين الاسلامي بعيدا عن الغلو و التطرف والعنف خاصة أمام تراجع هذه الوظيفة في مؤسستنا التربوية كما أسلفنا، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلا بد أن توضح الزاوية للشباب وبدون تعصب ما يشوب المذاهب والأفكار الوافدة من مآخذ بأدلة دامغة من الكتاب والسنة، حتى يقتنع الناس فلا يقعوا في المحظور وحتى يرجع من أخطأ السبيل من هؤلاء الشباب.

اذ بالرغم من أن المذهب المالكي قد شكل المرجعية الدينية للمجتمع الجزائري على مر السنين، ولكن اليوم نلاحظ بعض الناس يستقون الفتاوى من هنا وهناك خاصة من الفضائيات دون علم بالاختلافات المذهبية من جهة، ودون علم أولئك المفتيين بأوضاع المجتمع الجزائري وظروفه من جهة أخرى، فقد لاحظنا في بعض برامج الفتاوى بإحدى القنوات الفضائية أن أحد الشباب يتصل بالمفتي ويقول له بل ويطلب منه الافتاء بجواز الافطار في رمضان قبل الشعب الجزائري مدعيا أن الأذان يرفع بشكل متأخر أي بعد دخول الوقت، فما كان من الشيخ مشكورا أن دعاه إلى ضرورة اتباع الأذان وعدم الخروج عن عموم الشعب.

كما قد لا حظنا أن بعض المنتسبين إلى بعض التيارات الدينية يفتون رغم قلة رصيدهم المعرفي بأصول الدين ومقاصده ولا تتوفر فيهم أدنى شروط المفتي، ومما لا شك فيه أن الفتاوى الصادرة عن الفضائيات بعيدة عن واقعنا، لأنه أساسا من شروط المفتي العلم بأحوال الناس وظروفهم من جهة، والدراية الوافية بالفتاوى المؤسسة وغير المؤسسة

(ذلك أن لكل حرفة صناعها فكذلك للفتوى أهلها)، ومجافاتنا لذلك سيولد لدينا فوضى في الافتاء التي من شأنها أن تجعلنا أمام حالة صيغ و انحراف في مجال الفكر والممارسة خاصة لدى أولئك الشباب الذين قد تكون بعض الفتاوى سببا في انخراطهم في الأعمال الارهابية وفي الجماعات المسلحة الأمر الذي ستخلخل فيه المرجعية الدينية الموحدة بالمجتمع.

وإزاء هذا الوضع فما هو دور الزاوية؟

إننا نريد من الزاوية أن تكون كما كانت في الماضي مؤسسة للفتوى وإرشاد الناس وأن تخرج من قوقعتها وعزلتها الاجتماعية، وأن تحافظ على المرجعية الدينية للمجتمع الجزائري، وذلك بأن تقدم الفتاوى للناس وفي مختلف المجالات على أسس علمية صحيحة وأن تعمل على نشرها وتعميما حتى يطلع الناس عليها، فإذا تعزز هذا الدور فان الناس سيعزفون عن استقاء الفتاوى من هنا وهناك طالما أنها في متناولهم.

رابعا: دور الزاوية في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري:

تعبر الهوية الثقافية عن الخصوصية الثقافية التي تميز ثقافة مجتمع ما عن غيرها وتجعل المجتمع متميزا عن غيره من المجتمعات وغالبا ما تظهر دلالات الخصوصية الثقافية في جوانب اللغة والدين والعادات والقيم، الزي وغيرها من مؤشرات الهوية المادية واللامادية، إلا أنه وبفعل العولمة التي عملت على تدويل الثقافة الغربية وجعلها نموذجا يحتذى به ويقاس عليه جعل الضريبة هي طمس ثقافات أخرى، ومسخ الهويات

الثقافية للمجتمعات غير الغربية، و هذا ما يسمى بالغزو الثقافي الذي يعبر عن هيمنة ثقافة معينة واختراقها لثقافة أخرى وذلك عن طريق الانتشار الثقافي بفعل وسائط مختلفة كتكنولوجيا الاعلام.

حيث قد ساعدت تكنولوجيا الإعلام والاتصال على تجاوز الحدود المكانية والجغرافية للانتشار الثقافي، حيث أصبحت المعلومات والمؤثرات تنتشر بسرعة مذهلة وبدون أي حواجز تذكر، فبفعل الفضائيات والانترنت أصبح الأفراد وخاصة الشباب يتلقون المعلومات ومختلف المؤثرات السلوكية إيجابية كانت أو سلبية دون غربلة أو تمحيص أو مراقبة.

هاته المؤثرات التي من شأنها أن يكون لها تأثيرات مباشرة في تغيير أفكار الأفراد وقناعاتهم ثم تغيير قيمهم وعاداتهم وأنماطهم السلوكية، أي أنها تعمل على تغيير ثقافة المجتمع شيئا فشيئا، ويشير بعض الباحثين إلى أن العولمة الاقتصادية تأتي بعد العولمة الثقافية، أي أن العولمة الاقتصادية لا تمارس تأثيرها إلا بعد أن تكون العولمة الثقافية قد فعلت فعلتها، ومثال ذلك أن تغيير الأنماط الاستهلاكية للمجتمع يأتي أولا ثم يتبعه تسويق سلعة يتطلبها ذلك السلوك الاستهلاكي، مثل وجبات "ماكدونالد" و "كنتاكي" وشرب "كوكا كولا"، أو موضة معينة من اللباس الفاضح والغريب أحيانا، ورغم فضاحتها وغرابتها إلا أننا نجد الشباب ذكورا وإناثا يتمسكون بها بشكل ملفت للانتباه، فما سر هذا التمسك ؟

إنه غالبا الفراغ الثقافي المجوف وعدم الحصانة الذاتية اتجاه الآخر أي اتجاه الثقافة الوافدة، وفي ظل هذا الفراغ يقوى تأثير العولمة ويزداد

حجم الاختراق الثقافي، وتنطمس ثقافة المجتمع شيئا فشيئا إلى أن تحل الثقافة الوافدة محل الثقافة المحلية وتقضي عليها نهائيا.

فلطالما كان من أهم أهداف العولمة الثقافية العمل على تصوير النموذج الثقافي الغربي على أنه نموج مثالي يحتذى به في الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية أو في الحياة الاقتصادية، وهذا النموذج يختلف جذريا عن التصور الإسلامي، سواء تعلق الأمر بالإباحية الجنسية أو بالعلاقة المتحررة بين الرجل والمرأة، أو بحرية المرأة، أو بتمجيد الفردانية، أو بتقديم الجوانب المادية على الجوانب الروحية، أو بتشجيع الكسب وتحقيق الأهداف بغض النظر عن الطرق والوسائل(الغاية تبرر الوسيلة)، هذا إلى جانب تشجيع المعاملات الربوية وغير ذلك من النماذج الأخرى الكثيرة.

وأمام هذا الوضع فما هو دور الزاوية؟ و هل ستبقى معزولة كما هي الآن وكأن الأمر لا يعنيها؟

اذن إن ما يفترض أن يكون دور للزاوية هو تحصين أفراد المجتمع وخاصة الشباب منهم ضد هذه المؤثرات خاصة السلبية منها والهدامة، وذلك بتسليحه بالعقيدة السليمة والأخلاق الفاضلة التي تحول بينه وبين تلك المؤثرات، وتنبيهه إلى أخطارها ومفاسدها كما نجد أن لها دور إصلاحي وليس انطوائي أو انعزالي، ذلك أن المجتمع لا يأتي إلى الزاوية بل لابد على الزاوية أن تذهب إلى المجتمع وأن تصلح ما به من خلل وأن تصونه وتحميه ضد هذه المؤثرات، وذلك بنشر تعاليم الدين

الحنيف بين أفراد المجتمع وتذكيرهم بها فان الذكرى تنفعهم وتصلح أمرهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾7.

الخاتمة:

لقد حث المولى تبارك وتعالى على ضرورة التمسك بالدين الإسلامي الحنيف وعدم التفرق والابتعاد عنه، فقال عز من قائل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾8 فوحدة المسلمين في تمسكهم بدين واحد وليس أديان مختلفة، فالوحدة تأتي من تقاسم نفس الفكر ونفس التصورات حيث قد نهى المولى تبارك وتعالى عن التنازع والصراع لأنه يؤدي إلى التفرق والتشرذم والاقتتال وإلى الضعف والهوان فقال عز وجل: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾9.

فالإسلام يدعوا إلى الوحدة لأن فيها قوة الأمة، وينبذ الفرقة لأنها تؤدي إلى ضعف الأمة وانكسار شوكتها، ومن جهة أخرى نجد أن الإسلام قد حرم الاقتتال بين المسلمين فجعل كل من القاتل والمقتول في النار، كما حرم الإسلام استباحة دم المسلم أو ماله أو عرضه والحديث الشريف واضح في هذا الشأن، حيث قال الرسول (ﷺ):"كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»10 فما بالنا اليوم نجد من المسلمين من يبيح دماء إخوانه المسلمين ويستبيح أموالهم وأعراضهم ؟

من ذلك نجد أن العرض السابق طرحه يحيلنا إلى أن هناك تهديدات حقيقية تعصف بالمجتمع الجزائري و تجعل مستقبل وحدته في خطر محتم، الأمر الذي يقتضي التفطن لها وأخذها مأخذ الجد قبل فوات

الأوان، ثم إن مثل هذه التهديدات تقتضي تفعيل دور المؤسسات التربوية المختلفة ومنها مؤسسة الزاوية، هذه المؤسسة التي عليها أن تراجع أدوارها الماضية، التي باتت تقليدية ومتجاوزة، مما جعلها معزولة عن واقع المجتمع ومشاكله وما يعيشه من تغيرات متسارعة في مختلف المجالات وبعيدة أو غير مدركة لما يهدد المجتمع من أخطار محدقة به قد تعصف بكل شيء فيه حتى بذلك الموروث الديني الذي ما فتئت الزاوية تصونه وتنقله لطلبة العلم، بل إن هذه الأخطار قد تعصف أيضا بالزاوية ذاتها، وهذا إذا تم القضاء على المنظومة الثقافية التي تستند إليها في البقاء والاستمرار.

اذن هي دعوة لأن تعيد الزاوية مكانتها ودورها كمؤسسة تربوية دينية، وتمحو ما لحق بها من أوصاف الدروشة وغيرها، لتكون منارة لحفظ القران الكريم وتعلم العلوم الشرعية وكمصدر ومرجع للفتوى، ولكي يتعزز دور الزاوية بشكل فاعل في الحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري وعلى هويته كمجتمع عربي مسلم **نوصي بما يلي:**

ضرورة اندماج الزاوية في المجتمع الجزائري ومعرفة ما يعيشه من تحولات ومشاكل وما يتهدده من أخطار في المدى القريب والبعيد، وإنهاء سياسة العزلة والانطواء.

ضرورة التفتح على المعارف الجديدة والتكنولوجيات الحديثة والاستفادة منها في أداء رسالتها.

بناء المناهج التربوية بالزاوية على العموميات الثقافية المشتركة بين أبناء الشعب والتي توحد المجتمع، ونبذ عوامل الفرقة والتمييز، هذا الى جانب اعتماد قيم الحوار وتقبل الآخر وتقبل المخالفة في الرأي ونبذ التعصب والعنف.

ضرورة انفتاح الزاوية على المذاهب والأفكار الدينية الوافدة، وتوضيح نقاط الخلل فيها بأدلة وبراهين دامغة، وتوضيح النظرة الشرعية السليمة حتى يجتنبها الناس عن يقين واقتناع وليس عن مجرد تقليد.

العمل على غرس قيم الفضيلة والعفة وتحصين الشباب دينيا أمام الغزو الثقافي الداهم.

تشكيل مرجعية دينية في الفتوى وجعل الفتوى متماشية مع المسائل المستجدة في حياة الناس والعمل على نشرها على نطاق واسع بمختلف الوسائل الحديثة، وهذا حتى لا يلجأ الناس على استقاء الفتوى من الفضائيات ومن مصادر غير موثوقة أو لا تنسجم مع مرجعيتنا الدينية.

الهوامش:

* لقد تم الاعتماد في بناء هذا المقال على النقاش الفكري الشخصي الذي قام بها الباحثين اتجاه الظروف والمواقف المحيطة بالواقع المرتبط بالموضوع قيد الدراسة، لذا كان الاستناد على الهوامش في بعض التفاصيل النظرية المتفرقة والقليلة، لكون المراد من هذا البحث ليس البحث المستندي أو المكتبي و انما نقل التحليل النقاشي ووجهات النظر بأسلوب علمي مبوب بعناصر (هي المحتواة في المقال).

1.صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ،دار البرق ،لبنان،2002،ص 301.

2.أحمد مريوش ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر 2007 ص 149.

3.عبد العزيز الشهبي ،الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر ،دار الغرب،وهران ،2007،ص ص 14،13.

4.نفس المرجع ،ص ص 27،26.

5.عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية، دار الشروق ، الأردن، 2004، ص 227.

6.سورة النحل، الآية 125.

7.سورة الذاريات، الآية 55.

8.أل عمران، ص 103.

9.سورة الأنفال، الآية .46

10–مسلم بن الحجاج النيسابوري، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب تحرير ظلم المسلم، رقم: (2564)، ج04، ص . 1986

الأدوار الجديدة للأستاذ الجامعي في الجزائر في ظل التحديات الراهنة.

دراسة ميدانية بمعهد علوم وتقنيات نشاطات التربية البدنية والرياضية بجامعة المسيلة

الدكتور: صالح حسين

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى ممارسة الأستاذ الجامعي لأدواره الجديدة في ظل التحديات الراهنة، وكذلك معرفة طرق وأساليب التدريس وتقويم أداء الطلاب، كما اختصرت الدراسة على استطلاع رأي عدد من الأساتذة بجامعة المسيلة، حيث تم اختيار عينة عرضية حجمها ثمانون " 80 " أستاذا، واستخدم الباحث في دراسته استبيانا من إعداده يتضمن ثلاثة أقسام، وتوصلت الدراسة إلى أن الأستاذ الجامعي بمعهد علوم وتقنيات نشاطات التربية البدنية والرياضية يمارس الأدوار المنوطة به كلها، لكن بنسب متفاوتة وبطرق وأساليب تقليدية.

Résumé:

Cette étude visait à identifier l'étendue de la pratique du professeur de ses nouveaux rôles à la lumière des défis actuels, et visait les façons et les méthodes d'enseignement et d'évaluer la performance des étudiants.

L'étude prend l'opinion d'un certain nombre de professeurs de l'Université de M'sila, où le chercheur a choisir Un échantillon de "80" professeurs, et un questionnaire d'étude de sa préparation deviser a trois sections.

L'étude a conclu que le professeur d'université à l'Institut des sciences et technologies de l'éducation physique et des activités sportives exerce les rôles qui lui sont assignés, mais dans des proportions variables et selon des façons et des méthodes traditionnelles.

Summary:

This study aimed to identify the extent of the professor's practice of his new roles in the light of current challenges, and focused on ways and methods of teaching and assessing student performance.

The study takes the opinion of a number of professors from the University of M'sila, where the researcher has to choose a sample of "80" professors, and a study questionnaire of his preparation deviser to three sections.

The study concluded that the university professor at the Institute of Science and Technology of Physical Education and Sports Activities performs the roles assigned to him, but in varying proportions and in traditional ways and methods.

مقدمة:

إن مكانة الجامعة وسمعتها ترتبط بالمستوى الأكاديمي ومكانة الأساتذة الذين يعملون ضمن كلياتها وأقسامها، لذلك تهتم الجامعات المشهورة في الدول المتقدمة حضاريا بتأهيل الأساتذة الجامعيين على كل الأصعدة وتختارهم للعمل لديها وفق مستواهم الأكاديمي وكفاءتهم وسيرتهم الذاتية واختبار شخصياتهم على وفق مقاييس خاصة.

كما أن وظائف الجامعة متعددة الجوانب ومتشابكة، وبتعدد أدوار مؤسسة التعليم العالي تتعدد وتتجدد أدوار الأستاذ الجامعي خاصة في ظل التحديات الراهنة، لكونه المحرك الأساسي لسياسة المؤسسة، وهو أهم ركيزة من ركائزها، ونجاحها يعتمد بالدرجة الأولى على نجاحه في أداء المهام المطلوبة منه، والتي تمثل مجموعة من الأدوار التي يتوقع أن يقوم بها.

إشكالية الدراسة:

يعد الأستاذ الجامعي أحد العناصر الرئيسة والمؤثرة في العملية التعليمية في المؤسسات الجامعية لأنه عبارة عن المصدر الأساس للمعلومات والمعارف بمختلف أنواعها التي يتلقاها الطالب منذ دخوله إلى الجامعة وتخرجه منها وكل حسب تخصصه، وهو المخزن الكبير للمعلومات التي ينهل منها الطلبة ويتعلموا من خلاله طرائق التفكير العلمي وكيفية حل المشكلات بمختلف أنواعها والتي تصادفهم في حياتهم الدراسية والعملية والاجتماعية.

ويكتسب الأستاذ الجامعي أهميته ودوره الكبير في المؤسسات الجامعية من خلال تنوع وتجدد أدواره ونشاطاته وواجباته فهو نتيجة لطبيعة الدور الذي يقوم به والمرحلة العمرية التي يقوم بتدريسها والدور القيادي والريادي للجامعة في المجتمع نراه يختلف كثيرا في طبيعة عمله عن المدرس في المراحل الدراسية الأدنى من المرحلة الجامعية لأنه يتحمل أعباء إضافية أكبر من غيره، وهذا ما يطرح تساؤلا رئيسيا حول، ما مدى ممارسة الأستاذ الجامعي للأدوار المنوطة به بجامعة المسيلة؟

ويتفرع هذا التساؤل إلى التساؤلات الفرعية التالية:

أي الأدوار أكثر استخداما من طرف الأستاذ الجامعي بالجامعة؟

أي الأساليب المستخدمة للأستاذ الجامعي في التدريس؟

أي الطرق المستخدمة للأستاذ الجامعي في تقويم أداء الطلاب ؟

1 التدريس:

يُعد التدريس الجامعي من أهم الوظائف التي تؤديها الجامعات وهي أكثرها فاعليةً وتأثيراً في إعداد الطلبة للحياة المستقبلية، إذ تزودهم بالمعارف التخصصية والاتجاهات السلوكية الإيجابية والقيمية وكل المهارات العلمية والعملية اللازمة لتأهيلهم كي يصبحوا أعضاء فاعلين في خدمة المجتمع.

على الرغم من إعداد الطلاب المتزايدة والتوسع المطلوب في التعليم الجامعي فلازالت هناك حاجة ضرورية لإيجاد علاقات مباشرة بين الأساتذة والطلاب باعتبار الأستاذ الجامعي قدوة للطا لب يستطيع أن يوجهه في كل المشاكل التي تعترض طريقه، ويرى له النصح الواجب وميسر له السبل في الحصول على المعلومات.

ويمكن تلخيص أهمية التدريس الجامعي للطلاب من حيث أنه:

-له أثر بالغ على التحصيل العلمي والمعرفي والنمو الفكري الاجتماعي والأخلاقي لطلاب الجامعة.

- إعداد الطلاب إعداد مهنيا متخصصا عاليا حسب ما يتفق مع متطلبات قطاعات الإنتاج المختلفة من القوى العاملة.
- للتدريس الجامعي أهمية بالغة حيث يتم من خلاله التفاعل الفكري والمعرفي بين طلبة الجامعة والأساتذة سواء داخل أو خارج قاعات الدراسة.[1]

وإذا كان من المهم أن يحسن الأستاذ التدريس الاستعداد للتدريس، وان يهيئ طلابه لدراسة المادة التي يقوم بتدريسها التهيئة المناسبة، فإنه من المهم أيضا أن يستطيع تنفيذ الخطط والأنشطة التعليمية التي تناسب حاجات الطلاب، وتحقق المرغوب من الأهداف، وهذا يتطلب تنويع طرق وأساليب التدريس، واستخدام وسائل تعليمية متطورة ومتنوعة، والإجابة على أسئلة الطلاب، واستفساراتهم، ومناقشة الطلاب في احدث المستجدات العلمية، وتفسير النظريات والمصطلحات بشكل واضح وبسيط، وتظهر الدراسات انه في بعض الحالات يفشل بعض الأساتذة في القيام بواجبهم التدريسي على أحسن وجه بسبب :

- الافتقار إلى الإعداد الكافي
- ضعف أساليب الإلقاء
- الانجرار بالمحاضرة إلى مستوى أكاديمي أعلى أو أدنى من مستوى الطالب.
- عدم التحسس لما يتوقعه الطالب.[2]

ولكي يقوم الأستاذ الجامعي بدوره الهام وبكفاءة عالية لابد له أن يتمتع بقدر كاف من القدرات والكفايات التعليمية وهي:

جدول رقم 01: يبين أهم كفايات الأستاذ الجامعي [3]

الكفايات الأكاديمية	الكفايات الشخصية	كفايات عالم العمل والعيش المشترك
المعارف العامة المتخصصة	الثقة بالنفس	التوجه الإيجابي نحو الفرص والمخاطر
القدرة على التطبيق	الانضباط	القدرة على جدولة الأولويات
التفكير المنطقي	إدراك مكامن القوة والضعف في الشخصية	مهارات التعامل مع الآخرين
التحليل النقدي	الإبداع	مهارات العرض والإقناع
مهارات حل المشاكل	الاعتماد على النفس	التحلي بالأخلاقيات المهنية
مهارات الاتصال	المرونة والمثابرة	مهارات القيادة وتحمل المسئولية
القدرة على استخدام الأرقام والبيانات	المبادرة والالتزام	مهارات العمل ضمن فريق
مهارات استخدام الكمبيوتر	الرغبة في التعليم المستمر	الإلمام بالأمور الدولية والمحلية

–أما فيما يخص أساليب تطوير كفايات الأستاذ الجامعي التربوية، فعليه ما يأتي:

– تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو مهنته العلمية والتربوية بحيث يؤدي ذلك إلى رضاه عن عمله وسعادته به.

-**الطموح الشخصي للأستاذ:** يتوقف نمو الأستاذ الجامعي مستقبلا على طموحه الشخصي وقابليته للتقدم ومدى تأثره بالتشجيع وبعوامل التطور المحيطة به

-**الاطلاع الواسع:** إن الاطلاع الواسع للأستاذ الجامعي عامل أساسي وهام لنموه العلمي والثقافي، فمما لا شك فيه أن مهنة التدريس الجامعي تتطلب التثقيف الذاتي، ويشمل الاطلاع مجالات التخصص كما يشمل أيضا مجالات الثقافة المختلفة

-**الأساليب المهنية:** إن تنمية وتطوير كفايات وفعالية الأستاذ الجامعي بمؤسسات التعليم العالي تقتضي تنمية وتحسين أساليبه المهنية من خلال المشاركة الطوعية الدورات التدريبية المستمرة، وورش العمل، وحلقات النقاش، المشاركات البحثية.4

2 البحث العلمي:

تزداد مسؤولية الجامعات ويبرز دورها بشكل أكثر أهمية إذا أدركنا أن مؤسسات التعليم العالي تعد مركزا متقدما من مراكز الأبحاث العلمية، وإذا عرفنا أن البحث العلمي ليس جهدا فرديا، بل هو محصلة الجهود المشتركة لمجموعة من الباحثين أو العلماء في حل مشكلة من المشاكل التي يعاني منها المجتمع.

البحث العلمي أحد المعايير الأساسية للتقدم والارتقاء الأكاديمي، لذلك نجد غالبية دول العالم قد ألزمت نفسها بضرورة تقوية ودعم توجه البحث العلمي ودعم جميع مؤسساته وخاصة الجامعات، فوضعت السياسات لتشجيع الأستاذ الجامعي على البحث، وذلك لقناعتها بان الجامعات "هي المحرك الأساسي في عملية التنمية "[5]

ونظرا لأهمية مهمة البحث العلمي تشترط اغلب الجامعات بضرورة تمتع الأستاذ الجامعي بخصائص متعددة مثل تمتعه بالذكاء العالي، وان

تكون لديه اتجاهات فكرية، فيتعامل مع الأمور من منطلقات فكرية ولا يسمح بسيطرة مشاعره وعواطفه، وان يمتلك مهارة التوصيل مع الآخرين، والتعبير بوضوح عن تصوراته وبشكل موضوعي وعلى أسس علمية وموضوعية.

ولتفعيل دور الجامعة في مجال البحث العلمي عليها تبصير الأستاذ الجامعي في البحوث التي لها علاقة مباشرة بدفع عجلة التطور العلمي وهي:

- بحوث أساسية أكاديمية وتهدف إلى زيادة المعرفة والكشف عن الحقائق والنظريات.
- بحوث تطبيقية ترتبط باكتشاف آفاق علمية جديدة بهدف التطبيق المباشر لمشكلات التي تجابه المجتمع.
- بحوث تطورية، وهي بحوث تهدف إلى تحسين وتطوير منتجات ومواد جديدة لزيادة كفايتها.
- بحوث علمية ترتبط بالتكنولوجيا من اجل تسخيرها في خدمة المجتمع والإنسان.[6]

إن وظيفة البحث العلمي أصبحت ركيزة أساسية من عمل الأستاذ الجامعي، ومن خلال البحث ينمو الأستاذ الجامعي ويتقدم في مجال تخصصه، فتوجد علاقة تكاملية بين التدريس والبحث العلمي، فالنشاط البحثي يساعد على تطوير وتحسين المستوى العلمي والمعرفي للأساتذة، وهذا ينعكس بشكل إيجابي على كمية ونوع المعلومات التي يدرسونها للطلاب من خلال أدائهم.

كما أن الوظيفة البحثية، هي السبيل الوحيد للنمو والتطور على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، سواء كانت هذه الأبحاث أبحاثا أساسية، تهدف إلى الكشف عن خبايا الكون أو أبحاثا تطبيقية، تهدف إلى التوصل لاستخدامات محددة، وأغلب أساتذة جامعاتنا يركزون على النوع الأول من الأبحاث أو ما يسمى بالبحث الخاص، و هذا النوع من الأبحاث بعيدة عن تلبية حاجات مجتمعنا في كثير من النواحي والمجالات، خاصة مشكلات التنمية و خدمة المجتمع، عكس الدول المتقدمة التي ركزت على الأبحاث التطبيقية التي تتم في شكل فرق بحثية، استطاعت عن طريقها قطع خطوات هائلة في طريق التقدم وجعلت المسافة بيننا وبينها تتسع باطراد. [7]

وعموما فإن وظيفة البحث العلمي التي يقوم بها الأستاذ الجامعي تتضمن ما يلي:

- التدريب على البحث العلمي وأساليبه ويتحقق أثناء إعداد درجتي الماجستير والدكتوراه.
- التأليف في مناهج البحث وتقنياته.
- الاستمرار في ممارسة البحث العلمي والنشر العلمي في ميدان تخصصه.
- حضور حلقات البحث التي تنظم لصالح الباحثين المبتدئين والمشاركة في تنشيطها ومناقشتها.
- ممارسة الإشراف العلمي على درجتي الماجستير والدكتوراه.
- قراءة موضوعات البحث العلمي للطلبة وإعطائهم توجيهات وإرشادات في البحث.

إن حضور الملتقيات العلمية والمؤتمرات والندوات الوطنية والدولية التي تنظم في ميدان تخصصه والمشاركة فيها لأن حضور مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات والندوات، تخلق جوا من النقاش العلمي مما يساعد على التعرف على أفكار العلماء و تجاربهم على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، لخدمة رسالة الجامعة ورفع المستوى العلمي و المهني للأستاذ، فالأساتذة و الباحثين الذين ينعزلون في مجتمعاتهم العلمية الصغيرة، يكون تقدمهم في مجالات تخصصهم ضئيلا وأبحاثهم تظل محلية بعيدة عن التجريب العلمي للعلم، وبعيدة عن النقد الذي قد يدعمها و ينميها ويعمقها، كما تقل إنتاجيتهم العلمية ودافعيتهم للبحث والابتكار.[8]

ولكن الأستاذ الجامعي في الجامعة يواجه عدد من المشكلات والصعوبات في هذا المجال ومن بينها:

- عدم كفاية المجلات الدورية المتخصصة.
- ندرة حضور الندوات والمؤتمرات العلمية.
- قلة أعداد الأساتذة المهتمين بالبحث العلمي.
- عدم كفاية الأموال المخصصة للبحث العلمي.
- عدم توافر فئة مساعدي الباحثين.
- البيروقراطية والروتين.[9]

3 خدمة المجتمع:

إن اتصال الجامعات بمجتمعاتها وتقديم مجموعة من الأدوار والأنشطة والخدمات لهذا المجتمع أصبح أمرا ضروريا تفرضه المتغيرات

المعاصرة، فلم يعد قيام الجامعة بخدمة مجتمعها أمرا اختياريا كما في جامعات دول العالم الثالث.

كما أن الأستاذ الجامعي مطالب بدور حيوي في تقديم الخدمات المجتمعية ويجب أن يراعى ذلك عند اختياره وإعداده وتقويمه، الوقوف على أهم المعوقات التي تحول دون قيامه بهذه الأدوار على الوجه الأمثل واقتراح الحلول لتلك المعوقات بهدف تفعيل دوره بالجامعات في مجال خدمة المجتمع.[10]

كما يحدد المتخصصون ثلاثة أهداف للجامعة لخدمة المجتمع وتتلخص في الأهداف التالية:

- أهداف معرفية: وهي تتناول ما يرتبط بالمعرفة تطورا أو تطويرا أو انتشارا.
- أهداف اقتصادية: والتي من شأنها أن تعمل على تطوير اقتصاد المجتمع والعمل على تزويده بما يحتاج إليه من خامات بشرية، وما يحتاج إليه من خبرات في معاونته للتغلب على مشكلاته الاقتصادية، وتنمية ما يحتاج إليه من مهارات وقيم اقتصادية.
- أهداف اجتماعية: والتي من شأنها أن تعمل على استقرار المجتمع وتخطى ما يوجهه من مشكلات اجتماعية.

وتتمثل الأهداف الاجتماعية فيما يلي:

- تزويد المجتمع بحاجاته من القوى العاملة المدربة تدريبا يتناسب وطبيعة تغير المهن.
- تدريب الطلبة على ممارسة الأنشطة الاجتماعية مثل مكافحة الأمية، الإدمان، نشر الوعي الصحي وغيرها.

- تكوين العقلية الواعية لمشاكل المجتمع عامة والبيئة المحلية خاصة.
- ربط الجامعات بالمؤسسات الإنتاجية في علاقة متبادلة.[11]

أما فيما بخص الأستاذ الجامعي وخدمة المجتمع، تتنوع مجالات خدمة المجتمع للأستاذ الجامعي وتتعدد أدواره طبقا لظروف وإمكانيات كل جامعة على حدة، وكذلك طبقا لظروف المجتمع المتغيرة، ولذلك نجد هناك تباينا واضحا بين ما تقدمه الجامعات في هذا المجال، وعلى العموم فان هذه المجالات عبارة عن أنشطة وممارسات بهدف تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع في جوانبها المختلفة " الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية " وذلك عن طريق استغلال كل القدرات الفعلية والمصادر المادية لمؤسسات التعليم العالي لتحسين أحوال المجتمعات، وقد صنفت المجالات لخدمة المجتمع في ثلاث أنماط وهى:

البحوث التطبيقية: وهي بحوث يقوم بها الأستاذ الجامعي تستهدف حل مشكلة ما أو سد حاجة المجتمع لخدمة أو سلعة تحددها ظروف وأوضاع معينة.

الاستشارات: وهي خدمات يقوم بها أساتذة الجامعة كل في مجال تخصصه لمؤسسات حكومية ومحلية وكذلك الأفراد المجتمع الذين يشعرون بالحاجة إلى مثل هذه الخدمات.

تنظيم وتنفيذ البرامج التدريبية والتأهيلية للعاملين في مؤسسات الإنتاج بما يحقق مبدأ التربية المستمرة.12

وهناك نماذج حديثة لدور الجامعات في خدمة المجتمع، لقد خطت بعض الدول خطوات كبيرة لجعل الجامعة في خدمة المجتمع المحلى وفيما يلي بعض النماذج:

في جمهورية الصين الشعبية قامت كليات التربية بالتعاون مع دوائر التربية المحلية بتقديم محاضرات تلقى من قبل مدرسي الجامعات عن كيفية الحفاظ على الصحة العامة، وعن الجينات وعن الأخلاق وعلم نفس الطفل، وتقدم هذه الكليات تلك المحاضرات لأولياء الأمور الملحقين بمدارس الإباء.

وفى التعليم العالي الأمريكي تعتبر وظيفة الخدمة العامة إحدى الوظائف الثلاثة الرئيسية للمدرس الجامعي في التعليم العالي بجانب كل من التدريس والبحث العلمي تحدد وظيفتها الأساسية في تقديم الخدمات المجتمعية.

وفى اليابان تقدم الكليات المتوسطة حوالي 500 كلية برامج تستغرق عامين في ميادين تتصل بتنمية المجتمع والعمل على خدمته، وهذه البرامج تتمثل في تعليم الأفراد حفظ الطعام، والتربية في رياض الأطفال...

الجامعات الروسية تقدم خدماتها للمجتمع الخارجي واعتبارها عمل تطوعي، وتشمل هذه الخدمات ما يلي: الفصول المسائية، وتنظيم مقررات مهنية للعامة تتضمن مهارات القيادة، ومهارات الاتصال، ومهارات الخطاب العام، كذلك يتم تشجيع أعضاء هيئة التدريس في مختلف المجالات على إيجاد علاقة طيبة مع الهيئات والمؤسسات المحلية مثل

المدارس المحلية والمكتبات والمتاحف والأندية الرياضية والمؤسسات الصناعية. 13

4 تقويم أداء الطلاب:

يفترض أن يقوم الأستاذ بالدور الأساسي في تقويم الطلاب، وان يتم التقويم في جميع المجالات " دون الاقتصار على الجانب المعرفي "، وان تتعدد أدوات التقويم لتشمل جوانب التقويم الذاتي والتكليفات والأنشطة وإجراء البحوث وان تركز الاختبارات على المستويات العليا من المعرفة.14

ويقوم الأستاذ بتقويم التحصيل من خلال اختبارات ومقاييس، حيث ينظم مواقف اختيارية متنوعة حسب المهمة التعليمية ليحدد مدى الاستفادة منها، وهذا ما يسمى بالتقويم التجميعي فهو لا يقتصر على تقدير تحصيل الطلاب ومهاراتهم وكفاءاتهم، وإنما يمده أيضا بتقديرات عن مدى كفاءة المدرس واستخدامه لتقنيات التعليم المختلفة وبذلك يستطيع أن يعدل ما يراه ليحقق أداء أفضل.

في هذا الإطار ولتحقيق فعالية أكبر في الممارسة التقويمية لابد على المقوم أن يعتمد طرق منهجية في التقويم، وينوع في مصادره ووسائله، ولابد أيضا أن يكون ذو إطلاع واسع في مجال استخدام نتائج التقويم وفوائدها والتحكم فيها وبناء وتصميم نماذج تقويمية فعالة.15

وإذا انطلقنا من أن التقويم هو استراتيجية مباشرة لقياس فعالية التكوين والحكم على نوعية الطالب، هناك مشكلات وظواهر سلبية يعاني منها نظام التقويم في جامعاتنا:

- إهمال التقويم التشخيصي والتكويني والتركيز على التقويم التحصيلي.
- الإفراط في استخدام طريقة واحدة للتقويم " الطريقة الكتابية بأشكالها".
- إهمال وضع سلالم التصحيح.
- عدم الاهتمام بنوعية الاختبارات التحصيلية وصدقها وموافاتها للأهداف المطلوبة.
- انتشار الظواهر السلبية كالغش والتهاون في مراقبة الامتحانات.
- اعتماد أساليب تقويمية تركز على الاسترجاع والحفظ.
- اعتماد الأسئلة ذات الاختيار من متعدد وهي تسهل الغش.

كل هذا يمكن ربطه بالظروف العمل في جامعتنا، فهي لا تشجع الأستاذ على تبني منهجية موضوعية في التقويم، ولهذا أصبحت عملية التقويم تمثل مشكلا أساسيا في التعليم العالي نتيجة ميوعتها وابتعادها عن تحقيق أهداف بيداغوجية واضحة تساهم في رفع المستوى العام للتعليم وتضمن نوعية الخريج.16

5 الإشراف الأكاديمي على الطلاب:

المقصود بالإشراف الأكاديمي، أن كل طالب يمثل للجامعة أهمية كبرى منذ أيامه الأولى سواء من الناحية الأكاديمية أو الاجتماعية، وهو أن يقوم الأستاذ الجامعي بمناقشة بعض الطلاب الجامعيين فيما يحملونه من أفكار وتوعيتهم من خطورة الانسياق وراء بعض التيارات غير الموضوعية فكريا، واجتماعيا، كذلك بقوم الأستاذ بمعاونة الطالب الجامعي في اختيار نوع التخصص ومتطلبات التخرج، وتقديم المساعدة والنصح له، للتكيف مع البيئة الجامعية، والتغلب على الصعوبات التي تعترضه، ومساعدته على اتخاذ القرارات التي تتصل بحاجاته الدراسية والشخصية . 17

في بداية كل سنة جامعية يتم تحسيس الطلبة بدور الأستاذ المتابع للطالب، ويتم فتح باب التسجيل لمن يختار الاستفادة من إشراف أحد أعضاء هيئة التدريس، يتم توزيع الطلبة وفقا لمجموعات ويعلن عن قائمة بأسماء الطلبة المستفيدين من الإشراف، ويوضع جدول زمني لمتابعتهم والإشراف عليهم.18

كما تلعب عملية الإشراف الأكاديمي دورا كبيرا في العملية التعليمية، وينعكس هذا على الطالب والجامعة على حد سواء، وتهدف لجنة الإشراف بالجامعة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- توفير الدعم اللازم للطالب أثناء مسيرته الأكاديمية.

- الإشراف ومتابعة تطبيق إجراءات وتعليمات الإرشاد الأكاديمي في الكلية أوفي الجامعة.

– مساعدة الأساتذة المشرفين بما يضمن إدراك أهمية عملية الإشراف، ودورها في توفير المناخ الأكاديمي الجامعي.

– مساعدة الطلبة على تذليل المصاعب التي تواجههم على الصعيد الأكاديمي والشخصي.19

على الأستاذ متابعة الطالب ومساعدته في كل ما يحتاجه من أجل ضمان سير العملية التعليمية وضمان استكمال متطلبات النجاح في المواد، فضلا عن تحقيق أهداف البرنامج ومخرجاته، وعليه يجب على الأستاذ المشرف أن يبذل كل ما بوسعه من أجل بلوغ هذا الهدف ونجاحه من خلال القيام بالمهام التالية:

–على الأستاذ المشرف الإلمام بالمفردات الخطة الدراسية الخاصة بكل سنة دراسية للطلبة.

– مراقبة الأداء الأكاديمي للطالب، ومتابعة تقدمه ومستوى أدائه في المواد الدراسية ومتطلباته وذلك من خلال:

– فتح ملف خاص للطالب برقم متسلسل يوثق فيه جميع الأوراق والوثائق والمعلومات المتعلقة بمستوى الطالب الأكاديمي وتقدمه في المواد وأدائه، وكل ما يخص الطالب أثناء مسيرته الأكاديمية.

– تقارير وملاحظات الأستاذ المتابع للطالب حول مستوى أداء الطالب وتقدمه والتوصيات الصادرة بحقه إلى عمادة الكلية.

– متابعة التحصيل العلمي للطالب وتقدمه في الفصول الدراسية وتوجيهه ومساعدته أكاديميا وتربويا بما يخدم هذا التحصيل.

– التعرف على المشاكل التي تواجه الطالب وبخاصة ما يؤثر منها على أدائه الأكاديمي والعمل على حلها وتقديم النصح بخصوصها.

– تقديم النصح والإرشاد للطالب مما يساعده على اكتساب المهارات المطلوبة والتحضير للدخول في سوق العمل وتحقيق رغباته.

– تعريف الطالب بالهيكل الإداري والأكاديمي للكلية وأقسام الكلية ومهامها وأهداف برنامج الحقوق ومخرجاته وأسس التقييم.

– إعلام الطالب بمسؤولياته وواجباته على صعيد سلوكه داخل الحرم الجامعي أو على صعيد متطلبات النجاح في المواد الدراسية.

– العمل على تقديم كافة المعلومات المتعلقة بالمسار الجامعي للطالب من مرحلة التسجيل إلى غاية التخرج.20

6 الإشراف على الرسائل العلمية:

يعد الإشراف على الرسائل العلمية، من خلال تدريب الطلبة على مهارات البحث العلمي من أهم فعاليات تحقيق أهداف التعليم العالي وتحقيق أهداف المجتمع من إعداد باحثين مؤهلين للنهوض به.

وتمثل عملية الإشراف على الرسائل العلمية أهمية وخطورة لما لها من آثار وأبعاد على شخصية الأستاذ المشرف والطالب والجامعة والمجتمع. 21

ومما لا شك فيه أن " غياب الإشراف العلمي الواعي والفاعل يؤدي إلى غياب العقل العلمي، بحيث لا يبقى بعد ذلك إلا النقل والتقليد وتمثل النموذج السائد الذي يعمل على تعميق التبعية والخضوع، بحيث يفقد إنتاج العلم والفكر وظائفه الإبداعية الحقيقية ويصبح مجرد غطاء للعجز العلمي، تمتد جذوره إلى بيئة خارجية بعيدة عن مجتمعه الواقعي."

ومع هذا فقد ينظر إلى الإشراف على الرسائل العلمية نظرة سطحية ومبسطة، تغفل الأثر الكبير والهام له، حيث ينظر إليه البعض على أنه عملية خبرة مكتسبة وأنه لا يمكن تعلمه من الكتب وإنما يأتي من خلال الخبرة والممارسة، إلا أنه مع أهمية الخبرة وضرورياتها، فإنه لا يمكن الاستغناء عن الأصول العلمية للإشراف، كما أن الاكتفاء بالخبرة في هذا المجال، يغمط حقوق عملية الإشراف ويبتعد بها عن مجال البحث العلمي.22

إن عملية الإشراف على الرسائل العلمية، متعددة الجوانب ومتشابكة العناصر وليس من السهل الفصل بين عناصرها، فهي عملية علمية فنية وأخلاقية وإنسانية في آنٍ واحد تحتاج إلى مشرف مقتدر وطالب تتوفر لديه جملة من القدرات والمهارات، مما ينتج عن هذا التفاعل بين طرفين أساسيين، عمل علمي متميز ويمكن إجمال أهداف عملية الإشراف على الرسائل العلمية فيما يلي:

– توجيه الطالب الباحث للاضطلاع بمهمة البحث العلمي بإرشاده وتوجيهه إلى المسار السليم في البحث وتذليل الصعوبات أمامه.

– إرشاد الطالب الباحث، بما يجنبه الوقوع في القلق والإحساس بعدم القدرة على إنجاز ما يتوقع منه.

– تقويم أفكار الطالب الباحث ورعايته فيه وإبراز مواهبه وتوجيهه نحو الأفضل في جميع المجالات.

– رعاية بناء شخصية الطالب الباحث العلمية وتعويده على الاستقلال في الرأي بموضوعية تامة، مما يتيح الفرصة لقدراته الإبداعية أن تنمو نموا سليما.

كما أن عملية الإشراف على الرسائل العلمية، تصب بمجملها في مسارين أساسيين، أولهما صناعة "إعداد" باحث علمي متمكن وثانيهما إنجاز بحث علمي متميز يعود بالنفع على المؤسسة التعليمية والمجتمع ككل، ويمكن إجمال دور الأستاذ الجامعي في هذا لمجال على النحو التالي:

– **الدور العلمي الفني:**

وهو يتعلق بعناصر خطة البحث المتعارف عليها ابتداء من مشكلة الدراسة وانتهاء بالنتائج والتوصيات وقائمة المراجع وذلك من خلال:

– توجيه الطالب إلى الأدبيات الخاصة بموضوع الدراسة.

– ممارسة دور الناقد طوال عملية الإشراف لا سيما في مرحلة الكتابة

– يقدم بالتعاون مع الطالب الباحث، مخططاً زمنياً للبحث والتنفيذ، كما يخطط لإعطاء التغذية المرتدة بخصوص التقدم في مراحل البحث كما يرشد إلى فنيات نقل المعرفة كاستخدام البطاقات في جمع وتصنيف المعلومات إلى غير ذلك من جوانب الإرشاد والتخطيط.

– مساعدة الطالب ومعاونته على كيفية طرق البحث العلمي وصولاً إلى المستوى المنشود وهذا لا يمكن أن يحدث بطريقة آلية أو تلقائية، إذ أن على المشرف أن يعلم الطالب الباحث، كيف يطبق التقنيات البحثية المناسبة.

– تدريب الطالب الباحث على التفكير المتعمق في حل المشكلات الفنية التي تواجهه وأسلوب اقتراح البدائل وطرق إحكام الربط بين الوسائل والغايات.

– إتاحة الفرصة للطالب الباحث، لاستثمار المعرفة المتاحة والإجابة عن الاستفسارات المختلفة التي يثيرها الطالب.

– متابعة تقدم الباحث بصورة منتظمة، في تنفيذ خطوات الدراسة وتحديد الواجبات اللازمة لها ومراقبة أعمال الطالب ومتابعة نموه العلمي.

-الدور الأخلاقي:

البحث العلمي عملية أخلاقية، إضافة إلى كونه عملية علمية منهجية، تؤدي إلى اكتساب المزيد من المعرفة ولئن كان البحث العلمي من عمل

العقل، إلا أنه يستند إلى قيم حقيقية، إذ العقل بمفهومه الغامض غير المحدد، عنصر جوهري من عناصر الشخصية الخلقية كما أن الأخلاق الفاضلة، شرط أساس للمعرفة الفاضلة، وهذا التجرد يصرف عن الأمور الشهوانية والانفعالية

الأمانة العلمية:

التواضع العلمي

المرونة الفكرية وعدم التعصب

الموضوعية

تقدير جهود السابقين وعدم التنكر لها. 23

7 أداء الواجبات الإدارية التي يكلف بها من قبل الجامعة:

إن الأستاذ الجامعي إضافة إلى قيامه بالوظائف السابقة الذكر، فإن هناك مسؤوليات تضاف إليه أثناء حياته الوظيفية في الجامعة، وهذه المسؤوليات تتمثل في الوظيفة الإدارية، وتختلف تبعا لاختلاف المناصب الإدارية التي يعتليها هؤلاء الأساتذة منها :رئيس الجامعة، نائب رئيس الجامعة، عميد كلية، رئيس قسم، إلى جانب أعمال إدارية أخرى ...24

ولكن رغم أهمية الدور الذي يقوم به الأستاذ الجامعي، عند توليه للمنصب الإداري، إلا أن ذلك يؤثر على الأدوار الأخرى التي يقوم بها، خاصة التدريس والبحث العلمي والإشراف على الرسائل العلمية ...

إن المناصب الإدارية كثيرا ما تضع أستاذ الجامعة في صراع بين العمل الأكاديمي والعمل الإداري، والكثير من هؤلاء الأساتذة يتهربون من العمل الإداري ويفضلون عملهم الأصلي وهو العمل الأكاديمي.25

وعموما أشارتّ براهمي وريد" في مذكرتها " المعوقات الاجتماعية للأستاذ الجامعي وأثرها على أهداف المؤسسة الجامعية"، أن هناك بعض الدراسات أوضحت، أن أستاذ الجامعة يقضي حوالي 64 %من وقته في التدريس، و 14 % في الأبحاث، و 4% في خدمة المجتمع، و 18% في العمل الإداري، مع تفاوت هذه النسبة بين الجامعات المختلفة، إلا أن الوقت المخصص للتدريس لا يزيد عن 55% و البحث لا يزيد عن 25% ، لذا يعتبر التدريس العمل الرئيسي للأستاذ الجامعي.26

وباستقراء هذه الأدوار نجد أنها تشير إلى تنوع الأدوار المنوطة بالأستاذ الجامعي، وهي من شأنها أن تحقق، أو تعيق أهداف المؤسسة الجامعية.

الجانب الميداني:

تم إجراء الدراسة الميدانية بمعهد علوم وتقنيات نشاطات التربية البدنية والرياضية الذي تأسيس المعهد سنة 2010 بموجب المرسوم التنفيذي رقم 38/10 المؤرخ في 09 صفر 1431 الموافق ل 25 يناير سنة 2010 المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي رقم 01 /274 المؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1422 الموافق ل 18 سبتمبر سنة 2001

المتضمن إنشاء جامعة المسيلة ولا سيما المادة الأولى منه التي تحدد عدد الكليات والمعاهد التي تتكون منها جامعة المسيلة واختصاصاتها:

ومما لا شك فيه ان معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة عرف تطورا كبيرا منذ فتح النواة الاولي والمتمثلة في قسم الادارة والتسيير الرياضي خلال الموسم الجامعي 2004/2003 الذي كان تابعا آنذاك لكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير.

ومع مرور السنوات عرف القسم تطورا كبيرا من خلال الاندماج في سياسة الاصلاحات وفقا لنظام الجديد لـ م د حيث تم فتح خمس شعب وخمسة تخصصات جديدة في الطور الاول ليسانس وخمسة تخصصات في الطور الثاني ماستر، وفتح تخصصين في الماجستير والحصول على الاعتماد الأكاديمي لمنتح شهادة التأهيل الجامعي، وتم ترقية القسم الي معهد لدى الجامعة سنة 2010

الاقسام التابعة للمعهد: قسم الادارة والتسيير الرياضي، قسم التربية البدنية، قسم التدريب الرياضي، قسم النشاط الرياضي المكيف، قسم الاعلام والاتصال الرياضي.

وقد تم اخذ عينة غير عشوائية " الغرضية " متكونة من 80 استاذا " من معهد العلوم وتقنيات نشاطات التربية البدنية والرياضية المكون من 120 أستاذا.

جدول رقم 02 يبين عدد الساعات التي يخصصها الأستاذ لكل دور من الأوار المنوطة به خلال الأسبوع

الأدوار التي يمارسها الأستاذ	المتوسط الحسابي لعدد الساعات التي يخصصها الأستاذ لكل مجال في الأسبوع		المجموع بين الجنسين
	ذكور	إناث	
التدريس	12	10	11
الإشراف على الرسائل العلمية	06	06	06
البحث العلمي	07	03	05
الإشراف أو الإرشادي على الطلاب	04	04	04
العمل الإداري	05	02	3.5
خدمة المجتمع	02	00	01

يتبين من الجدول رقم 02 أن متوسط الحساب لعدد الساعات التي يخصصها الأستاذ الجامعي للتدريس هي بمعدل 11 ساعة أسبوعيا، كما يري أفراد عينة البحث أن متوسط الحسابي لعدد الساعات التي يخصصها الأستاذ الجامعي لعملية الإشراف على الرسائل العلمية هي بمعدل 06 ساعات أسبوعيا، فحين أن متوسط الحسابي لعدد الساعات التي يخصصها للبحث العلمي هي بمعدل 05 ساعات أسبوعيا، بينما يخصص 04 ساعات أسبوعيا للإشراف الأكاديمي أو الإرشادي، ويأتي العمل الإداري ب 03 ساعات ونصف أسبوعيا، أما مجال خدمة المجتمع يخصص له الأستاذ حسب عينة البحث 01 ساعة واحدة في الأسبوع " تدريب فرق وجمعيات ونوادي رياضية أو حصص إذاعية خاصة بالنشاط الرياضي "

ومنه أكثر الأدوار استخدامنا للأستاذ الجامعي تكون مرتبة على النحو التالي: التدريس، الإشراف على الرسائل العلمية، البحث العلمي، الإشراف الأكاديمي أو الإرشادي على الطلاب، العمل الإداري، وخدمة المجتمع.

جدول رقم 03 يبين أسلوب التدريس المتبع من طرف الأستاذ الجامعي

طرق تقويم الخبرة	الاعتماد إلى الإلقاء والإصغاء وقليل من المناقشة					توظيف التكنولوجيا					متابعة الجديد في التخصص				
	نعم		لا		م	نعم		لا		م	نعم		لا		م
	ت	%	ت	%	م	ت	%			م	ت	%			م
1 – 5	23	82.14	05	17.86	28	09	32.14	19	67.86	28	22	78.57	06	21.43	28
6 – 10	21	53.84	18	46.16	39	07	17.94	32	82.06	39	15	38.46	24	61.54	39
11 – 15	06	46.15	07	53.85	13	02	15.38	11	84.62	13	05	38.46	08	61.54	13
م	50	62.50	30	37.5	80	18	22.50	62	77.50	80	42	52.50	38	47.50	80

نرى من الجدول أعلاه أن نسبة 62.50% من المبحوثين يعتمدون في عملية التدريس على طريقة الإلقاء والطلبة في حالة تلقي مع قليل من المناقشة في أخر المحاضرة، كما ان نسبة 22.50. % فقط من أفراد العينة يوظفون التكنولوجيا كوسائط، إضافة إلى 52.50 % من الأساتذة يتابعون الجديد في التخصص المهني.

فيكون الأستاذ هو أساس عملية التعلم، فنرى الطالب سلبيا يعتمد على تلقي المعلومات من الأستاذ دون أي جهد في الاستقصاء أو البحث لأنه يتعلم بأسلوب المحاضرة والإلقاء، وهو ما يعرف بـ" التعليم بالتلقين"،

وهو راجع إلى أن مؤسسات الجامعية لازالت حبيسة نظم تعليم تقليدية، كما أن هناك الكثيرين من الأساتذة بمؤسسات التعليم العالي لم ينالوا إعدادا تربويا خاصا بالمناهج وطرائق وأساليب التدريس وكيفية التعامل مع الطلاب وغيرها من الأمور التربوية اللازمة له كأستاذ، ويتم في الغالب التوظيف بعد حصوله على درجة علمية عليا في أحد فروع العلم المختلفة، وذلك دون النظر للكفاية التدريسية أو المهنية، وبالتالي فهو بحاجة إلى تنمية مهنية من اجل توظيف واستخدام أساليب وطرق التدريس مثل التعلم التعاوني والعصف الذهني والتعلم عن بعد التعلم الالكتروني، والمناقشة الموجهة وعير الموجهة، وورش العمل وطرق حل المشكلات.

جدول رقم 04 يبين طرق تقويم الطلاب التي يستعملها الأستاذ الجامعي

طرق تقويم	تعتمد على طريقة واحدة في التقويم					اعتماد أسلوب الاسترجاع والحفظ					وجود الغش والتهاون مراقبة الامتحانات				
	نعم		لا		م	نعم		لا			نعم		لا		
الجنس	ت	%	ت	%	م	ت	%			م	ت	%			م
ذكور	59	85.50	10	15.50	69	54	78.26	15	21.74	49	48	69.56	21	30.44	69
إناث	09	81.81	02	18.19	11	10	90.90	01	9.10	11	07	63.63	04	36.37	11
م	68	85	12	15	80	64	80	16	20	80	55	68.75	25	31.25	80

يوضح الجدول رقم 04 أن نسبة85 % من المبحوثين يعتمدون على طريقة واحدة في تقويم الطلاب، كما أنهم يستعملون أسلوب الاسترجاع والحفظ في الامتحانات وهذا بنسبة 80 %، في حين أن

ظاهرة الغش والتهاون أثناء مراقبة الامتحانات منتشرة بنسبة 68.75 % في وسط عينة البحث.

إن التقويم التحصيلي القائم على الاختبارات التي تعتمد على الاسترجاع والحفظ، طريقة تقليدية تجعل الطالب قليل الفهم ويراجع دروسه إلا أيام الامتحان ثم بعد ذلك تنسى وتمسح من الذاكرة، كما أنها تمنح فرصة الغش، وهو السائد اليوم بجامعاننا، لذا يجب التنويع في طرق التقويم.

وما يمكن قوله عن الممارسة التقويمية في جامعتنا هو أنها تتبع أساليب تقليدية تضعها في حالة انصياع للامتحانات، مع العلم أن هذه الامتحانات تندرج ضمن تصور التقويم العام وليس التقويم التكويني، وتبقى أهداف التكوين تنحصر في الترتيب والانتقال

عرض نتائج الدراسة:

- يمارس الأستاذ الجامعي بجامعة المسيلة كل أدواره المنوطة به ولكن بنسب مختلفة وبأساليب وطرق تقليدية.
- مجال التدريس أكثر الأدوار استخداما للأستاذ الجامعي، ثم يليه مجال الإشراف على الرسائل العلمية، فمجال البحث العلمي ثم مجال الإشراف الأكاديمي أو الإرشادي، أما مجال خدمة المجتمع هو الأخير.
- الأساليب التقليدية أكثر شيوعا في عملية التدريس، والتقويم.

الاقتراحات:

– تبني استراتيجية واضحة تقوم على تطوير أساتذة الجامعة وتعريفهم بأدوارهم الحقيقية وعلى وفق التطورات العالمية والرهانات والتحديات الحديثة.

– الاهتمام الكامل بالأستاذ الجامعي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية.

– وضع آلية تقوم على تفعيل أدوار الاستاذ الجامعي والاستفادة من طاقاته.

– نشر ثقافة الجودة في جميع الأدوار التي يؤديها الأساتذة الجامعين، وتوعيتهم بأهمية أدوارهم الحقيقة.

– تسهيل تعامل الأستاذ الجامعي مع جميع قطاعات المجتمع العمومي أو الخاص بما يفيد المجتمع.

خلاصة:

إن واقع التعليم الجامعي في الجزائر خاصة والدول العربية عامة يعاني أوجه قصور عديدة وخاصة ما يرتبط منها بأدوار الأستاذ الجامعي ففي مجال التدريس مازالت الأساليب التقليدية هي الشائعة مع إهمال شديد للأساليب المصحوبة باستخدام التكنولوجية المتطورة، وفي الإنتاج العلمي القليل نجد من النادر أن تعالج البحوث التي يقوم بها أساتذة الجامعات لحل مشاكل المجتمع، وكذلك نلاحظ انفصال شبة تام بين الجامعات ومؤسسات المجتمع، ناهيك عن ضعف الإعداد التربوي للأستاذ الجامعي

الجزائري فلا توجد برامج واضحة لإعداد الأستاذ الجامعي وتوضيح أدواره وكفاياته التربوية .

إن التعليم الأمثل هو الذي يغرس مهارات، ولا يكدس معلومات، وهو الذي يلامس متطلبات الواقع، ولا ينغمس في تقديس الماضي.

إن الجامعة بأي حال من الأحوال مهما كانت إمكانياتها المادية والاقتصادية لا يمكنها أن تحقق وظائفها بشكل إيجابي وفعال إلا من خلال الجهود العلمية المتواصلة والعطاء الفكري المميز للأساتذة، بالتركيز على الامتياز في تدريس مادة التخصص وعلى النشاط في الإنتاج العلمي والتجديد في ذلك التخصص، والقابلية على إسداء الأفكار والحلول للمشكلات المتعددة في الجامعة، وفي المجتمع، ويلزم الجامعات أن توفر الجو العلمي والارتياح الشخصي والارتقاء المالي للأساتذة حتى يتفرغوا لما يتوقع منهم.

المراجع:

[1]– لبث حمودي إبراهيم: مدى ممارسة الأستاذ الجامعي لأدواره التربوية والبحثية وخدمة المجتمع بصورة شاملة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 30، لسنة 2011، جامعة بغداد، العراق، ص 199

[2] بدرية بنت راشد بن علي الهادي: مرجع سابق، ص47

[3] لبث حمودي إبراهيم: مرجع سابق، ص 199

[4] لبث حمودي إبراهيم: المرجع نفسه، ص 300

[5] لبث حمودي إبراهيم: المرجع نفسه، ص 301

[6] لبث حمودي إبراهيم: المرجع نفسه، ص 301

[7] براهمي وريدة: المعوقات الاجتماعية للأستاذ الجامعي وأثرها على أهداف المؤسسة الجامعية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم علم الاجتماع، جامعة باتنة، 2005، ص 74

[8] براهمي وريدة: المرجع نفسه، ص 75

[9] لبث حمودي إبراهيم: مرجع سابق، ص 201-202

[10] ناصر الدين الأسد: تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي،منشورات روائع مجدلاوي،عمان، 1996 ،ص49

[11] ناصر الدين الأسد: المرجع نفسه، ص 50

[12] ليث حمودي إبراهيم: مرجع سابق، ص 203

[13] ليث حمودي إبراهيم: المرجع نفسه، ص204

[14] بدرية بنت راشد بن علي الهادي: مرجع سابق، ص48

[15] الويزة طشوعة : تحديد الاحتياجات التدريبية لأساتذة التعليم العالي في مجال التقويم في ضوء متغير نوعية التكوين، مكملة مقدمة بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية مكملة مقدمة بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية لنيل شهادة الماجستير في الإدارة التربوية جامعة فرحات عباس – سطيف ، 2008 ، ص 131

[16] الويزة طشوعة : المرجع نفسه ، ص 132

[17] بدرية بنت راشد بن علي الهادي: مرجع سابق، ص 49

[18] جامعة الجزائر 01: دليل الإشراف، ص 05 –http://www.univ alger.dz

[19] جامعة الجزائر 01: المرجع نفسه، ص 06

[20] جامعة الجزائر 01: المرجع نفسه، ص 08–09

[21] محمود خليل أبو دف: تقييم أداء الأستاذ الجامعي في مجال الإشراف على الرسائل العلمية، مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، كلية التربية ن جامعة عين شمس، مصر، العدد 17 السنة 2002، ص 165

[22] محمود خليل أبودف: المرجع نفسه، ص 169

[23] محمود خليل ابودف: المرجع نفسه، ص 169–170

[24] براهمي وريدة: مرجع سابق، ص 78

[25] براهمي وريدة: المرجع نفسه، ص 79

[26] براهمي وريدة: المرجع نفسه، ص 73

إدارة الأزمات وإشكالية العقلانية في المؤسسة الجزائرية

الاسم واللقب: د/ بلقمري ناهد د/ مشري سعاد

ملخص:

تعتبر إدارة الأزمات من بين السياسات التي تتبع في عصرنا الحالي في مختلف المنظمات، نظرا لكون عالم الأعمال خاصة يعرف العديد من التغيرات المتسارعة وهو ما يجعل هذه المنظمات عرضة للأزمات لذا ينبغي وضع مخطط لإدارتها كتحدي للبقاء والتطور، وبما أن القائم على إدارة هذه الأزمات هو عنصر بشري له قيمه وثقافته، فهذا يدفعنا لنتساءل حول دور هذه الثقافة في تسيير الأزمات وإدارتها، وهو ما سنحاول الوقوف عليه في هذه الورقة البحثية، مع الاشارة إلى واقع هذا التسيير في المؤسسة الجزائرية وأهم المعوقات التي تعترض تطبيق مثل هذه السياسات في مؤسساتها.

الكلمات المفتاحية: الأزمة، إدارة الأزمة، العقلانية.

Résumé:

La gestion des crises est Parmi les politiques qui suivent dans notre temps dans les différentes organisations. En raison de fait, le monde des affaires Surtout connaît de nombreux changements rapides. ce qui rend ces organisations vulnérables aux crises, il faut donc élaborer un plan pour la gestion en tant que défi à la survie et au développement, et Puisque le responsable de la gestion de ces crises est un facteur humain avec ses valeurs et sa culture, Cela nous amène à s'interroger sur le rôle de cette culture dans la gestion et la gestion des crises, et Ce que nous allons essayer de faire dans ce document, En ce qui concerne la réalité de cette gestion dans l'entreprise algérienne et les principaux obstacles à la mise en œuvre de ces politiques dans leurs entreprises.

Mots-clés: la crise, gestion des crises, la rationalité.

Summary

The Crisis management is among the policies that followed in our time in various organizations. The business world in particular is aware of many rapid changes, which makes these organizations susceptible to crises. A management scheme should therefore be developed as a challenge to survival and development. , Since the management of these crises is a human element with its values and culture .This leads us to wonder about the role of this culture in crisis management and management. Which we will try to see in this Research paper, With reference to the reality of this management in the Algerian institution (companies) and the most important obstacles Which oppose the application of such policies in their institutions.

Keywords: Crisis, Crisis Management, Rationalism.

1- مقدمة

تؤدي المنظمة دورا هاما في خدمة المجتمع بحيث تقدم خدماتها في مختلف المجالات، فهي تساهم بشكل كبير في عملية التنمية المجتمعية، وذلك من خلال تقديمها للسلع أو الخدمات التي يحتاج إليها المجتمع. فهي تعتبر جزءا لا يتجزأ من المجتمع وهذا حسب **تالكوت بارسونز** الذي انطلق من تصور التنظيم بوصفه نسقا فرعيا يدخل في إطار نسق اجتماعي أكبر وأشمل كالمجتمع[1]، وبالتالي فالمنظمة نسق مفتوح يؤثر ويتأثر بما يحيط به من تغيرات، وهذا يعني أنها تخضع لتأثير العديد من عوامل البيئة الخارجية والداخلية، وبالتالي فهي كتنظيم عرضة للمشكلات التي قد تتطور لتصبح أزمات، هذه الأخيرة أصبحت من المصطلحات المتداولة على جميع الأصعدة وفي مختلف المستويات الاجتماعية.

وإذا كنا نعيش في عالم التغيرات فإن الأزمة معه تصبح حقيقة ملموسة و يجب الإعداد والوقاية منها، والتنبؤ بحدوثها، والتي إذا ما تم تجاهلها أو تفسيرها بصورة خطأ فهذا سيؤدي إلى وقوع الكارثة وظهور الأزمة بصورة أشد تأثيرا، ويعد التعامل مع الأزمات أحد محاور الاهتمام في الإدارة، حيث يقتضي وجود نوع خاص من المديرين الذين يتسمون بالعديد من المهارات منها الشجاعة والثبات والاتزان والقدرة على التفكير الإبداعي بالإضافة إلى الاتصال والحوار وصياغة ورسم تكتيكات الأزمة للتعامل معها وإدارتها من قبل إدارة المنظمة واتخاذ القرارات المناسبة، اعتمادا على المعلومات التي يتم الحصول عليها جراء تفعيل نظم الاتصال المتوفرة في المنظمات.

وتعد العقلانية كمفهوم كان ولازال محل اهتمام العديد من المفكرين أمثال ماكس فيبر، هربرت سيمون، ميشال كروزييه... وغيرهم، لكونه يتعلق بالأفراد ونظرا للدور الهام الذي يؤديه في مختلف العمليات والمواقف التي يتم التعرض لها في الحياة اليومية بشكل عام وفي المنظمات بشكل خاص، ولكن أصبحت اليوم تطرح مسألة هامة وهي اشكالية تطبيق العقلانية في المنظمات نظرا لوجود مجموعة من العوامل سواء كانت داخلية أو خارجية، خاصة وأنها تتعلق أيضا بالأفراد والذين يحملون مجموعة من القيم والمعتقدات التي يؤمنون بها ويتصرفون على أساسها وهو ما أشار إليه **هربرت سيمون** في نظريته العقلانية المحدودة، الأمر الذي يلغي الجانب الموضوعي المطلق، والتأكيد على أنه لا توجد عقلانية مطلقة وإنما هي أمر نسبي وتختلف حوله حتى وجهات النظر، وتظهر العقلانية في هذه الورقة البحثية من خلال الإجراءات التي يتم

اتباعها للتعامل مع الأزمات التي تواجه المنظمة سواء من حيث العملية التخطيطية أو بتفعيل نظم المعلومات والاتصالات لجمع القدر الكافي من المعلومات وبناء عليها يتم وضع الخطة، واتخاذ القرارات المناسبة حول هذه الأزمات، دون أن تكون هناك ضغوطا خارجية أو داخلية تؤثر على تطبيق هذه الإجراءات.

وبما أن المنظمة تتشكل من البيئة المادية التي تمثل المباني والآلات... والبيئة الاجتماعية التي تشتمل على أفراد ينتمون إليها بمختلف الفئات السوسيومهنية، والذين وجدوا لتحقيق أهداف التي وجدت من أجلها المنظمة، وهؤلاء الأفراد يعيشون ضمن إطار ثقافي يتكون من اللوائح والقواعد إضافة إلى ما اكتسبوه في مجتمعهم الذي جاءوا منه مشكلين ثقافة تنظيمية؛ وهذا يعني أن الإدارة ليست مجرد نظم وفق قوانين، وإنما هي أيضا عملية ترتبط بها مجموعة من المبادئ والسلوكيات والمفاهيم الأخلاقية التي ينبغي أن تتماشى مع القيم والتقاليد والمعتقدات والاتجاهات والمثل العليا السائدة في المجتمع، فهذا يدفعنا للتساؤل عن:

- ماهي المؤشرات التي تدل على العقلانية في إدارة الازمات؟
- ماهي العوامل التي يمكن أن تؤثر على تطبيق إجراءات إدارة الأزمة في المنظمة بشكل عقلاني؟
- إلى ما يعود فشل المؤسسة الجزائرية في الخروج من الأزمات التي عانت منها؟ هل يعود إلى الإمكانيات المادية أم طرق التسيير السائدة في المؤسسات؟.

2- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية البحث في كون أن البحوث والدراسات التي تناولت موضوع إدارة الأزمات المحتملة، قد ركزت على توفير النظم الفنية، والتقنيات، والتجهيزات الآلية، ونظم الاتصالات اللازمة للاستعداد للأزمات، دون يكون هناك اهتمام فيما يخص الفرد في المنظمة سواء من حيث القيم أو المعايير أو الأعراف، الدوافع والأهداف... والتي قد يكون لها تأثيرا مباشرا على الأفراد الذين يواجهون الأزمة ويتعاملون معها.

3- أهداف الموضوع:

بناء على إشكالية البحث والأهمية التي يكتسيها فإن الهدف لا يخرج عن كونه محاولة لتحقيق مجموعة من الجوانب أهمها:

- معرفة الدور الذي تلعبه تطبيق العقلانية في مواجهة الأزمات باعتبار أن أي تنظيم يضم مورد بشري يحمل ثقافة اكتسبها من البيئة التي يعيش فيها، بالإضافة إلى النظام الذي يقوم عليه التنظيم من لوائح وقوانين وغيرها.
- معرفة الأسباب وراء فشل المسير الجزائري في مواجهة الأزمات التي تعاني منها المؤسسات.

4- تحديد المفاهيم:

من بين المفاهيم التي ينبغي تحديدها:

4-1- الأزمة:

هناك العديد من التعاريف للأزمة من بينها:

تعريف Panchant and Douville (1993):

هي مواقف مربكة تواجه المنظمة أو النظام كله وتتحدى الافتراضات الأساسية المتعارف عليها ومستحدثة وتؤدي فيما بعد لاستجواب دقيق للنظام والافتراضات الأساسية بواسطة أعضاء هذا النظام.

وهذا التعريف يركز وصف الأزمة وعلى ضرورة الاستجابة لمواجهتها.

ويعرفها **Bieber (1988)**: على أنها نقطة تحول في أوضاع غير مستقرة ويمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوبة إذا كانت الأطراف المعنية غير مستعدة أو غير قادرة على احتوائها ودرء لأخطارها.

وهذا التعريف يركز على نتائج الأزمة السلبية إذا لم تكن الأطراف على استعداد أولا تمتلك الإمكانيات لمواجهتها.

ويذهب **الحملاوي: (1994)**:إلى تعريف الأزمة بأنها عبارة عن خلل يؤثر تأثيرا ماديا على النظام كله، كما انه يهدد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها هذا النظام.

كما تعرف على أنها:

هي حالة تمزق تؤثر على النظام كله وتهدد افتراضاته الأساسية ومعتقداته الداخلية وجوهر وجوده[2].

4-2- إدارة الأزمة:

تعرف علي أنها: أسلوب إداري يحقق تسوية ومواجهة للازمة بطريقة مرنة، بما يكفل عدم الوصول بها إلي مرحلة أكثر خطورة ويقلل الأضرار الممكنة والأفراد.

وتعرف على أنها: علم وفن إدارة التوازنات والتكيف مع المتغيرات المختلفة وبحث آثارها في كافة المجالات، أوهي الإعداد والتقدير المنظم والمنتظم للمشكلات الداخلية والخارجية، التي تهدد بدرجة خطيرة سمعة المنظمة وبقائها.

هي عملية إدارة خاصة من شأنها إنتاج استراتيجية لمواقف الأزمات من خلال مجموعة من الإداريين المنتقين مسبقًا والمدربين تدريبًا خاصًا والذين يستخدمون مهاراتهم بالإضافة إلى إجراءات خاصة من أجل تقليل الخسائر إلى الحد الأدنى.

يرى **شومان أن إدارة الأزمة** هي عملية إدارية مقصودة تقوم على التخطيط والتدريب بهدف التنبؤ بالأزمات والتعرف على أسبابها الداخلية والخارجية وتحديد الأطراف الفاعلة والمؤثرة فيها واستخدام كل الإمكانيات والوسائل المتاحة للوقاية من الأزمات أو مواجهتها بنجاح بما يحقق الاستقرار وتجنب التهديدات والمخاطر مع استخلاص الدروس المستفادة واكتساب خبرات جديدة تحسن من أساليب التعامل مع الأزمات في المستقبل[3].

هذه التعاريف تتفق على أن إدارة الأزمة أسلوب إداري ينطوي على مجموعة من الإجراءات التي يتم اتباعها لمواجهة الأزمات التي تواجه التنظيمات أيا كان نشاطها.

4-3- العقلانية: (العقلنة)

استخدم المصطلح من قبل فيبر للدلالة على نمط معين من السلوك العقلاني الذي يحدد الوسائل والغايات في مقابل السلوك العاطفي والتقليدي ويستخدم المصطلح في علم الاقتصاد بمعنى استعمال الوسائل

الصحيحة لبلوغ أهداف مرغوبة، وهو تفكير أو فعل واع منبثق من قواعد المنطق والمعرفة الامبريقية[4].

وتشير العقلانية إلى استخدام الخيارات الحكيمة المبنية على أساس اختيار العقل وليس على أساس ردود الأفعال العاطفية أو الوجدانية أو القيمية في تفسير وتحليل السلوك الإنساني[5].

وتعرف على أنها ذلك التفكير والسلوك الواعي الذي يتفق مع أحكام المنطق والمعرفة التجريبية، والذي يتسم بأهدافه المتماسكة والمتزنة التي يمكن تحقيقها من الواسطة الموضوعية العلمية[6].

وتشير التعاريف التي تناولت مفهوم العقلانية إلى أنها تعني تغليب العقل على العواطف سواء من ناحية التفكير أو حتى من ناحية السلوك.

5- أساسيات حول إدارة الأزمة:

5-1-خصائص ومميزات إدارة الأزمة:

يتميز أسلوب إدارة الأزمات بالعديد من الخصائص والمميزات ومن بينها:

- أن الأزمات تحتاج إلى إدارة خاصة مكتملة للتعامل مع الأزمات بشكل كامل ووفق دراسة نظرية علمية يقوم بها أعضاء فريق مكتب إدارة الأزمات ومن ثم يقوم أعضاء مكتب إدارة الأزمات بتطبيق الحل الصحيح بكل ثقة ووفق خطة مرسومة.
- إن من الخصائص العلمية الهامة للأزمات أنها تقع فجأة دون سابق انذار وتصل سلبياتها إلى كل شخص داخل المنظمة وخارجها كذلك.

- تداخل المعلومات تشابك الأفكار وتعقد الظروف وتشتت الجهود الذهنية والفكرية عند مدراء في مختلف المستويات الإدارية.
- نقص المعلومات وقلة البيانات التي يحتاج لها المدراء للتعامل مع الأزمات.
- عدم وضوح الرؤية الفكرية لدى مستويات الإدارات المختلفة وإصابتهم بشلل التفكير وتوقف الإبداع وعدم معرفة كيفية التعامل مع الأحداث والأمور.
- عدم إحساس الإداريين بإشارات تحذير الأزمات قبل وقوعها نظرا لأنهم لا يعرفون ما هي التحذيرات ويجهلون قيمتها لقلة علمهم بعلم إدارة الأزمات[7].

5-2-متطلبات إدارة الأزمة:

بهدف التعامل مع الأزمات مهما كان نوعها لابد من توفير قدر من البيانات والمعلومات التي يتم من خلالها تحديد الأسباب الحقيقية للأزمة والعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها، وهذا لا يتأتى إلا من خلال توفر نظم اتصالات ومعلومات تتميز بالفعالية والكفاءة:

- **تكوين فريق إدارة الأزمات:**

لتكوين فريق إدارة الأزمات يكون ممثلا لأعلى سلطة، لأن الأزمة تتطلب ردود أفعال غير تقليدية مقيدة بضيق الوقت وضغوط الموقف، هذا وتعتبر طريقة فرق العمل من أكثر الطرق شيوعا واستخداما للتعامل مع الأزمات وتتطلب وجود أكثر من خبير ومختص وفني في مجالات مختلفة وحساب كل عامل بدقة وتحديد التصرف المطلوب بسرعة وتناسق مع عدم ترك الأمور للصدفة[8].

- **نظم الاتصال والمعلومات الخاصة بإدارة الأزمة:**

وتكمن أهمية العملية الاتصالية في كون مدير الأزمات غالبا ما يكتشف أن أحد الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء استفحال الأزمات وتطورها المتسارع هو عدم وجود نظام فعال للاتصالات بين المستويات الإدارية المختلفة في الكيان الإداري، بل يجد أن هناك خطوط تصدع في التنظيم الرسمي لهذا الكيان، وفجوات بين مستوياته الإدارية المختلفة وعمقت الفجوة بينها، في الوقت الذي نمت فيه وتكاملت قوة التنظيم غير الرسمي وأصبح قادرا على تحريك القوى وصنع الأحداث الأزموية، ونظام الاتصال الفعال في الكيان الإداري يجب أن يتم فحصه بدقة وسرعة لمعرفة أين يكمن الخلل ومن ثم معالجته قبل أن تستفحل الأزمة وتشتد لتأمين حركة فريق إدارة الأزمات[9].

وتحتاج عملية الاتصال أثناء إدارة الأزمات إلى كم مناسب من المعلومات الملاءمة والفورية لتداعيات أحداث الأزمة، لذلك يتعين توفير نظام اتصال يتميز باستخدام سياسة الباب المفتوح لأنها أفضل الأساليب الوقائية ضد حدوث الأزمة مع استخدام وسائل الاتصال الرسمية وغير الرسمية، ويجب أن يكون نظام الاتصال في المؤسسة انسيابيا ودقيقا وسريعا، ويسمح بتدفق المعلومات بين المستويات المختلفة باستخدام التقنية الحديثة كالحاسب الآلي والانترنت[10].

- **التخطيط لإدارة الأزمة:**

يعد التخطيط هو العامل الأساسي لنجاح عملية إدارة الأزمات، حيث يساهم التخطيط الجيد في منع حدوث الأزمة وتلافي عنصر المفاجآت المصاحب لها، ويتيح التخطيط لفريق العمل بإدارة الأزمات القدرة على

إجراء رد فعل منظم وفعال لمواجهة وإدارة الأزمة بكفاءة عالية، ويعتمد التخطيط على :

- السمات الشخصية والاتجاهات لقادة الأطراف.
- خلفية تاريخية عن الأزمة وبيانات تاريخية عن أزمات مماثلة.
- إمكانية وقدرات الأطراف ومدى فاعليتها لتحقيق الهدف.
- الأهداف والمصالح المشتركة في الأزمة ومدى شرعيتها وتأثيرها على المصلحة العامة.

وتبني التخطيط كمتطلب أساسي مهم في عملية إدارة الأزمات، كما يقول **الحملاوي** أفعالنا ماهي إلا رد فعل وهناك فرق كبير بين رد الفعل العشوائي ورد الفعل المخطط له، ومعظم الأزمات تتأزم بفعل أخطاء بشرية وإدارية وقعت بسبب غياب القاعدة التنظيمية للتخطيط، ويستطرد **الحملاوي** قائلا إن لم يكن لدينا خطط لمواجهة الأزمات فإن الأزمات سوف تنهي نفسها بالطريقة التي تريدها هي لا بالطريقة التي نريدها نحن[11]، ويمر التخطيط لإدارة الأزمة بمجموعة من المراحل:

- ❖ المرحلة الأولى: هي الإحساس بالواقع ومحاولة معرفة مشكلاته.
- ❖ المرحلة الثانية: تتمثل في جمع البيانات والمعلومات التي توضح وتبرز موضوع التخطيط بحيث تكتمل الصورة أمام المهتمين.
- ❖ المرحلة الثالثة: تتمثل في تحديد وتوضيح الهدف أو الأهداف التي من أجلها يوضع التخطيط بحيث تعرف المنظمة ماذا تريد؟ ماذا تهدف؟ وذلك في ضوء الإمكانات المتاحة.
- ❖ المرحلة الرابعة: تتمثل في تنظيم الأولويات، البداية بالأهم ثم الأقل أهمية وهكذا ثم وضع معايير المتابعة والتوجيه والتقويم.

- المرحلة الخامسة: تتمثل في معرفة الحالات المماثلة في هذا المجال للاستفادة من تجارب وخبرات الغير.
- المرحلة السادسة: تتمثل في عملية التنفيذ أو التجريب المحدود أو المتدرج والوقوف علي نتائجها لمعرفة الإيجابيات التي يمكن تثبيتها والسلبيات التي يمكن تلاشيها أو عقبات يمكن التغلب عليها ثم التنفيذ في نطاق واسع[12].

ولذا فالتدريب على التخطيط للأزمات يعد من المسلمات الأساسية في المنظمات فهو يساهم في منع حدوث الأزمة أو التخفيف من آثارها وتجنب عنصر المفاجآت المصاحب لها كما يتبين أيضا أن التخطيط يتيح لفريق عمل إدارة الأزمات القدرة على اجراء رد فعل منظم وفعال لمواجهة الأزمة بكفاءة عالية الاستعداد لمواجهة المواقف الطارئة غير المخطط لها التي قد تصاحب الأزمة[13].

- **اتخاذ القرار لإدارة الأزمة:**

تحظى عملية اتخاذ القرار بأهمية بالغة في حياة الأفراد بشكل عام وفي المنظمات بمختلف نشاطاتها بشكل خاص، وقد تناولها العديد من علماء الإدارة بالدراسة والتحليل، لأنها تعد قلب الإدارة النابض وهذا حسب **هربرت سيمون**، إذ لا يمكن للمنظمة ان تتحرك وتنمو ولا تدوم بدون سلسلة من القرارات الرئيسية والفرعية المتكاملة في اتجاه تحقيق الأهداف بكفاءة عالية، وإدارة الأزمات هي عبارة عن مجموعة من الإجراءات تبدأ بتشكيل فريق الأزمة ووضع الخطط مع تفعيل نظم الاتصال للحصول على المعلومات، وصولا إلى اتخاذ القرارات الصائبة

التي تتم بها معالجة الأزمات التي تواجه المنظمات بشكل عام، لأن القرار الخاطئ تكلفته عالية وقد يؤدي إلى الانهيار.

5-3-طرق و أساليب عملية اتخاذ القرارات في الأزمة:

تختلف طرق وأساليب اتخاذ القرارات في موقف الأزمة باختلاف نوع الأزمة ومجالها، وعمقها وشدتها حيث أن الأزمات المتوقعة يتم اتخاذ القرارات بشأنها تبعًا لاستخدام التفكير الإبداعي عن طريق:

- تحديد الأزمة وتوليد وتنمية الأفكار المتعلقة بالأزمة.
- تحليل الأفكار وتقييم الأفكار ومن ثم تنفيذ الأفكار.

أما الأزمات غير المتوقعة والغامضة وشديدة التأثير فإن الاعتماد على نفس طرق وأساليب اتخاذ القرارات التي كانت معتمدة قبل وجودها فإن ذلك يعني تأزم القرار، لأن متخذ القرار لا يمكنه التخلص من الوضع المحيط بموقف الأزمة الذي يتطلب اتخاذ قرارات سريعة في ظل تسارع الأحداث وضيق الوقت مع نقص المعلومات. لذلك فإن الأسلوب الأقل ضررا في حالة عدم التأكد هو اتخاذ قرارات باستخدام المنهج المفتوح النهاية، بحيث يتم اتخاذ القرارات في موقف الأزمة دون تحديدات أولية، وإنما يتم عن طريق تحديد هدف ووسيلة القرار بالتدرج ومن خلال اكتشاف المجهول أثناء التعامل مع الأزمة[14].

6- إدارة الأزمات وإشكالية العقلانية:

يعد أسلوب إدارة الأزمات من الأساليب الحديثة في التسيير حيث يساعد المؤسسة على الاستمرار والبقاء في ظل التحديات التي تواجهها، وهذا لا يتم إلا إذا كان هناك تطبيق لمجموعة من الإجراءات والمتطلبات التي يرتكز عليها هذا الأسلوب بطريقة عقلانية، بداية من تكوين فريق

لإدارة الأزمة وجمع المعلومات بالقدر المطلوب من خلال تفعيل نظم الاتصال، ليتم وضع الخطط اللازمة وصولا إلى اتخاذ مجموعة من القرارات التي تساعد على مواجهة الأزمات التي تعترض المنظمة بغض النظر عن نوع نشاطها، ولكن بما أن لكل مجتمع خصوصياته ولكل مؤسسة قوانينها ومعاييرها وقيمها خاصة والتي تدخل في تكوين بنائها الاجتماعي، فإنه من الصعب تطبيق كل الأساليب في جميع المجتمعات وفي جميع المنظمات بنفس الطريقة خاصة وأن العقلانية هي أمر نسبي وليس مطلق وقد تتعارض هذه العقلانية مع مجموعة من العوامل الثقافية خاصة القيم التي تعد أحد الجوانب الهامة في دراسة السلوك التنظيمي ويعود السبب في ذلك إلى أنها تشكل أساسا لفهم الاتجاهات والدوافع، وتؤثر على إدراكاتنا، وكذلك ينظر إلى القيم كقوة محركة ومنظمة للسلوك، كما تعتبر معيار يلجأ إليه الأفراد أثناء إجراء مقارنات بين مجموعة من البدائل السلوكية وكحل موحد للثقافة العامة، وأيضا تعد محددا للأهداف والسياسات، بحيث يجب أن تكون هذه الأهداف متوافقة ومنسجمة مع القيم، وهذه الأخيرة تبرز أيضا الاختلافات الحضارية بين المجتمعات المتنوعة وهو ما يؤثر على السلوك التنظيمي بشكل واضح، فقيم المجتمعات تتنوع من حيث الاخلاص والأمانة، واحترام الوقت، والجدية، وطاعة أوامر المسؤولين، وتعمل كمعايير يستخدمها الفرد من أجل ارشاده في سلوكه اليومي، فهي تمكن من الاحتكام إليها في تقويم سلوكيات الفرد المختلفة، وكذلك تلعب القيم دورا في تحديد نوعية الأفراد الذين يمكن أن يتوافق الفرد معهم[15].

ومن هنا تظهر التأثيرات التي يمكن أن تحدثها القيم وتؤثر على العقلانية في استخدام أسلوب إدارة الأزمات فالأولى عبارة عن مجموعة من الخصائص التي يرغب فيها الأفراد بالإضافة إلى ما تم اكتسابه من المجتمع الذين يعيشون فيه ولا يمكن التخلي عنها بسهولة، وهو الأمر الذي يصعب من مهمة تطبيق إجراءات إدارة الأزمات بعقلانية في المنظمة خاصة وأن من يقوم على تطبيق هذه الإجراءات هم الأفراد، وهم مورد له قيمه ومعاييره ودوافعه التي توجه سلوكياته وهو ما ذهب إليه **سيمون** حيث يرى أن سلوك الفرد لا يكون داخل التنظيم رشيدا (عقلانيا) على الإطلاق نظرا لوجود دوافع لا شعورية توجه هذا السلوك لتحقيق أهداف خاصة، كما تحدد له تلك الدوافع البدائل والخيارات التي يتعين عليه أن يختار من بينها ما يراه ملائما لتحقيق تلك الأهداف[16]، وبالتالي فإن من الضروري معرفة وفهم القيم السائدة في أي مجتمع وذلك لفهم السلوك التنظيمي المتوقع من الافراد، ففي مجال السلوك، تلعب القيم دورا هاما في خلق وتكوين اتجاهات الفرد، حيث تعتبر القيم هي المعايير التي يلجأ اليها الفرد في تقييمه للأشياء، ويشير العالم McMurray إلى أثر القيم في السلوك بالقول: "أن القيم تقوم بتحديد ما يعتقده الفرد صحيحا وأخلاقيا[17]"؛ وبالتالي فإن العقلانية وببساطة هي أمر نسبي تتأثر بمجموعة من العوامل وأهمها القيم ودوافع الشخص، فأي فرد يتخذ القرارات قد يعتبره عقلاني في نظره ولكن غير عقلاني في نظر الآخرين.

ومن أجل التعامل مع الأزمات لابد من اتخاذ مجموعة من القرارات التي تأتي بعد جمع البيانات والمعلومات، وبالتالي فالاتصال واتخاذ

القرار هما عمليتين متداخلتين ومتكاملتين، إذ يعتمد نجاح نظام المعلومات، وحسن توظيفها في إدارة الأزمة بفاعلية على بعض الاعتبارات التي يتعين على المدراء مراعاتها وتتمثل في ربط نهائيات نظام المعلومات بمراكز اتخاذ القرارات في موقف الأزمة، والتي غالبا ما تكون ميدانية وقريبة من مجريات أحداث الأزمة لضمان تغذيتها بالمعلومات أولا بأول، وتجاوز القنوات الرسمية الروتينية في نقلها إذا دعت الحاجة لذلك، وإفساح المجال لمبادرات وقنوات الاتصال غير الرسمية لضمان ايصال الكم والنوع المطلوبين من المعلومات في الوقت المناسب لمراكز اتخاذ القرارات، والتأكيد على التحديث المستمر للمعلومات، لأنها قد تتقادم بسرعة في موقف الأزمة ويجب أن تكون هناك مواكبة للأحداث، ليتم تبويبها وتصنيفها طبقا للاحتياجات لكي يسهل استخدامها وتوظيفها بفاعلية في موقف الأزمة[18].

وبالتالي تؤدي نظم الاتصال والمعلومات دورا رئيسيا في وضع الخطط من خلال تخمين الأزمات المحتمل مواجهتها وأطرافها والظروف المحيطة والتحديد الدقيق للأسس الاستراتيجية الواجب اتباعها في مراحل الأزمة المختلفة، سواء كان ذلك في مرحلة اتخاذ إجراءات الحد منها، أو في مرحلة مواجهتها أو في مرحلة ما بعدها، وهذا التخمين أو إن أمكن القول التنبؤ يكون مبنيا على أساس قاعدة من المعلومات والبيانات تكون كافية لوضع الخطط، خاصة وان هذه العملية تعمل على نقل وتبادل المعلومات والأفكار والتعليمات المتعلقة بالأزمة بين قائد فريق الأزمات وأعضاء الفريق والهيئات المساندة للفريق باستخدام قنوات الاتصال الرسمية أو الغير رسمية من أجل إيصال الكم والنوع المناسبين من

المعلومات في الوقت المناسب لمتخذ القرار لكي يتمكن من مواجهة الأزمة[19]، ولكن استخدام قنوات الاتصال غير الرسمية يؤدي إلى ظهور الإشاعة أيضا وهو ما قد يؤثر على طريقة التعامل مع الأزمة، وإذا اتينا إلى المنظمة الجزائرية خلال المراحل التي مرت بها فإننا نجد أنها عرفت مجموعة من الأزمات المختلفة؛ بل يمكن القول أنها أصبحت تتعايش معها. وقد انعكس ذلك على عملية الاتصال في المؤسسة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي حيث ظل يعاني هذا النظام من تصلب دائم في القنوات وغياب للمعلومات وتحريفها أو إعاقتها، بالإضافة إلى تنامي شبكة الاتصالات غير الرسمية على حساب الاتصالات الرسمية وسوء توظيف تقنياتها، واقتصار الخطوط على الاتصالات النازلة. أما على مستوى الاتصال الخارجي فقد تحكمت في حركته وفاعليته السياسة العامة للاقتصاد القائم على الاقتصاد المخطط.

وهذا يعني أن العملية الاتصالية تعد الأساس داخل المنظمة حيث تبنى على أساسها العمليات الأخرى سواء التخطيط للأزمة أو اتخاذ القرارات حولها، وإذا لم تكن قاعدة البيانات والمعلومات صحيحة ومواكبة للتغيرات الحاصلة فهذا سيؤثر حتما على الخطط التي يتم وضعها للتعامل مع الأزمات التي تعترض المؤسسة، ونفس الشيء يحدث في عملية اتخاذ القرار والتي تحدث عنها **هربرت سيمون** عندما ذهب إلى أن العقلانية الكاملة في عملية اتخاذ القرار أمر غير واقعي لأن هناك مجموعة من العوامل تؤثر في عملية اتخاذ القرار من بينها قلة المعلومات المتوفرة لدى متخذ القرار مع عدم دقتها فلا يمكن للإنسان أن يكون على دراية تامة بكل الظروف والمعلومات، بالإضافة إلى

المتغيرات البيئية التي تقع خارج سيطرة الفرد باعتبار أن التنظيم نسق مفتوح ويعيش في بيئة مضطربة ومعقدة ومتنوعة، فهناك ضغوط خارجية تنظيمية واجتماعية واقتصادية قادمة من البيئة التي تعمل في وسطها المنظمة والتي لا تستطيع السيطرة عليها، بالإضافة إلى درجة المنافسة التي تواجه المنظمة في السوق[20].

وبالتالي فإن جزء كبير من عمل المدير هو التعامل مع بعض الغموض؛ وبالتالي هناك دائما درجة من المخاطرة في عملية اتخاذ القرار، ولهذا فحسب **سيمون** فإن هناك عوامل تتأثر بها هذه العملية من بينها قدرات الشخص ومهاراته وتكوينه الفسيولوجي وما يؤمن به من قيم وفلسفات وعقائد إذ تتأثر عملية اتخاذ القرار بقدرات الفرد وخصائصه الذهنية والجسمانية، ومن بين هذه الخصائص الهامة نجد عوامل شخصية تؤثر في اتخاذ القرار كالثقة واحترام الذات والمعتقدات الشخصية[21]، فالقيم التي يؤمن بها متخذ القرار، اتجاهاته، ومعارفه قد تؤدي إلى اتخاذ قرارات غير منطقية، كما أن الشخص يكون منطقيا مع أهداف التنظيم والذي يعمل به بالقدر الصحيح من المعلومات التي تتوفر لديه عن هذا التنظيم وأهدافه وظروفه المحيطة[22].

وبالنسبة للجزائر فكما هو معروف أن منظماتها تعرضت للعديد من الأزمات، ولكن لم يكن هناك كفاءات لتسيير هذه الأزمات وحلها، وقد حاول المسؤولين على هذه المنظمات مواجهتها والبحث عن الحلول لكنهم فشلوا، وفي كل مرة كانت هذه الأزمات تتزايد حدتها بسبب عدم تسييرها بفعالية وقد تراكمت عبر سنوات، وهذا يعود إلى أهم الجوانب الممثلة لثقافة المنظمة وهي ثقافة المسير بالدرجة الأولى وإلى قيمه التي

يحملها، وهذا الأمر كان بمثابة العامل الرئيسي في فشل المؤسسات وافلاسها وعدم الخروج من أزماتها التي تعددت منذ الاستقلال الى يومنا هذا، فبعد حصول الجزائر على استقلالها في **5 جويلية 1962**، وجدت نفسها تتخبط في مشاكل إدارية كثيرة الى جانب المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الأخرى، وقد ظهرت العديد من المشاكل التي تخص الإدارة وتتمثل في انعدام الإطارات القادرة على تسيير البلاد، ووجود فراغ رهيب في مختلف الوظائف الإدارية والفنية بسبب انسحاب الفرنسيين من الأجهزة الإدارية من ناحية، والنقص الملحوظ في الجزائريين الذين باستطاعتهم سد ذلك الفراغ من ناحية أخرى، ويرجع ذلك أساسا إلى السياسة الاستعمارية التي كانت تعطي الأولوية في التوظيف للفرنسيين. ذلك أن الجزائريين كثيرا ما يصطدمون بالحاجز العنصري ولا يستطيعون الانخراط في الجهاز الإداري الاستعماري إلا بصعوبة، مما يدفع ببعضهم إلى الاتجاه نحو الطرق اللاشرعية أو اللاأخلاقية للحصول على وظيفة.

ومنه فالوضعية الحرجة التي مرت بها البلاد جعلت الادارة تفتح باب التوظيف على مصرعيه لجميع من يحسن الكتابة والقراءة بدون انتقاء للإطارات والموظفين الصغار، وفي ظل هذه الظروف نجد أن فئة لا بأس بها استغلت تلك الفترة لاقتناص بعض المناصب سواء كان ذلك لتواجدهم في نفس الأجهزة قبل الاستقلال، أو نتيجة لمستواهم الثقافي الذي كان أحسن من مستوى أفراد الشعب الآخرين[23].

وتظهر ذهنية المسير فيما ذهب إليه **سعيدان علي** حول التوظيف الذي يتم عن طريق المحسوبية والتي تمثل أبشع أنواع التمييز والطبقية

والعنصرية والانتهازية حيث تصل إلى التوسط الذي غالبا ما يكون بمقابل قصد بلوغ حق أو من أجل التجاوز على حقوق الآخرين، أو على حساب الخدمة العامة وهي غالبا ما تكون بين شخصين إداريين أو شخص وإدارة، وبالرغم من صدور عدة قوانين تحرم استعمال الوساطة لشغل الوظائف الإدارية وتنص على مساواة المواطنين أمام الوظائف العامة، فإنها لاتزال أساسا لتعيين بعض الإداريين في المناصب المختلفة، وقد اتسع مجالها في وقتنا الحاضر حيث أصبحت تهيمن على كثير منها حتى أصبحت بعض هذه الإدارات لا يشتغل فيها سوى أفراد يشتركون في الأصل أو المصالح.

بالإضافة إلى عدم تقدير المسؤولية عند دراسة المشروعات والإهمال في التنفيذ وذلك ناجم عن قلة الاهتمام بأموال الدولة أي أموال الشعب، وناجم أيضا عن فقدان الضمير المهني الذي يقوم على الايمان بالروح الوطنية والشعور بالمسؤولية، وكلما زاد التلاعب بأموال الدلة والشعب كلما زادت النفقات المالية كتعويض[24].

وبالتالي فإن القيم الاخلاقية لها دور في عدم وضع الرجل المناسب في مكانه المناسب وقد اتضح ذلك من خلال المشاكل التي عانت منها المؤسسة العمومية الجزائرية عموما والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

بالنسبة للقيادة الإدارية عموما في المؤسسة الجزائرية فقد تميزت ببعض المظاهر التي تعيق تطبيق العقلانية يمكن تلخيصها فيما يلي:

– يلاحظ في الواقع الجزائري تأخر في ظهور المهنة التسييرية، نظرا لعدم وجود طلب فعال على خدمات المسير الممتهن، ومن ثم الحاجة للقادة الإداريين، بالرغم من أن التنمية الإدارية ترتكز على تطوير

وتحسين قدرات ومهارات القيادات الإدارية المسؤولة عن إدارة المؤسسات الإنتاجية والخدمية، ويرجع ذلك لمجموعة من الأسباب أهمها وقوع المؤسسات الاقتصادية العمومية في قبضة بيروقراطية وصائية، لم تسمح بظهور كفاءات تسييرية مستقلة ومسؤولة، وبالتالي لم تسمح بظهور عدد ولو محدود من المؤسسات الناجحة إداريا، والتي يمكن أن تكون قوة لغيرها.

وهناك عجز القيادات الإدارية عن القيام بدورها الحقيقي وحل المشاكل المعقدة، والتردد في مواجهة المشاكل الطارئة، يرتبط ذلك ب:

- المركزية الشديدة وعدم تفويض الصلاحيات.
- عدم وضوح الاختصاصات وتداخلها أحيانا، وضعف التنسيق بين الإدارات والوحدات والأقسام، بالإضافة إلى ضعف التخطيط.
- قصور نظم المعلومات والتقييم والرقابة والمتابعة، وأحيانا قلة المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات.
- البيروقراطية وتباين وتعقد الإجراءات.
- عدم استقرار الأنظمة السياسية والاجتماعية، وغموض وجمود الأنظمة و اللوائح.
- عدم الاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال الإدارة.
- الاعتماد على أساليب تقليدية في اتخاذ القرارات.

ومن الجانب الانساني: فلم تتوفر القيادات الكفؤة، ونقص المعرفة والثقافة لديها.

- عدم توافر الاستقرار الوظيفي والاطمئنان النفسي لهذه القيادات.
- عدم سلامة طرق وأساليب اختيار القيادات الإدارية[25].

وهناك عامل هام آخر ويتعلق الأمر بتفويض السلطة واتخاذ القرارات والتي لم تمنح لهم الحق في اتخاذها بسبب المركزية التي سادت طيلة سنوات ونظرا لتعارضها مع مفهوم مركزية السلطة التي تمارسها الدولة، وقد ذهب "**عبد اللطيف بن أشنهو**" في كتابه التجربة الجزائرية في التنمية والتخطيط إلى الحديث عن عاملين أساسين سيطرا على التسيير في تلك الفترة، وهما **نظام المركزية** وما نتج عنه من ظهور بعض الظواهر السلبية كالرشوة والمحسوبية، الكسب غير المشروع ...، بالإضافة إلى **نظام الوصايا** والذي قلل من حجم الاتصالات بين المؤسسات فيما بينها أو بينها وبين الوزارات الأخرى أو الوزارات الوسيطة، فالمؤسسات الجزائرية في ظل التسيير الاشتراكي كانت تمارس نشاطاتها تحت وصاية الوزارة المختصة التابعة ومن ثم لم يكن لها الحق في اتخاذ القرارات أو إصدار الأوامر إلا من خلال الرجوع إلى المركز كما جعل هذا النظام علاقات المؤسسة مع المؤسسات الأخرى في نفس القطاع تنظم عن طريق الجهة الوصية في كل النشاطات التي تمارسها، وهو ما يجعل القرارات بطيئة سواء في مرحلة الاتخاذ أو حتى التنفيذ.

ومن هنا تعذر على مسيري المؤسسات تأدية أدوارهم كمسيرين حقيقيين، لعدم توفر بعض الشروط أهمها الكفاءة، روح المبادأة، الانفتاح على المحيط المهيمن، وعدم توفر المعلومات الدقيقة والوسائل المساعدة على اتخاذ القرارات في التسيير، وهي كعملية لها أهمية بالغة في إدارة الأزمات نظم المعلومات، لكن المؤسسة الجزائرية كانت تعاني من نقص في المعلومات حول أحداث المستقبل وبسبب انعدام قنوات الاتصال بين الإدارات والعمال. والواقع أن عدم فعالية انساق الاتصال على مستوى

التنظيمات العمل، ظل المشكل المطروح خلال هذه المراحل، نظرا لاهتمام إدارة المؤسسات بنوع واحد من قنوات الاتصال وهو الاتصال النازل الذي يخدم مصالحها التي تقتضي توفير الوسائل الضرورية لنقل المعلومات من أعلى إلى أسفل فقط[26].

ومن جانب آخر لم يكن هناك تخطيط ومنهجية علمية بالمعنى الحقيقي للتعامل مع الأزمات التي عانت منها المؤسسات وما يدل على ذلك كثرة إحداث التغييرات وعدم نجاعتها، فالمسيرين الجزائريين فشلوا في التحكم والسيطرة على البيئة التنظيمية في أغلب المؤسسات الصناعية الكبيرة الحجم، وقد سارعت الهيئات الرسمية إلى إحداث تغييرات على المؤسسات لكن دون أن تكون لها فعالية نظرا لعدم دراستها والتخطيط لها بالشكل المطلوب، كمشروع "إعادة الهيكلة العضوية والمالية للمؤسسات" بهدف منحها المزيد من اللامركزية في تنظيم شؤونها الاقتصادية، لكن هذا التغيير لم يأتي بالشيء الجديد لأنه لم يدرس بالشكل المطلوب ولم تتوفر العوامل المساعدة على ذلك (كالمقرات، الإطارات، التجهيزات اللازمة...)[27]، بالإضافة إلى سيادة بعض القيم السلبية كاللامبالاة وإهمال المال العام...، بالإضافة إلى "استقلالية المؤسسات" والتي كانت تهدف أساسا إلى إعطاء المؤسسات المزيد من الحرية في التسيير، ولكن تطبيق تلك السياسة اعترضتها بعض الصعوبات بسبب نقص الإطارات المسيرة المؤهلة، ولم تتمكن هذه المؤسسات من تحقيق النتائج المرجوة منها. وهذه التغييرات نتج عنها زيادة حجم الديون، وتسريح العمال، وأزمة أكتوبر 88، وكنتيجة حتمية لجوء السلطات الرسمية إلى التوجه نحو اقتصاد السوق والشروع في تنفيذ

"مشروع الخوصصة" الذي شمل العديد من المؤسسات الوطنية وذلك بشكل تدريجي.

وبالتالي يمكن القول أن المؤسسات الجزائرية بعد الاستقلال مرت بمجموعة من الظروف والأزمات والتي كانت بمثابة عوامل مثبطة منعتها من التقدم والنمو، لكن فيما بعد توافرت الظروف المساعدة على النهوض بالمؤسسات، لكن مع استمرار الذهنيات (ثقافة التسيير) وسيادة المصالح الشخصية على العامة، بقيت هذه المؤسسات تعاني من نفس المشكلات لسنوات، والتي لخص أسبابها **العياشي عنصر** فيما يلي:

- تأثير الخلفية الثقافية والاجتماعية التي ظهرت في المؤسسة على أسلوب إدارتها وتسييرها.
- غياب ثقافة تسيير تؤلف بذكاء بين مبادئ التسيير الحديث المستلهمة من تجارب البلاد المتقدمة، والعناصر الثقافية للمجتمع.
- سيطرة نمط من الحكم والإدارة يتميزان بمركزية ونزعة بيروقراطية مفرطتين[28].

يمكن القول أن العقلانية هي أمر نسبي ويصعب تطبيقها بشكل مطلق في التسيير أو في إدارة الأزمات نظرا لكونها تتعلق بالفرد وبطرق تسييره بالإضافة إلى البيئة المحيطة وما تحمل من تعقيدات، بالإضافة إلى أنه ينبغي الاشارة إلى أن كل فرد ينظر إلى العقلانية من منظوره الخاص وبذلك فهذا المفهوم يختلف من فرد إلى آخر.

قائمة المراجع:

[1]– طلعت ابراهيم لطفي، **علم اجتماع التنظيم**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007، ص 23.

[2]– قدري علي عبد المجيد، **اتصالات الأزمة وإدارة الأزمات**، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2008، ص 25.

[3]– عبد الله ابراهيم الكيلاني، **إدارة الأزمة مقاربة التراث...والآخر** سلسلة دورية من كتاب الأمة، مركز البحوث والدراسات– قطر، العدد 131، 2009، ص 45.

[4]– مصلح الصالح، **الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية**، ط1، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 1999، ص 440.

[5]– مصباح عامر، **علم الاجتماع الرواد والنظريات**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 127.

[6]– محمد الفاتح محمود بشير المغربي، **إدارة الازمات من منظور إداري**، المعهد العالي لعلوم الزكاة، جمهورية السودان، ص ص 7، 14.

[7]– محمد سرور، **إدارة الأزمات – المشكلات الاقتصادية والمالية والادارية–**، ط1، دار البداية، عمان، 2013، ص ص 44، 46.

[8]– حكم علي الفاعوري، **إدارة الأزمات مواجهة الأزمات الطبيعية وغير الطبيعية**، ط1، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2013، ص 17.

[9]– ماجد سلام الهدمي وجاسم محمد، **مبادئ إدارة الأزمات الاستراتيجية والحلول**، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 133.

[10]– رهام راسم عودة، **واقع إدارة الأزمات في مؤسسات التعليم العالي بقطاع غزة دراسة تطبيقية على الجامعة الاسلامية**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في إدارة الاعمال، الجامعة الإسلامية غزة، 2008، ص ص 43، 44.

[11]– حكم علي الفاعوري، مرجع سابق، ص 13.

[12]– منى عبد المنعم محمد أحمد، **إدارة الأزمة في التعليم الجامعي بالولايات المتحدة الأمريكية وإمكانية الإفادة منها في مصر**، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص إدارة تعليمية، جامعة الزقازيق، مصر، 2008، ص ص 54، 56.

[13]– حكم علي الفاعوري، مرجع سابق، ص 14.

[14]– رهام راسم عودة، مرجع سابق، ص 46.

[15]– محمود سلمان العميان، **السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط4، 2008، عمان، الأردن، ص ص 109، 110.

[16]– حسين أحمد رشوان، **علم الاجتماع التنظيم**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2004، ص 96.

[17]– محمود سلمان العميان، مرجع سابق، ص ص 109، 110.

[18]– حكم على الفاعوري، مرجع سابق، ص 68.

[19]– رهام راسم عودة، المرجع السابق، ص 43.

[20]– سليم بطرس جلدة، **أساليب اتخاذ القرارات الإدارية الفعالة**، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ص 23، 24.

[21]– حسين أحمد رشوان، مرجع سابق، ص 90.

[22]– نواف كنعان، **اتخاذ القرارات الإدارية بين النظرية والتطبيق**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 65.

[23]– علي سعيدان، **مظاهر البيروقراطية في الادارة الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 47.

[24]– نفس المرجع، ص ص 52–54 بتصرف.

[25]– محمد براق وعمر حوتية: **القيادة وإدارة التغيير بالمؤسسات الاقتصادية**، المنتدى الوطني الثاني للمؤسسات حول "**تسيير التغيير في المؤسسات**"، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة عنابة، من 30 نوفمبر إلى 01 ديسمبر 2004، ص 03–04.

[26]– يوسف سعدون، **علم الاجتماع ودراسة التغير التنظيمي في المؤسسة الصناعية**، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر، سنة غير موجودة، ص 17.

[27]– نفس المرجع، ص 29.

[28]– العياشي عنصر، **الإدارة بالمشاركة رهان المستقبل في المؤسسة الجزائرية**، قسم علم الاجتماع، جامعة عنابة، الجزائر،1997، ص 8.

امتهان الجسد الأنثوي في المجتمع التبسي الجسد الايروتيكي أنموذجا

دراسة أنثروبولوجية الأستاذ: سليم سهلي

الملخص:

يسعى هذا المقال لمعرفة البعد التكويني والاجتماعي و الأنثروبولوجي لظاهرة امتهان الجسد الأنثى في المجتمع التبسي حيث تعد ظاهرة امتهان الجسد الأنثوي (**البغاء**) من الظواهر الاجتماعية التي يتجنب الجميع الحديث عنها باعتبارها من الظواهر المسكوت عنها وغير معلن عنها في ظلال السلطة الأبوية ، فتواصل وجودها داخل البناء الاجتماعي وتطورها من مرحلة إلى أخرى بل أصبحت من الضروريات في المجتمعات، حيث تحول الجسد الأنثوي سلعة مربحة من جهة وأصبح كذلك فضاء يمارس فيه الطقوس الجنسية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: البغاء، الجسد الأنثوي، الجسد الإيروتيكي، الجنس ، البغي.

Summary:

This article seeks to know the formative, social and anthropological dimension of the phenomenon of female body abuse in the lesbian society, where the phenomenon of humiliation of the female body (prostitution) is a social phenomenon that avoids everyone to talk about it as a silent and undisclosed phenomena in the shadow of parental authority, Social development from one stage to another, but became a necessity in societies, where the female body becomes a profitable commodity on the one hand and became a space in which sexual rituals are practiced

on the other.

Keywords : prostitution, female body, erotic body, sex, prostitute.

Résumé:

Cet article cherche à connaître la dimension formative, sociale et anthropologique du phénomène de la maltraitance féminine dans la société lesbienne, où le phénomène d'humiliation du corps féminin (prostitution) est un phénomène social qui évite de parler de phénomène silencieux et non divulgué dans l'ombre de l'autorité parentale. Le développement social d'un stade à l'autre, mais devenu une nécessité dans les sociétés, où le corps féminin devient d'une part une marchandise rentable et devient un espace dans lequel les rituels sexuels sont pratiqués de l'autre.

Mots-clés: prostitution, corps féminin, corps érotique, sexe, prostituée

مقدمة

كثيرا ما نسمع بأن البغاء أقدم مهنة في التاريخ، وأنه لدى الأمم القديمة كان يدخل في مجال المقدس، حيث كانت النساء يمارسنه في المعابد ويركز الكثيرون على هذا التصور لتبرير وجوده واستمراره، حيث يتجلى هذا النشاط في بناء متكامل لا يشتمل المرأة التي تمتهن جسدها والزبون الذي يستهلكه فحسب، ولكنّه يمتدّ إلى كل الأطراف التي تتحرك في ذلك العالم المتشعب المسالك والدّروب، إنها أطراف تقتات منه أحيانا وتحقق من ورائه أرباحا طائلة أحيانا أخرى.

ليس البغاء قدرا أو اختيار بالنسبة للنساء اللائي يمارسنه، فهو نابع من المجتمع (الواقع) وهو من أخطر إفرازات المجتمع كما تؤكد **ذلك نوال السعداوي** في مجمل كتاباتها، حيث تعد ظاهرة البغاء من الظواهر المنتشرة في المجتمع الجزائري عموما والتبسي خصوصًا، لأنه نشاط مرتبط مباشرة بالجنس الذي يتجنب الكثير الحديث عنه وطرحه كموضوع للمناقشة، فتواصل هذه الظاهرة في المجتمع دون التسليط عليها، وعن أسبابه وكيفية الحد من انتشاره، وترجع قلة الدراسات الاجتماعية في الجزائر عموما حول هذا الموضوع إلى تخوف الباحث نفسه من المجتمع الذي يحكم على هذه الظاهرة بالرفض والقمع بشتى أنواعه، ومن هذا المنطلق يمكن أشكلة موضوعنا كالتالي:

كيف تمتهن الأنثى جسدها في ظل نسيج ثقافي ملئ بالطابوهات؟

كما يمكن نحت جملة من التساؤلات الفرعية التي تساعدنا على فك رموز هذا الإشكال :

-ما هي الأسباب التي أدت بالأنثى إلى امتهان جسدها؟ وهل تعتبر الطرف الوحيد في هذه المهنة؟

-كيف يتمثل كل من المجتمع و البغي الجسد الايروتيكي؟ .

أولا: المشروع المنهجي ومجريات البحث الامبريقي.

1- الفكرة الذهنية وبناء الموضوع:

إن أي موضوع يبدأ بفكرة مجردة تبنيها القراءات و الحياة اليومية بما تحمله من كم كبير من الظواهر الأنثروبولوجية، فهذه الانتقالة الممنهجة من البعد التصوري إلى البعد الامبريقي هي نتاج الاحتكاك و الالتماس المباشر بالفاعلين والمشاركين، هذا ما دفعنا في الخوض في غمار الظواهر المسكوت عنها وأبرزها مهنة الجسد الأنثوي، تجلت هذه الفكرة على العموم عند التواصل مع المشاركات في مواقع التواصل الاجتماعي و البحث الكلاسيكي في بيوت الدعارة الغير الرسمية في المنطقة، حيث كان هناك احتشام تواصلي مع العينة لكن تجاوزنا هذه العقبة.

2- المبررات المنهجية لاختيار الموضوع.

بعد القيام بالجولة الاستطلاعية، والتي تبين لنا نقاط عديدة تساعدنا على معرفة الفضاء الذي نمارس فيه بحثنا، اتضح لنا أن فهم الظاهرة في حد ذاتها تحتاج إلى دخول وتفكيك الميدان و العمل على وضع خطة لمقابلة العينة لأن فهم ظاهرة امتهان الجسد الأنثوي تحتاج إلى فاعلين و منتجين للظاهرة، بالاضافة إلى أننا فرد من المجتمع المحلي جعلنا نفهم البنية العقلية للممتهنات والزبائن، ونخوض في الموضوع لفهمه وتفسيره وشكلنته في نطاق البحث.

3- مبررات اختيار العينة.

لقد اعتمدنا على العينة كرة الثلج وهي عينة كيفية والتي تكونت من 17 مفردة، تم اختيارها بطريقة يمكن القول عنها أنها وسطية، حاولنا بقر الاستطاعة التوقف عند هذا العدد الذي يمثل بنية لها نسق تكاملي ومنهجي لأننا وصلنا لدرجة الإشباع المعرفي، جعلتنا هذه الخطوة من

فهم الموضوعي للظاهرة، لان الظاهرة تحتاج للتعمق الجينالوجي وفهم الدلالات والرموز الجسد الأنثوي وهذا يحتاج وقت كبير لهذا قمنا باختيار وأعتقد أنه اختيار صائب.

4- الترسانة المفاهمية للدراسة:

4-1- امتهان الجسد الأنثوي:

أن البغاء يعني علاقة جنسية غير مشروعة تقوم بين الرجل والمرأة قصد الحصول على فائدة مادية أيا كان نوعها وذلك من قبل المرأة.

4-2- البغي:

البغي هي المرأة التي تقبل العلاقة الجنسية لأسباب تجارية ونفعية.

4-3- المجتمع:

المجتمع هو مجموعة من الأشخاص المتفاعلين، وكما تستخدم الكلمة للإشارة إلى مجموعة التي تنظم الأفراد الذين يعيشون في مكان مشترك داخل موقع جغرافي مشترك، عمومًا في وحدات اجتماعية حول قيم مشتركة، وتماسك اجتماعي، كما يمكن أن تشير إلى المجتمع المحلي أو المجتمع العالمي أكبر من الأسرة.

4-5- الجسد الايروتيكي:

الجسد الإيروتيكي يكون موضوع استهلاك من طرف الآخر، هذا الآخر هو آخر متعدد ومفتوح قد يكون مغايرًا في الجنس(العمر) وفي الانتماء، كما أن هذه العلاقة ليست تناسلية بالضرورة بل هي جنسية لذيذة، حيث يتم بناء هذا الجسد اجتماعيا أي باستحضار الآخر.

5- مأزق الذي وقع فيه الباحث:

لعل من أبرز الصعوبات التي تصادف الباحث الذي يوّد التطرق إلى موضوع "البغاء" وإجراء أحاديث مع النّساء اللائي يمارسنه هو إكتسابه ثقتهنّ، لأنّ الحذر وانعدام الثقة يشكلان أساس تعاملهّن مع الآخرين.

وحين تحل الثقة محلّ الرّيبة والشّك، تقودنا المرأة إلى مكامن جروح الجسد المستباح، الذي تعاني من عبء حِله ومن الاحتقار الذي يسمِه واللعنة التي تطارده.

أما الصعوبة الثانية هي التكلفة المادية فعند دخول "بيت الدعارة" يجب أن تدفع مبلغ رمزي للدخول أولاً ثم للنساء اللائي تمارسن مهنة البغاء ثانيًا.

6- الترسانة المنهجية للعمل الميداني:

1- المقابلة المعمقة:

لقد ركزنا في بحثنا هذا على المقابلات المعمقة مع المشاركين، بهدف الحصول على المادة الاثنوغرافية التي لها علاقة بالموضوع، فلقد انطلقنا من الواقع ولم ننطلق من بناء نظري جاهز، فالمقابلة المعمقة سهلت لنا

الوضع للهروب من الأزقة المدرجة و الحتمية لوضع بناء ينطلق من الواقع.

بالإضافة لهذه التقنية المهمة أضفنا التسجيل الذي يساعدنا على حفظ المادة الاثنوغرافية لكي لا تهرب منا أي معلومة قد نعتقد إنها ليست مهمة و الجزئيات واجب فهمها في هذا الإطار، لم نضع كما هو معتاد دليل للمقابلة بل طرحنا سؤال عام مفاده : ما هي أسباب امتهانك جسدك؟ وكانت الإجابات متقاربة نوعا ما،قد يصمت المشارك في كل مرة مما يدفعنا إلى خلق أسئلة أبستمولوجية تساعد المشارك على إكمال المقابلة.

1-أسباب امتهان المرأة التبسية جسدها:

1-1- التفكك العائلي:

عرفت العائلية في الجزائر خلال القرن الماضي تغيرا بفعل عوامل متعدّدة، وكباقي المجتمعات التي مسّ التحديث هياكلها ولو بمقدار، أصبحت الأسرة النووية المكوّنة من الزّوجين ثمّ الأطفال أساس البناء الاجتماعي.

تعرضت العديد من الدراسات التي تناولت مؤسسة العائلة في المجتمعات العربية الحديثة إلى خصائصها، ومن أهمّها أنّ هذا التحول الذي عرفته جعلها تعيش مرحلة انتقالية، افتقدت فيها الأنماط التقليدية في السلوك والعلاقات التي لم تعوضها أنماط جديدة لأنّ إمكانية فرزها غير متوفّرة في الواقع.1

النتيجة تمثلت فيما نعته بعض الباحثين بالعائلة المهجّنة، التي تعاني من التمزّق بين قيم تقليدية غدت متغيرات الواقع تتجاوزها، وبين حداثة غير مكتملة، لأنّها لم تطل الذهنيات والسلوك، ولم تخلص الأفراد من القيم التي ترسّخها العقلية الأبوّية، بشأن العلاقة بين الجنسين و ارتكازها على تسلط الرّجل وقهر المرأة.[2]

بفعل ظروف شّتى ذاتية وموضوعية، ثقافية وسوسيو–اقتصادية، تعاني الأسرة من التفكك، وترتفع فيها نسب الطلاق، ولذلك نلحظ تزايد عدد الأسر التي تكفلها النساء في المدن والقرى على السّواء.[3]

قد يسود التفكك في بعض الأسر التيبسية، فتكتوي البنت بناره منذ الطفولة المبكّرة، وقد يشكل من السمات السلبية التي تطبع الأسرة في ظّل الحياة الزّوجية، فتجد المرأة نفسها مطّلقة ذات يوم وحيدة أو مع أطفال، لا تمتلك مؤهلات ولا تحميها قوانين تضمن حقوقها، ولا تتوفّر على إمكانية للعيش بكرامة أو لتلبية حاجات أطفالها فتمتهن البغاء.

في خضّم المشاكل والتّوتّر، وفي غياب النضج اللازم لمواجهة هذه المشاكل، قد يؤدي إلى انعدام التّفاهم بين الزّوجين إلى شجار دائم تحمل البنت تبعاته المؤلمة طيلة حياتها، وإذا ما تّمت معاينة وضع النّساء اللاّتي يتعاطين للبغاء، نجد أن فئة لا يستهان بها منهّن عاشت هذا التفكك منذ طفولتها، وعانت منه وظلت بعده تحتفظ بجراح عميقة واعية أو لاواعية، قد تكون أحد الأسباب الدّعية لها إلى الانحراف .

تحكي "**س**"**25 سنة:**

"صدقني! ما كنت أفكّر يومًا بأنّني سأسير في هذا الطريق.... منذ أن فتحت عيني وأنا أرى أبي وأمّي يتخاصمان. لا أذكر يومًا مرّ عليا دون صراخ.

والدي موظف بإحدى الإدارات، كان الأجر الذي يتقاضاه قليلاً، أمّي خيّاطة، كانت تخيط للجيران ثيابهم أحيانًا، ولكنّها في أغلب الأحيان لم تكن تجد ما تخيطه، نصحتها إحدى صديقتها أن تخيط أكياس الحمامات وتبيعها، ولكّن ذلك لم يدر عليها مدخولاً.

الطّامة الكبرى هي أنّ أبي كان يشرب الخمر ويغدو عصبيًا وعنيفًا، أمّي هي الأخرى شرسة الطباع "عيبها على طرف لسانها"، كانت تعّيره بضعفه وعجزه عن توفير ما يلزم للبيت.

المهم هو أنّني غادرت جحيم البيت، كنت نادرًا أزور بيتنا، وما إن أدخل حتّى تغرقني أمّي بالشكوى من سلوك أبي... لا أتكلم ولكنني أقول في خاطري لن تتبدّلي قط ولن تفكري إلا في نفسك... لو عرفتما كيف تحافظان علي أنت وأبي لما "زَلَقْتْ" وصرت "قَحبَةٌ نخدم باه نِعيِش."

سوء التفاهم بين الأبوين وشجارهما الدّائم قد يطبع طفولة البنت ويحدّد سلوكها في الحياة المستقبلية، وهناك نساء يمارسن البغاء يعانين من شروخ دفينة طبعتهن إلى الأبد من جرّاء هذا الوضع[4].

تقول "ل:"عانيت كثيرا في طفولتي، كنا نستيقظ أنا وأخي مذعورين بفعل شجار أبي وأمّي... كان أبي يصرخ ويقذف أمّي بأبشع النّعوت،

وكانت أمي تبكي والجيران يسمعون ما يحدث. كنت أخجل عندما أخرج من البيت لأنّ الكلّ يعرف حكاياتنا وأسرارنا ويشفق علينا. كان هذا الوضع دائمًا لا فرق فيه بين يوم عادي أو يوم عيد.

قد تؤدي انعدام التفاهم بين الأبوين إلى الطلاق الذي غالبًا ما تكون عواقبه وخيمة على الأطفال ومسارهم المستقبلي. انفصال الأبوين في حدّ ذاته يخلق وضعية غير متوازنة وغير طبيعية لدى الطفل، إذ أنّه يفقد الاستقرار الأسري المفروض توفّره لتحقيق توازنه على المستويين المادّي والنّفسي.[5]

عديد من النساء اللائي يمارسن البغاء يصّرحن بمعاناتهن إثر طلاق الأبوين، وتحيل أحاديثهن حتمًا على الوضعية القانونية المجحفة في حقّ النّساء بعد الطلاق، إذ أنّ أغلبية المطّلقات يجدن أنفسهن مجّردات من كلّ حماية، ومجبرات على مغادرة بيت الزّوجية.

تؤثر هذه الوضعية بطريقة مباشرة على الأطفال ومصيرهم بعد الطّلاق حيث تعجز الأمّ عن مواجهة الحياة وحدها، ولا تقدر في الكثير من الحالات على توفير مستوى العيش الذي تعوّد عليه لأطفال في كنف الوالدين قبل الانفصال.[6]

تقول "ز" 27 سنة:

"انفصلت أمي عن أبي عندما كنت في الثامنة من عمري، غادرنا الشقّة حيث كنا نسكن أنا وأمي وأخي الذي كان عمره خمس سنوات..

لم تأخذ أمي شيئا من البيت ولم نحمل إلاّ ثيابنا... ذهبنا عند جدّي في مدينة أخرى، أعطانا غرفة مكثنا فيها عدّة شهور.

المشكل هو أنّ الخصام بين أبي وأمي لم ينته بعد الطلاق، كما يصر على أن يأخذنا منها متى شاء، وكانت هي ترفض وتهددنا بأنّها ستهرب وتتركنا إذا ما قبلنا بالذّهاب معه إلى بيته.

قد تكفل المرأة المطلقة الأبناء، وتتحمّل مسؤوليتها تجاههم ولا تفكر في الزواج مرّة أخرى مضحية بحياتها في سبيلهم، باذلة كل ما في وسعها وحسب إمكانياتها ومؤهلاتها، لتوفّر لهم أدنى شروط الاستقرار وتعوّضهم عن غياب الأب. ولكن المأساة كثيرًا ما تحصل عندما يتزوج الأب ثانيًا وكذلك الأّم، حيث يبنيان استقرارهما الجديد وهذا ما أكده الأنثروبولوجي "**لوي**"في العديد من مؤلفاته.

كانت "**ن**" **(30 سنة)** من هذه الوضعية بشكل قد لا تستطيع الكتابة التعبير عنه، إذ أنّ حديثها عن هذه الفترة من حياتها أيقظ المواجع في كيانها، حيث أنّها لم تنقطع عن البكاء بحرقة وهي تبكي:"**انفصلت أمّي عن أبي ونحن صغار، وكنت أنا الكبرى، وكان عمري عشر سنوات، ليت الأمر بقي عند هذا الحدّ ولكنّ ما حدث أفظع، ماذا؟ إن أبي تزّوج بامرأة أخرى، كان يأتي لرؤيتنا أحيانًا ولم يكن ينسانا في الأعياد.**

ذات يوم جاء عند جيراننا أحد أعمامهم، رأى أمي فأعجبته وطلب من زوجة أخيه أن تكلّمها في الزواج.... في المساء وبعد أن شربنا

الشاي وكدنا ننام، أخبرتنا أمّي بأنّها ستتزوج منه، وأن ذلك سيكون في مصلحتنا لأنه إنسان ميسور وقد قبل أن نعيش معها... قالت لنا بأنه "راح يطهلاّ فيكهم ويديركم ولادوا."

هل قبلتم الوضع؟ لم نتكلم ولو كلمة.... ماذا بوسعنا أن نقول؟ ومن نحن لكي نقول؟ كنا أربعة أطفال يتامى، بل إنّ اليتامى كانوا أفضل منّا... انتقلنا إلى بيت ذلك الرّجل، لم يكن ميسور بل مجّرد جزّار بسيط. غدا يحاسب أمّي على كل شيء، ويتّهمها دائمًا بتبذيره وبأننا نستهلك ما يأتي به مثل الخنازير.

في العينة المدروسة في هذا البحث، معظم المبحوثات مطلقات يتوفّرن على طفلين أو ثلاثة، وبالتالي فإنّ الطلاق والأميّة أو المستوى التعليمي المتدني قد أوقعهن في شرك البغاء، يعدو الوضع أكثر مأساوية بالنسبة للمرأة المطلقة الفقيرة في غياب الحماية العائلية، التي كانت حتى وقت قريب عامل حصانة تحمي المرأة المطلقة، وتجنّبها السقوط في البغاء إذا ما انسدت دونها الآفاق، لقد غدا التكافل شبه مستحيل، نظرا لطغيان نمط الحياة الفرديّة من جهة، ولعدم قدرة الفئات الفقيرة على توفير الحماية لقريباتها المطلقات من جهة أخرى.

تقول " م " 31 سنة:

أخرج منذ خمس سنوات، طلقت من زوجي ووجدت نفسي في الشارع، قصدت بيت أخي كان يسكن شقة صغيرة في حيّ شعبي، مكوّن من غرفتين، وله ثلاثة أطفال أصغرهم لا زال رضيعا... كنت

أتقن الأشغال المنزلية، ولذلك حملت كل الأعباء عن زوجة أخي التي كانت لا تعمل وتقضي نهارها أمام التلفزيون ... كنت أقضي النهار واقفة وما إن أضع رأسي على الوسادة حتى أغيب في النوم، بقيت معهم ستة أشهر على هذا الحال بدأت زوجت أخي تضيق بي وتلاحقني بملاحظاتها، كنت أحتاج إلى مبلغ الحمام فلا أجدها، وأظّل متسخة طيلة شهر كامل، وحين أسخّن (باسينة أو سطل) لكي أغتسل في المرحاض تتهمني زوجت أخي بتضييع الغاز ... تمزّقت ثيابي على جلدي ولم أطلب شيء من أخي لاشيء أعرف بأنه محتاجة.

تلخص هذه الشهادة واقع فئة من النساء اللائي يرمي بهّن الطلاق بطرق شتّى إلى البغاء، إذ أن تجرّدها من الحماية القانونية، وكذا من الحماية العائلية، وعجزهّن عن توفير شروط العيش لهّن وأحيانا لأطفالهن، قد يدفع بهّن إلى البغاء.

عديدات هّن النساء المطلقات اللاتي يعلن أطفالهن عن طريق البغاء، والبعض منهن صغيرات جدًا، كما هو الشأن لـ "**س**"**24 سنة** وهي أم لطفلة صغيرة، **ذات يوم قبضوا عليّ وأركبوني سيارة الأمن، كنت أبكي وأنا أطلب من الشرطي أن يطلق سراحي لأن طفلتي مريضة، وعلى أن أشتري لها الدواء في الصباح ... تخيل ما ذا قال لي ؟ أنتي قحبة أسكتي علينا وكان حاب نسيبوك .... (إشباع الرغبة) .... مارست معاهم كل باه يسيبوني."**

تقدم أحد الصديقات " **س** " صورة بالغة الدلالة عن واقع هذه المرأة التي تشكل مثالا لعشرات الأمهات، ومعاناتهن في هذا المجال:

إنني أعرفها حق المعرفة .... إنّها تؤدي ثمن الكراء وأجرة المرأة التي تدع عندها الطفلة، وفي كل يوم تقريبا تمر على الصيدلانية لشراء ما يلزم لابنتها، حيث تمرض الطفلة تصاب بالجنون، ومع ذلك تضطر إلى الخروج كل ليلة لتحصيل كل هذه المصاريف، أحيانا يأتيني البكاء وأنا أراها تتصنع الضحك مع الزبون، وما لأن يسهو هذا الأخير لحظة حتى تلتفت إليّ قلقة وتهمس لي، يا ربي تكون بنتي مليحة، عندك لا تموت وما نكون معاها.!

1-2- العنف ضد النساء:

للعنف ضدّ النساء تاريخ في كلّ المجتمعات، رسّخته ثقافاتهم بمرجعيات المختلفة، وقد ترّسخه حتّى الوقت الرّاهن إذا لم تدخل هذه المجتمعات مرحلة الحداثة الحقيقة التي لا تتجلّى في المكتسبات العلّمية والتكنولوجية فحسب، ولكن أساسًا في تأثير هذه المكتسبات على تصورات الأفراد وسلوكهم ومعيشهم وعلاقتهم، وكذا على المؤسسات وعلى رأسها مؤسسة الأسرة، حيث تبثّ وترسّخ فيها قيم التعامل المتحضر بين الزوجة والزّوج من جهة وبينهما وبين الأبناء من الجنسين من جهت أخرى.[7]

1 -1-2-عنف التربيـة :

تسود التراتبية بين الجنسين في المجتمع التقليدي تدّعمها تصورات تغذيها العادات والممارسات التي ترسخت عبر الأجيال، كما تساهم

القوانين التي تمنح السّيادة للرّجل وتكاد تلغي حقوق المرأة في تكريسها والإبقاء عليها.[8]

يتجسد انعدام المساواة بين الجنسين في مجال التربية الأسرية، عبر السلوك الذي ينتهجه المجتمع التقليدي تجاه الطفلة منذ ولادتها، والتنشئة التي تخصص لها، والتصورات التي تحكم هذه التنشئة، والتي ترسخ الميز الجنسي، تأتي البنت إلى العالم فتستقبل بعدد من الزغاريد أقل من ذلك الذي تصدع به ألسنة النساء حين ترزق المرأة بالمولود الذكر، ويكون ذلك بمثابة أوّل مؤشر على الميز المذكور.[9]

قد يصل تضييق الخناق على البنت ثّم الفتاة حدّا لا يطاق، بحث لا يتعامل بقسوة وتتلقى التعنيف اللفظي، ويمارس عليها العنف الجسدي لأبسط الهفوات وخاصة من طرف الأب.

تقول " م " **(27 سنة)** التي نشأت في أحد الأحياء الشعبية **كان أبي يمتهن بيع الخضر في السوق الفوضوية في المدينة، وكان قاسيا إلى حدّ أن الجيران أصبحوا يخافونه ويخافون عواقب شكايتهم بنا لديه، ذات يوم اشتكى بي أحدهم، أتدري ما ذا وقع؟ ضربني حتى سالت دمي، وتركني مرماة أنزف، وضرب أمي ولوى ذراعها إلى أن أصيبت بالكسر وهو يصيح : "هذي تربيتك يَا قَحْبَة**، قد يغدو العنف الأسري الذي يمارسه الوالدان أو أحدهما وخاصّة الأب، سائدا في البيت بين الأبناء والأمّ من جهة، وبين بعضهم من جهة أخرى، وذلك ما نستشفه من الأحداث التي عاشتها" **ع**"

إنّ قهر البنت وضربها ضربًا مبّرحًا بمناسبة وغير مناسبة يزرع فيها قدرة غريبة على العنف... حين أفكر في كل ذلك أقول لنفسي بأنني كنت أحيانًا أصاب بالجنون وأوّد ضرب أي كان... تَصَوَرْ بأنني ذات يوم ضربت أمّي.... هل تتصور ذلك؟ نعم ! لقد ضربت أمي وسخطت عليّ وهي تبكي، ولن أنسى ذلك أبدًا، ومن مترتبات العنف في التربية فقدان البنت لثقتها في نفسها، وعدم قدرتها على طرح المشاكل التي تعترضها أو تعاني منها، وغياب الصّراحة في العلاقة بين البنت والوالدين، نتيجة الخوف الذي يتحكم في علاقته بهما وخاصة الأب:**تصور نفسك تعيش في بيت يسوده الخوف ولا أحد يفهمك فيه أنت رجل وتحس بالمعضلة، وأيضًا لا يتحدث إليك أو يسمعك أو يوضح لك أمرا من الأمور التي ستصادفك في الحياة. كنت أخاف من ظلّي في الشارع، وإذا ما كنت أسير وسار رجل إلى جانبي، أسرع الخطى لكي أبتعد عنه، مخافة أن يراني أحد اخواتي، وخاصة أكبرهم كان "الغول" لا يتفاهم ولا يرحم ولا يعرف إلا ضّرب.**

لا ترسّخ هذه التربية العنف وتعيد إنتاجه فحسب، كما هو الشأن في حالة أسرة "ع"، ولكنّها قد تؤدي بفعل الضغط والقمع اللذين تمارسهما على الفتاة، و اقتحام الحياة وحدها، دون حماية الأسرة، ولعل مسار "ع" نمط للمسار الذي سلكته العديد من الفتيات، اللائي هربن من أسرهّن، ليجدن أنفسهن أسيرات لعالم البغاء، هذه حكاية تختلف في التفاصيل، ولكنّ مؤدّاها ومتراتباتها على مسار هؤلاء الفتيات متشابهة تقول "ن"(**29 سنة):كان والدي قاسيًا معي إلى حدّ لا يتصّور، منعني من الدراسة في**

سّن مبكرة بدعوى أن المدرسة ستفسد أخلاقي، منعني من الخروج إلاّ بصحبة أمّي وأخي، كنت محرومة من كلّ شيء، وحين أبدي أي احتجاج يقول لي: "واش يخصك ماكلا شاربا كي البقرة.. أحمدي ربي"

ليس العنف ظاهرة ملازمة للتنشئة التقليدية لدى الأسر، ولكنّ الثابت لدى هذه الأخيرة هو ترسيخ قيم المحافظة في ذهنية البنت، وتلقينها بأن فرصتها في الزواج وشرفها رهينان بحرصها على بكارتها، وعند ما تتّعرض البنت لاغتصاب أو تكون ضحية لزنا المحارم أو تخوض مغامرة مع شاب تؤدي إلى فقدانها البكارة، تجد نفسها وحيدة تعاني من عقدة الذنب، وهذه العوامل التي تدفع الفتاة أحيانًا إلى الهرب بدافع الخوف وتجنب الفضيحة. تقول "خ" **(28 سنة):انقطعت عن الدراسة في وقت مبكّر ودخلت إلى معمل لأتعلم الخياطة ذات يوم رآني شاب فتبعني، لم أشأ التحدث إليه في البداية، ولكنّه لاحقني في كلّ مكان، كان وسيمًا جدًا ومؤدبًا، وكان ابنا لإحدى الأسر التي تملك مراكب صيد في المدينة، تصادقنا وتطّورت علاقتنا إلى حبّ جارف، صرنا ننام معًا، وذات يوم أحسست بألم يمزقني نزفت بعده قطرات من الدّم.... بكيت ولطمت وجهي وأنا أصرخ متّهمة إياه افتضاضي، وكان هو يحاول أن يطمئنني ويقول لي أنه سيتزوجني في أقرب وقت وسيحافظ على وكده.... هل وفى به؟ للأسف.**

1-1-3-العنف الزوجي:

قد تَسْلَمُ البنت من عنف التربية، وقد تعاني منه وتتحمله لكي تنفصل فيما بعد عن الأسرة وهي تحلم بحياة زوجية سعيدة، ولكنّ واقع الحياة

الزوجية قد ينكشف عن وهم، لأنّ السّعادة لا ترفرف بجناحيها على بيت تتعرض فيه الزّوجة للضرب، من طرف الزوج يفترض أن تربطها به علاقة إنسانية حميمية، على الاحترام المتبادل وعدم امتهان كرامة الآخر، تعنيف الزوجة بالقول أو بالضرب من الممارسات التي قد ترسّخها التنشئة الذّكورية في الأفراد من الجنسين، لذلك نجد الضّرب و التلفظ بالألفاظ القدحية في حق الزوجة عملة شائعة، يعانيها الأبناء منذ طفولتهم في العديد من الأسر.[10]

لا تخلو المجتمعات المتقدّمة من ظاهرة العنف الزوجي، وقد أثبتت الدراسات الإحصائية نسبة الزّوجات المعنفات، يصل إلى الثلث **(1/3)** من ضمن مجموع النساء المتزوجات في فرنسا مثلاً وفي خضمّ الاهتمام بالقضية النسائية، والدّور المتزايد الذي غدت تلعبه النساء في شتى المجالات، أولت الدّول والمجتمعات المدنية، والهيئات الدّولية خلال السنوات الأخيرة، اهتماما كبيرا لظاهرة العنف، وعملت على الحد منها بكل الوسائل وخاصّة القانونية بها.[11]

لا تلجأ كلّ الزوجات المعنفات إلى الحلول الإنحرافية كالبغاء حتّى في حالة الطلاق، ولكن ما يمكن أن نلاحظ من خلال النّساء اللائي يمارسنه، هو أنّ العنف الزوجي قد يشكل أحد العوامل التي تدفع بهّن إليه، تقول " **ل** " **36 سنة:**

أخرج منذ عشر سنوات، كنت متزوجة من شاب كان يسكن معنا في الدرب، كان يعمل خياطًا، لم أكن أعرفه كثيرا، ولكنّه كان دائما

يلاحقني بنظراته ... ذات يوم جاء مع أمّه لخطبتي، وافق والدي ووافقت أيضا لأنه كان وسيما جداً.

ذات يوم رماني بلكمة في عيني فانتفخت وكادت تنفجر، ذهبت إلى الطبيب فأعطاني شهادة طبية (سرتافيكة)، عدّت إلى دارنا وصممت على الطّلاق. ومن يومها أقسمت ألا أتزوج أبدا.... صدقني إذا قلت لك بأن بعض الرّجال الذين ألتقيهم الآن يحترمونني بشكل لم أعرفه مع زوجي الذي ربطني به الحلال. حكايات العنف الزّوجي لدى النساء اللائي يمارسن البغاء شتّى. وكلها تبرز بأنه كان السبب المباشر للدّفع بهنّ إليه. تقول "ر" **31 سنة:**

هل تود أن تعرف كيف خرجت إلى هذا الميدان؟ اسمع ما سأقوله لك، لكل واحدة منّاقصة لا يعرفها النّاس ولا ترضي هي بأن يعرفها. إنّني لا أقرأ ولا أكتب، لست من ذلك الصنف الذي يربح كثيرًا.... لم أفكر يومًا أن أصبح هكذا ولكنّ زوجي هو السبب.

كان يعود مخمورًا ويضربني ضربًا لا يطاق، لم يكن يصرف عليّ أنا وطفلي الرّضيع، لم نكن نجد ما نأكله فيتصدّق علينا الجيران الذين يعرفون وضعيتي، هل تصدق بأن هذه التي أمامك لم تكن تخرج من الغرفة التي اكتريتها معهم؟

تقدم نساء كثيرات لا علاقة لهنّ بعالم البغاء، شهادات عن هذا العنف الزوجي الذي قد يؤدي بالمرأة أحيانا إليه.

تقول امرأة تجاوزت الخمسين من العمر: **ضرب الزّوجة قد يؤدي إلى عواقب لا تحمد عقباها، وهو عيب وعار.... كان أزواجنا "صعاب ياسر" ولكنّهم لم يكونوا يضربوننا لانّ الهيبة لا تكون بالضرب.** الجسد المعنّف سواء في البيت الأبوي أو في بيت الزّوجية، قد يغدو مستباحًا بفعل العنف ذاته، تقوده دروب مختلفة إلى البغاء، في حالة انعدام المؤهلات والفقر لدى الأغلبية من النّساء اللائي يقتحمن عالمه المرعب.[12]

قد لا يكون الفقر عاملاً رئيسيًا لدى أقليّة من الفتيات والزّوجات الشابات، اللائي عانين من قساوة التربية أو الحياة الزوجية، ولعلّ أبلغ تعبير عن هذه الوضعية، يكمن في شهادة تلميذة لا يتجاوز عمرها الثامنة عشرة، توصلت بإدراكها ومعاينتها لواقع بعض النساء إلى هذه الشهادة بشأن عنف التربية والعنف الزّوجي في آن:

يمكن أن أخبركَ عن حالة أعرفها جيدًا وعايشتها. يتعلق الأمر بشابة جميلة كانت تسكن بجانبنا... كان زوجها قاسيًا جدًا، يضربها دائمًا، وكم من ليلة كانت تلجأ إلينا هاربة في حالة يرثى بها. تحمّلت هذا العذاب ستّ سنوات رزقت خلالها بطفلتين، ذات يوم حصلت منه على الطلاق، تنازلت له عن كل شيء وسافرت إلى فرنسا.... لقد شاع في الدّرب بأنها تمارس البغاء هناك.... وهي الآن تملك فيلا ومحلاً كبيرًا للخياطة.... ذات يوم التقيتها أنا وأختي فأكّدت ما قلته لك، وحين حكينا ذلك لأمّي قالت لنا "لعنة الله عليها"، ولكنّي أرى أنّها على حق رغم أنّي أعارض اختيارها لهذا الطريق.

أتعرف ! إنّي أعتقد بأنّ التربية التي نتلقها هي السبب في توجه الفتاة الصغيرة إلى البغاء... أعرف فتيات صغيرات لا يتجاوز سنّهن السادسة عشرة، يدرسن معنا هنا في الثانوية، يمارسن البغاء، يذهبن مع رجال في سن آبائهنّ، وهن لسن محتاجات إلى المال البتّة.

1-1-4- التحرش الجنسي والاغتصاب:

مع تصاعد الاهتمام بوضعية النّساء عبر أنحاء العالم خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، أثيرت مواضيع كانت تدخل في دائرة المسكوت عنه، كالتحرش الجنسي الذي يمثّل شكلا من أشكال الاعتداء على كرامة المرأة، واعتبارها فريسة ينوي الرّجل اصطيادها، مستعملاً جميع الوسائل التي تصل أحيانًا إلى الضغط عليها لكي تلبّي له رغباته.[13]

ينسج المتخيل الجمعي صورة للمرأة/الأنثى التي يَرْمي الرّجل/الذكر إلى إيقاع بها بأي ثمن وإغرائها ثم اصطيادها، وحتّى وقت قريب، كانت المرأة تعتبر هذا السلوك الجنسي العدواني تجاهها قدرا لا مفّر منه لأنه يعكس تصورها هي ذاتها، قد تتخيّل صعوبة العلاقة بين التحرش الجنسي والبغاء، لأنّ التصّور السائد عن المرأة التي تمارسه يحذو بنا إلى الاعتقاد بأنّها تقبل به وقد تشجعه لأنه يجلب إليها زبونا منتظرا.

تقول "ر" (29 سنة):حاولت أن أشتغل، ذات يوم عثرت على عمل بمحّل لبيع الحلوّيات، رآني صاحب المحّل فقبل بي على الفور، وأمرهم بأن يكلّفوني بالبيع لأني جميلة وسأجلب الزبائن....تصور ! لقد قال

ذلك أمامي... اشتغلت أسبوعًا، وتلاءمت مع المهنة، وفي نهاية ذلك الأسبوع، طلب منّي أن ألحق به في سيّارته بعد الإقفال في المساء، وحدّد المكان الذي سينتظرني فيه.... كان الرجل في سنّ أبي، كيف يمكنني أن أربط علاقة به؟ تظاهرت بالرّضوخ أخذت أجرتي الأسبوعية وخرجت دون عودة، حكيت لصديقتي ما حصل لي مع ذلك العجوز، وقلت لها أنّني لا أتحمل رؤيته فبالأحرى أن اخرج معه... ما حكيته لَكَ حصل لي مرار... بعدها قلت لنفسي مادام الكل يطمع في فلأفعل ذلك وأتقاضى عنه أجرا... ألم أقل لك البغاء موجود في كل مكان، إلاّ أنّه لا يظهر أحيانًا، اغلب السكرتيرات في الشركات يمارسنه (؟؟)، إلاّ أنه لا يظهر، كيف تحصل الموظّفة على سيارة، وهي تتقاضى مبلغ قليل؟ قُولْ أنت: كيف تحصل على ذلك؟.

قد يؤدي التحرش الجنسي إلى الاغتصاب الذي ذهبن وتذهب ضحيته نساء كثيرات بل طفلات أحيانًا، وهناك فئة من النّساء اللائي يمارسن البغاء، كان الاغتصاب أحد العوامل الأساسية التي دفعت بهن نحوه، وخاصّة منهن اللائي مارسن الخدمة المنزلية في طفولتهن أو شبابهنّ.

1-الجسد الإيروتيكي بين تَمَثُّلْ البَغِي وتمثلات المجتمعّ:

1-1- الشكْلنةُ الأخلاقيةُ للرّغبة الجنسية:

ليست الرغبة الجنسية سوى بحث عن اللذة من حيث هي متضمنة للهناء، وهي «نموذج للسعادة». إن الرغبة تَفننٌ في الحياة، إلا أنها في

حد ذاتها نتاج اجتماعي، فالثقافة تنتج نماذج للرغبة، بمعنى أساليب عيش وثقافة ذو فئة معينة، وكما كتب كوش في نفس المجتمع، يرغب الناس في أشياء متشابهة.14

ويمكن للرغبة أن تصبح مشكلة حين يرغب الناس في أشياء محدودة أو في أشياء تختلف عن ثقافتهم. في هذه الحالات تظهر صراعاتُ مصالح أو صراعات اندماج. ويحصل نفس الشيء حين لا نضع حدود ونظامًا لرغبتنا وحين نفكر فقط في إرضاء الرغبة وفي الحصول على اللذة (دون الاهتمام بالوسائل). إنّ اللذة ليست حرة. ورغم أن الثقافة العربية عرفت كيف تنمي اللذة (العطر وجسد المرأة موجبان في هذه الثقافة)، فلابد للذة أن تنتظم وفق معايير السلوك الاجتماعي وإلا فإن الفرد يعتبر فاجرًا وشاذًا.15

من ثم فإن البغاء نشاط غريب عن الرغبة، تعتبر المومس فاجرة في الجزائر كما في الغرب، وإذا اتهمت المرأة كثيرا بـ«العيوب الجنسية»، فإن الرغبات الجنسية عند الرجل لا توضع أيد موضوع تساؤل. ومن جهة أخرى، يشترط البغاء مقابلاً ماليًا من أجل الحصول على المتعة. هنا يتعلق الأمر بفوضى أخلاقية توجد داخل نظام لا يترك الرغبة الجنسية حرة. فالبغاء جزء من التناقضات الاجتماعية حول الجنس، أو حول ما يفهم أنه عيوب الجنس. وعلى ذلك فإن البغاء يساهم في راهنية ووظيفية الطابو معًا.16

1-2- العلاقة بين الجنس والعاطفة:

يوجد في العالم العربي وفي الجزائر بالخصوص ميل كبير لأغاني الحب فالموضوعات التي تتناول العشق والرقة كثيرة، ويحتاج الناس إلى إدراك هذه المشاعر من خلال الفن المعبر عن الحياة اليومية (سينما، موسيقى، تلفزيون). لكن العلاقات الواقعية بين الأفراد تختلف عن هذا النموذج، إذ أن تمظهرات العاطفة والحب في الفضاء العمومي غير محبذة. فالأزواج الذين يتنزهون وأياديهم مشتبكة، أو يتعانقون أو يتبادلون القبل، أزواج نادرون. يوجد في مجتمعنا ازدراء حقيقي تجاه التعبير عن العواطف الغرامية.[17]

ونظرًا للحشمة، لا يعبر الحب عن نفسه في الفضاء العمومي، ولو في إطار العلاقة الزوجة. قبل الإسلام وفي عصره الذهبي، كانت القبائل العربية تعقد زيجات مصلحية أو سياسية، بمعنى أن الرجال كانوا يدبرون أزواج أبنائهم ويناقشون الصداق الذي يتوجب دفعه إلى أب الخطيبة.[18]

وتستمر ممارسة تزويج الفتيات إلى اليوم، بحيث أن الفتاة في الكثير من الأحيان لا تتعرف على زوجها قبل الزواج، بل ولا تقرر من سيكون زوجها. وقد تمت اليوم، مؤسسة الجنس غير الزوجي كمثل معياري، وترك الزواجُ المدَبَّرُ مكانة للزواج التوافقي بين شخصين يتقاسمان نفس المشاعر (زواج عن حب). وكانت للرجال في "المدونة" السابقة تسهيلات كثيرة إذا هم أرادوا تغيير زوجاتهم، وعادة ما يلجئون إلى الطلاق.[19]

إن النساء المطلقات نساء استعملن كثيرًا وبالتالي يتم التخلي عنهن، أما الصداقة وكل أشكال العاطفة بين الرجال والنساء، فهي غير لائقة خارج إطار الزواج، تتم تنشئة المرأة في عالم اجتماعي – مثلّي، نسوي، وتتم تنشئة الرجل في عالم اجتماعي – مثلي، ذكوري، والعلاقات بين العالميين ضئيلة، وبالتالي تنحصر صداقات النساء وعواطفهن في عالم النساء وفي إطار العائلة، وتجاه أبنائهن وبناتهن بالخصوص. أما في المجتمع المثلي الرجالي، فمن الممكن أن تتواجد نساء يكنّ محطّ الرغبة الجنسية وموضوع تسلية. واقتسام الجنس والمشاعر بين الرجال والنساء ليس متكافئًا. فالنساء يخفن من الطلاق الذي يلجأ إليه الرجل. وبإمكان الرجل أن يغير شريكته، وبإمكانه حب أكثر من امرأة واحدة والتزوج من أكثر من امرأة واحدة (يمكنه التزوج من أربع نساء والتوفر على خليلات). إن الحب الواحد المرتبط بالجنس، بصفته مثلا أعلى ونزعة شمولية لا يعكس الواقع القائم.[20]

وبالنسبة للنساء فإن اللواتي تجاوزن الخامسة والثلاثين ولهن مستوى دراسي ضعيف يرين أن الجنس ميدان يخص الرجل وحده، بمعنى أن الجنس فعل شرعي خلقه الله لإرضاء الرجل. وتقر هؤلاء النساء أن الرجل لا ينتظر إلا شيئًا واحدًا من زوجته. فإذا تركت الزوجة زوجها يفعل ما يشاء (بها)، يمكن أن تعيش سعيدة. وتنتظر الزوجة في المقابل "هبا تها" الجنسية، أجرًا، أو نوعًا من الاستقرار الزوجي أو رحمة يومية من طرف الزوج.

1-3- العناية بالجسد والفاحشة الجنسية:

إن الجسد أداة عمل في البغاء والمومس واعية بقيمة جسدها وتستغله في هذا الاتجاه بمعنى أنها تعتني به قصد استغلاله. فالجسد يُتصور كشيء خاص جدًا يتم الاعتناء به، ويتم طلاؤه بالمساحيق من اجل إغواء الرجل الباحث عن المتعة. وبدون وعي منهن تحدت النساء العاملات في البغاء ثورةً في رمزية الجسد الأنثوي.

وإذا كانت العاملة الجنسية معتادة على الاعتناء الكبير بجمال جسدها فإنها لا تعتني بصحتها بنفس القدر، لأنها غالبًا ما تكون ضحية اعتداءات جسدية ونفسية ولأنها تمارس الجنس دون إعارة اهتمام بمعايير الوقاية من الأمراض المنقولة جنسيًا ومن السّيدا. تلك هي حالة رفيقتين تمارسان البغاء معًا وتناقشان هذا الموضوع في فندق قبل بدء العمل حسب التالي:«**اليوم ذهبت إلى الحمّام، لا أريد الذهاب مع أي رجل لأني أشعر بأني نظيفة ولا أرغب في أن أتسخ، فممارسة الجنس يجب أن يتوفر على النظافة لكي يحس الزبون باللذة والمتعة، ففي بعض الأحيان هناك عاملات ينفر منهم الزبون لاتساخهم وأنا لا أريد أن تكون نهايتي هكذا، فالنظافة هي سر المهنة**» "**أنيسة**"

«**تعالي معي صديقتي على الأقل، ستربحين قدرًا من المال يمكنك من تحضير ما تشتهين هذا المساء**» "**خديجة**"، إن الجنس شيء قذر بالنسبة لهؤلاء العاملات الجنسيات، وفي وعي كهذا استيطان من طرفهن لهذا الطابو (الإسلامي واليهودي، المسيحي) صحيح أن جسد العاملة الجنسية التي عانت اعتداءات فيزيقية و اعتداءات أخرى جسَدٌ يغْسَل لكنه جسدٌ غير مصون وغيرُ "مدلل" وفعلاً بعد معاناة الرّضوخ والإهانة،

تفقد العاملة الجنسية تقدير نفسها لنفسها ولا يبقى لها أيّ احترام تجاه جسدها وهذا ما تؤكده جُلْ النساء حيث تقول "**فاتيحة**" «**بالنسبة لي رغم أني دائمًا أغتسل بعد كل عملية جنسية إلا أني دائمًا أشعر أن شيء ينقضي وعدم ثقتي بنفسي رغم أني أَدُرُ الأموال كثيرًا فأنا جميلة ولي جسد أبيض ورشيق ولي إستراتيجيتي في ممارسة الجنس ويبقى الإحباط هو المسيطر...**».

إن الزواج ركيزة أساسية في البنية الاجتماعية، وقد أوصى الإسلام به. فهو يؤطر ويحمي النظام في العلاقات الجنسية بين الأفراد (الحصانة)، وكل علاقة جنسية أخرى تشوش اجتماعيًا وأخلاقيا على منظور الأمة الإسلامية، القائم على محوري الزواج – العائلة.21

ويعتبر ذلك التشويش فتنة، وهو تشويش خطيرٌ لأنه يجعل من المرأة فاعلة (فاتنة) أمام رجال مفعول بهم. فالمرأة تمثل الجمال والإغراء الجنسي اللذين هما أصل الفوضى والخلط المؤديين إلى ضياع الرجل. 22

إن هذه الثلاثية المؤسسة للجنس هي التي تجعل منه أمرًا منظمًا بإحكام في الإسلام. فالإسلام يميز بين علاقات وممارسات جنسية مسموح بها وبين الفساد (الجنسي السيئ)، أي الشذوذ والعيوب الجنسية المرئية حسب سلّم قيم معين.إن العلاقات الجنسية غير الزوجية تعّرف كزناً، أي كجنس يمارس بين شخصين لا تربطهما علاقة نكاح أو معاشرة أو ملكية "رق".[23]

ويذهب الباحث التونسي بوحديبة إلى أن الزنا هو نقيض النكاح.24 فالزنا يجسد مفهوم الفساد. وهو يحيل بالخصوص على العلاقات الجنسية غير الشرعية. ويمكن تقييم الزنا إلى نمطين: يعتبر النمط الأول غير شرعي ويعني العلاقات بين أفراد لا يمكن أبدًا أن يعقد نكاح بينهم.25

(العلاقات مع بعض الأقارب، مع فتيات يقل عمرهن عن 15 سنة، مع فتيان يقل عمرهم عن 18 سنة، مع شخص مع نفس الجنس...) أما النمط الثاني فيحيل على بعض العلاقات التي يسمح بها المجتمع رغم كونها غير شرعية. ويتعلق الأمر هنا بالعلاقات الجنسية بين أشخاص غير متزوجين لاعتبارات ظرفية.26

ولا يوجد مصطلح خاص يدل على الممارسات الجنسية المحرمة وحدها، لان تلك الممارسات يمكن أن تحدث في إطار العلاقات الزوجية، لذا لأنه يسمح بها نسبيًا مقارنة مع الزنا رغم كونها تعتبر فسادًا.

وكثيرًا من العاملات الجنسيات يرغبن في التزوج ليصبحن زوجات وأمهات وربات بيوت إن الزواج أحد أعمدة الحياة الاجتماعية في الجزائر، علاوة على كونه فرضًا دينيًا وبالتالي فإن غير المتزوجين من الرجال والنساء يلصق المجتمع صورة سلبية بهم. وهكذا حينما تبلغ الفتاة العشرين من عمرها، تصبح مهووسة بشبح العنوسة إذا لم يتزوجها أحد، فعدم التزوج يعني بالنسبة للفتاة أنها لن ترتقي إلى مكانة المرأة

المتزوجة، ولن تبلغ بالتالي درجة الأم، وهي أعلى درجة تصلها المرأة في النظام الاجتماعي البطريكي.

تشرح "ربيعة" ذلك قائلة: **«تزوجت نعيمة وحضرنا كلنا حفل زفافها، الآن أريد أن أتزوج وأبني أسرة وأتوقف عن هذه المهنة، أنا في علاقة مع شاب أرجوا أن يخرجني من هذا الجحيم لأرتمي في أحضانه وأترك أحضان وأسوار الدعارة...».**

وتعلق "نادية": «الحياة الزوجية هي الحياة العادية والهادئة أريد التوصل إلى زواج، فأنا كل ليلة أحلم أني أم لي زوج وفتاة جميلة، أرجوا أن يتحقق هذا الحلم...».

وتعترف نادية: «حلمي، ككل النساء، هو أن أتزوج وأن يكون لي أطفال».

وتعتقد كريمة «من الوارد أن رجلاً بإمكانه أن يمنحني الاستقرار في حياتي، أن يحقق لي حياة عادية ومستقرة».

أما "ياسمينة" «أتعرف؟ إن قلبي مليءٌ بالحب رغم عذابي ورغم مظهري. مظهري لا يعكس ما بداخلي. لكني فشلت في جميع علاقاتي الغرامية».

2- تناقضات البغاء في الجزائر ووصم العاهرة (القحبة):

2-1- التوليد الاجتماعي للبغاء (الوصمة):

إن التبادل الجنسي، الاقتصادي المستمر بين نساء ورجال هو ما يعرّف رسميًا بالبغاء، وفي الكثير من الأحيان يعتبر جنحة عندما تطلب نساء أو يطلب مثليون أو خنث مالاً بشكل واضح من الرجال مقابل خدمات جنسية في مكان عمومي، في مكان خاص أو في مكان تجاري.[27]

ويعكس البغاء النسق الاجتماعي كما يعكس العلاقات الاجتماعية بين الجنسين التي تتسم بالاختلاف واللامساواة. وكما تشير إلى ذلك فاطمة المرنيسي يشكل الجنس والمال ثوابت ضرورية في تعريف الرجال والنساء.28 ، إن النساء يقدمن خدمات (جنسية، عاطفية، هوياتية...) إلى الرجال مقابل أجور مالية أو اجتماعية. لذا نفهم لماذا يكون البغاء نسويًا. فبشكل عام، هناك ترادف بين مفهوم البغاء من جهة وبين مفهومي المرأة والمومس من جهة أخرى، لكن البغاء لا يقتصر اليوم على النساء وحدهن، لأننا نجد داخل هذا الحقل مثليين وخنثًا أيضًا، وقد عثرنا في بيوت الدعارة على بعض الرجال الغريبين الذين يتعهرون وفق طريقتين بشكل عام:

أ/ الرجال الذين يتعهرون مع نساء ويعرّفون أنفسهم كمتعهَّد بهم (Gigolos) وهؤلاء يعيشون علاقاتهم الجنسية مع نساء غريبات ويبحثون على المال والهدايا وهذا وجدناه في الميدان نادرًا، غالبًا ما يكونون جذابون ومرحون، أما استعمال مفردة "المتعهد به" بصددهم، فإنها لا تعني أهانتهم أو الحط من شأنهم.

ب/ رجال غيريون لهم علاقات مع رجال مثليين أو مزدوجي الجنسانية وهؤلاء لا يسمون «متعهدين بهم» وإنما «رجال قحاب» ويظل هذا البغاء

الرجولي غير مرئي إذ لا يعترف المجتمع الجزائري سوى بالبغاء النسوي، أي ببغاء نسائهن موضوع رغبة الرجال، نساء تتقاضين أجرًا مقابل خدمات جنسية داخل المنازل وخارجها.

«إن... الوصمة التي أحملها على وجهي تجعلُ الناس يهمسون أنني مومس...»*

الوصمة علامة تميز الفرد، فالسلوك والملابس وطريقة الكلام والمظهر والأمراض والإعاقة أشياء تُقولب إما ايجابيا أم سلبا.[29]

وتشير القوالب السلبية إلى دونية الفرد وإلى حقيقة أو وهمية، بمعنى أنها تفترض في الفرد انطلاقا من صورته الخارجية، ويمكن الوصم في اختزال الشخصية كلها في الصفة السلبية بحيث يصبح هذا الأخيرة وحدها محددة، طبعا على حساب كل الصفات الأخرى التي تحجب اجتماعيا، ويتأثر الأقارب أنفسهم من الوصمة التي تلصق بأحد أفراد العائلة إلى درجة أنهم يتجنبون كل علاقة مع الفرد الموصوم.[30]

في حالة العاملة الجنسية – المومس– تلطخ الوصمة شرف العائلة، وهو ما يشرعن عقابها ويبرر تهميشها، إن المجتمع يتخلى عن الشخص الموصوم لكنه في الوقت ذاته يظل فضوليا ويتتبع سلوكياته فبعض الأشخاص يذهبون إلى «**أماكن الاصطياد**» للفرجة، أي للتفرج على المومس وهي تنتظر، بل وهي تُشتم أو يعتدي عليها، ذلك أن العاملة

* – أغنية شعبية اسبانية.

الجنسية محط شعور مزدوج، فهي تنال إعجاب الرجال، وهي في الوقت ذاته مرفوضة من طرفه، إنها تعجبه لأنها تشبع أمراضه وأهوائه لكن الرجل يحتقرها للتظاهر بالفضيلة، إن المجتمعات العربية الإسلامية تشتم وتهاجم المومس، وتعاني المومس في تبسة من الوصم ومن التحرش، المومس المعتدي عليها لن تستفيد من حماية الشرطة لأن نشاطها يعتبر جنحة وكثيرا ما تهاجم المومس فتتحمل الشتائم المختلفة وتهكم الجيران وكذا الاعتداءات الجسدية، وفي بعض الأحيان، يقتلها الزابون الذي يعتبر من خلال عدوانيته هذه عن ضعفه. "تقول **ك.ر السنة 27**"«**لقد قتلت صديقتي على يد أحد الزبائن ليس جنسيا كم يعتقد الناس بل بالضرب والتعنيف الجنسي لا يمكن أن أصف لك حالتها وماذا فعل بها هذا الحقير**».

إن الوصم يغذي آليات الضبط الاجتماعي، حيث يكون حامله موضوع مراقبة اجتماعية مستمرة، فرغم معرفة الميزات الايجابية لدى الشخص الموصوم، يتم التركيز على ميزته السلبية فقط حتى يستمر وصمه : ليس إلا تعبيرًا مشوها، لكنه منطقي، عن العقاب الذي يناله الشخص على "البشر" الذي يقترفه، أي عل "شذوذه" فالعاملة الجنسية توصم لأنها لا تفعل ما ينبغي فعله للمثل الاجتماعي الاعلى، توصم لأنها ليست امرأة متزوجة ومخلصة جنسيا، يحذر الوصم الآخرين من زلة الوقوع في فعل ما لا ينبغي فعله، أي في ما هو شيء، فالإنسان يتعذب بسبب بتور أو ندبة في الوجه أو سلوك يتم تحويلها إلى وصم من طرف المجتمع، ويمنع الوصم الإنسان من التصرف بحرية.31

2-2- وصم العاهرة (القحبة) وتثمين دورها:

«يعني العمل في البغاء أن المرأة عاهرة في النهار وفي الليل، وأنها دوما وفي الوقت ذاته "قحبا"، "مومس" فالمومس في المخيال الاجتماعي، امرأة قذرة، شاذة، ذات توجهات، وتختزل كينونتها الاجتماعية والشخصية بشكل كامل في عملها البغائي.[32]

ويجعل التصور التبسي المنمط من المومس امرأة غير مستقيمة على الإطلاق فهي تخرج الشعور الجمعي نظرا لعلاقتها الجنسية المحرمة والكثيرة، وهي بالتالي امرأة قذرة وحاملة لأمراض ومسؤولة عن السيدا، تختار البغاء لفسوقها دون أن تفكر في اختيارات أخرى، انطلاقا من هذا المنطق، تنقسم النساء إلى فئتين: فئة الطيبات وفئة الشريرات (أوالسيئات)، فئة المستقيمات وفئة أولئك اللواتي لهن حياة شريرة، فئة اللواتي لا يخرجن وفئة اللواتي يخرجن، "**غير القحاب**" و"**القحاب**". بالنسبة لهذا التصور المنمّط، بإمكان النساء وحدهن أن يكن "**قحاب**"، أما الرجال، فلا يمكن أن يكونوا كذلك أبدًا. وكل امرأة ينالها الرجل وتخرج مع الكثير من الرجال تتكبد وصمة "**القحبا**".

إن البغاء خاصية النساء، "**نظرا لشكل أجسادهن المفترض أنه طبيعي**"». فالرجال ليسوا "**قحاب**"، يمكن للرجال أن تكون له أربع زوجات، كما يمكن له أن يستبدل زوجة بأخرى عن طريق الطلاق. وعلى زوجة أن تكون دائما رهن إشارة زوجها ومن المقبول اجتماعيا أن يكون للرجل عدة شريكات جنسيات، إن البغاء المثلي والمتنكر الجنسي والخنثى بغاءٌ يعاني أيضا من شدة القمع الاجتماعي والقانوني، فالرجل

العاهر "**حساس**" فهو ليس برجل وفي ذلك كارثة، يخفي نفسه، ويتعرض للاعتداء عندما يخرج للاصطياد. إن الرجل العاهر اللوطي يعاني، بصفته لوطيًا، وصمًا أكبر من الوصم الذي يعانيه بصفته عاهرًا.[33]

وتعتبر العاملة الجنسية امرأة شقية، وعلى النساء الأخريات اجتنابها **(لأنهن تربين لا يشبهنها أبداً)**، فالعاملة الجنسية تمارس جنسا تجاريا يحط من قيمتها، مومس هي المرأة التي تمشي وحدها في الشارع، وتدخن علانية، سواء أكانت ترتدي جلبابا في بعض الحالات أم كانت تضع لباسا عصريا في الحالات الأخرى ، والبعض من العاهرات فقط يضعن حلياً وطلاء، وتتواجد العاهرات في بعض أزقة وسط المدينة، حيث يوجد الكثير من الناس وحيث الاختلاط، أي حيث زبائن ممكنون وزبائن محتملون، هنا يتواجد أيضا فتيان وفتيات من أجل الاصطياد أيضًا **(وهم ليسوا ممتهني البغاء)**.

كل امرأة تخرق معايير النوع الاجتماعي في حقل الجنس تعرف، اجتماعيا، "**قحبا**"، وبالتالي يشمل هذا التعريف المومس المحترفة والمومس الهاوية، والمومس بالصدفة، والمرأة التي لها خليلان، وأخرا المرأة التي تغير كثيرا شريكها الجنسي، هؤلاء النساء يتكبدون كلهن وصمة العار، ويشكلن هدفا للعدوانية الاجتماعية ومهما فعلن، فإن العاملات الجنسيات سَيَبْقَيْنَّ دَوْمًا **(قحاب.**[34]

بخصوص الهوية الاجتماعية– الثقافية والهوية الشخصية بشكل عام، تتحمل العاهرات الصورة الإجمالية التي يسقطها المجتمع عليهن،

فوصمة "القحبا" تلتصق دائما بالعاملات الجنسيات رغم أنها لا تصيبهن بنفس الدرجة.[35]

تلعب الكثير من العاهرات في تبسة، دور الضحية، فهن يبررن ممارساتهن باسم البطالة والجوع اللذين يجبرانهن على العيش بأنه وسيلة كانت، أو كما تقول العاهرات الهاويات : «**أذهب مع أصدقاء ... فلمَ لا أطلب العطر والويسكي اللذان أرغب فيهما؟ ليس هذا بغاء، إنه بقاء على قيد الحياة**». والمجتمع نفسه يعاملهن كضحايا وينتقدهن في الوقت نفسه، أما الصحافة فتكتب الكثير عنهن وتتأسف على طريقة كسب عيشهن، كما أنها تقدم اقتراحات من أجل أن يجدن وسائل أخرى للعيش. غالبا ما يتردد خجل العاملات الجنسيات من عملهن رغم أنه ليس له بدائل للتعبير عن مشاعرهن، وكثير منهن لا يستطعن مواجهة أنفسهن، وللأغلبية منهن حياة مزدوجة، أن يحاولن تقديم صورة محترمة عن أنفسهن ونفي وصمة "النساء السيئات" عنهن أمام ذواتهن، إنهن نساء يعشن من خلال إخفاء عملهن والبعض منهن يشعرن أن **الجسد الذي يتعهر جسدا آخر، وجلد آخر، ولسان آخر، وفم آخر يفضل كلمات أخرى**. حيث تبحث هؤلاء النساء على أصالتهن الشخصية في أدوار أخرى.

2-3- السياق السوسيو- الجنسي للبغاء وتناقضاته:

2-3-1- الجنس وبّغاء النساء في المجتمع التبسي:

إن الجنس خارج الزواج ظاهرة معروفة، لكن هناك الكثير من الصمت عن هذا الموضوع، وكثير من الأسرار والأساطير التي تُغوي النساء خصوصًا، فالجنس لا يتبلور كليًا في اطار الزواج.36

كما تعرض ذلك نوال قائلة: «**خِلاَّني يبوحون لي بأنهم لا يفعلون بعض الأشياء مع زوجاتهم... لا ... إن ذلك عيب (حشما) في نظرهم**».

يراقب المجتمع الأبيسي الإسلامي النساء ويحرصن على احترام القواعد الأخلاقية، حيث يستمر إشعار النساء بالذنب في العلاقات الجنسية المحرمة، ويؤدي ضغط الأخلاقي الاجتماعية بالنساء إلى مراقبة ووصم ذواتهن.[37]

وتشهد **نرجس** على ذلك حين تقول : «**كان لي أصدقاء وكانت لي معهم علاقات جنسية، وكنت أعتقد أنني مومس، نظرا لتغير الشركاء، ولفقدان البكارة وللعزوبية، لكن الملامسات كانت بالنسبة لي دليل تقديري**»،وفي مرات أخرى ينتج الشعور بالإثم عند المومس من جراء تدخل نساء أخريات، فمن الصعب أن تُقبلَ التغيرات الاجتماعية وأن يتكيف الإنسان بسرعة معها، فهي عبارة عن سيرورات بطيئة تعرف القبول أحيانا والرفض أحيانا أخرى.

تقول **فاطمة** : «**لا أعتقد أن النساء اللواتي يركبن السيارات مع الرجال مومسات، لكن سلوكهن هذا يشبه سلوك المومسات فهو سلوك**

له مخاطر، وسلوك غير محبذ وهذا ما نراه يوميًا في طريق الإقامة أو الجامعة، فيجب على المرأة التبسية وباقي النساء أن تحافظ على بكارتها، فالبكارة هي كل ما يملكن ...». وتقول سميرة أيضا: «**الفتيات الجامعيات يتابعن دراستهن الجامعية بعيدا عن عائلاتهن يخرجن من الوسط العائلي القمعي، كل شيء يتبدل: يعتقدن أنهن حُرات في فعل ما يشأن أو في التمرد على عائلتهن، وبما أن ليس لهن منحة جامعية وبما أنهن في حاجة إلى المال، فبإمكانهن السقوط في فعل ما لا ينبغي فعله**»، وتذهب بعض النساء إلى أبعد حد في اتخاذ الاحتياطات فيما يخص حياتهن الجنسية، إنها حالة نورة: التي تحكي :«**أقول للفتيان: لا أمارس الجنس ما دام ليس هناك عقد شكلي...».**

إن البطريكية الاجتماعية تخضعُ النساء للرجال وتجبرهن على إرضائهن، كما تعلمهن العيش، في خطر دون حماية لا سلطة ولا حقوق، كل هذا يمنع النساء من التهرب ويجعلهن قابلات لأن يكنّ ضحايا الاستغلال والتحرش والمعاملة السيئة، وهذه الأشكال من العنف حاضرة في اللاشعور الاجتماعي البطريكي وتعبِّر من عدوانية الرجال تجاه النساء ... وتشكل تلك العدوانية، بصفتها استغلالا جنسيا، جزءا من الحياة اليومية لدى النساء.[38]

نلاحظ حاليا أن المجتمع التبسي يتجه نحو مرحلة جديدة، فهناك تغيرات في السلوكيات وفي العلاقات بين الجنسين، لكن وفي الوقت ذاته تستمر البنية البطريكية في الوجود، تلك البنية التي تجعل كل رجل زوجًا

بالقوة وملاذًا للمرأة حتى تبقى على قيد الحياة، وتفسر **سكينة** : «**في هذا المجتمع، لا يوجد أي نوع من المساعدة الاجتماعية، فحين تعجز الأسرة عن مساعدتك وحين تحدث القطيعة مع الأسرة، لا يبقى هناك سوى ذراعي رجل لحمايتك**». بل لا يزال الرجال يمتلكون السلطة الاقتصادية، أي ما هو ضروري لـ "**شراء**" الحرية والاستقلال، وهم مستقلون وأحرار غير تابعين للنساء، أما النساء فهن تابعات لهم، هذه الأدوار الاجتماعية مستوعبة إلي حد بعيد ولا تزال مفروضة، رغم أنها أصبحت تخضع لإعادة النظر، وتستمر النساء في المزج بين صورة الرجل من جهة وبين الأمن الاقتصادي والقوة والحماية من جهة أخرى، ومن واعيات بما يتضمن مفهوم الحماية من خضوع من طرفهن.

ينعدم الالتزام والاحترام في العلاقات الجديدة بين الجنسين، هي علاقات متقطعة تؤجر اللحظة، علاقات متحللة من القيم الأخلاقية لأنها خالية من الوعد بالزواج ومن عقده، تنتقد النساء تسلط الرجل وعدم مسؤوليتهم، وينتقد الرجل طغيان المادية لدى النساء.[39] في هذا الصدد تفسر **نورة** : «**صديقي رجل مستبد يحب أن يحكم، لكنه يشركني في تصميم مستقبلي، وإذا ما فشلت علاقتنا أؤكد لك أنني لا أدخل في علاقة مجددًا**».

يبدوا أن النساء، أمام السلطة الذكورية، عاجزات عن فعل أي شيء مهما كان، وبالتالي يتقبلن الأشياء كما هي، لكن النساء يعبرن عن حاجتهن إلى احترام كرامتهن ويندن بالاعتداء عليهن، كما يرين أن

الاحترام المطلق للزواج وللأسرة أمر ضروري باعتبارهما الوضعية المثالية (للمرأة في نظرهن).

ومن الصعب تعريف البغاء وفهمه كظاهرة اجتماعية، من جهة، يوجد طلب جنسي وضرورة تطوير استراتيجية حياة شخصية، ومن جهة أخرى، هناك التغير الذي يقطع مع تقاليد ثقافة عريقة تجعل من الجنس طابو، لكن ثمن ذلك التغير باهظ إذا أردنا تحّمله، إنه لشبه مستحيل تسيطر حد فاصل بين السلوكيات النسوية والرجالية (الجديدة أو السليمة) وبين السلوكيات المقبولة.[40]

تقول **ليلى** : «**مومس راقية ... لا أفهم كل هذه الفئات، لا أفهم لماذا يوجد تصنيف كهذا مومسات، كل النساء مومسات، من الممكن استثناء الزوجات المخلصات والفتيات العذراوات، يصعب الامر عند التقدم في السن، هنا، أدنى حركة تؤدي إلى اعتبار مومس مثلاً أن تتكلم مع غير زوجها في الشارع، وإذا كانت المرأة مطلقة، فذلك يعني مسبقا أنها "قحبا" من هي القحبة؟ هل هي التي تطلب مالاً مقابل علاقة جنسية؟ كل الناس لهم علاقات جنسية مقابل شيء ما**».

الأمهات العازبات، المطلقات، العاملات ... إلخ كل هؤلاء النساء يُظَنُّ بأنهن يمارسن البغاء. إنها المراقبة البطريكية المستمرة، التميزية على أساس الجنس.

2-3-2- تناقضات البغاء:

يتضمن تناقضات في ذاته، فهو نشاط عمومي (يسار إليه بتستّر) وخاص (شخصي)، إنه نشاط يتم إخفاءه باسم احترام الأخلاق، وهو طابو يهمّ العضو التناسلي، ذلك العضو من الجسد الذي تحتم علينا الأخلاق ستره ومراقبته، ويحاول الناس إخفاء البغاء وإطباق الصمت عليه، لكن هناك عجزًا على تهميشه بسبب أنه مطلوب اجتماعيا، فالبغاء مرئي ولا يبحث عن أن يصبح مختفيا.[41]

لا يكون هذا النشاط لو لم يكن هناك طلب عليه، فهو نشاط اقتصادي يتبع سوقه نسقا يحتاج فيه الباعة والمشترون معًا إلى مرجع قابل للمنال، يشتغل البغاء لكنه غير رسمي، ولا يتم الاعتراف به إلا عندما يجب متابعته، وتنظمه السلطات العمومية في (دور الدعارة). إن ربط علاقات جنسية مقابل مال لا ينبغي أن يؤدي إلى نعت الإنسان الذي يفعل ذلك بالمنحرف أو بغير العادي، خصوصا في عالم للسوق يُشْترى ويباع فيه كل شيء، ولأن الجنس يستعمل أيضًا كعملة للتبادل داخل الزواج.[42]

فالبغاء يشكل نشاطا في المجتمع التبسي، نشاطا يعني أفردا من فئات اجتماعية مختلفة، وهو نشاط يعكس عدم التطابق بين معايير الأخلاقية وبين العلاقات الما بين – فردية الواقعية، ولا ينبغي اعتبار البغاء نشاطا هامشيا كما لا ينبغي دراسته انطلاقا من أنثروبولوجيا التهميش، فالنساء اللواتي يعملن فيه لسْنَّ أفرادا لهن سلوكيات منحرفة، بل هن نساء راهنَّ على البغاء كاختبار حياتي، وما ينبغي أن يطرح كمشكلة هو ما يتعلق بالبغاء المكره (وليس الاختياري)، أي عندما تقع

الاعتداءات ويحدث العنف، وحين يقود عدم التوازن بين الجنسين إلى إخضاع النساء ومعاملتهن كأشياء جنسية.

الخاتمة

وصلنا من خلال المراحل المختلفة لهذا البحث إلى عدة استنتاجات، قد لا تكون معبرة باعتبار أنها شملت عينة بسيطة، إلا أننا حاولنا بالاعتماد عليها إلقاء نظرة موضوعية على هذه الظاهرة التي لا يمكن تجاهل وجودها في المجتمع التبسي و لا في المجتمعات الأخرى، فالدعارة شر لابد منه لتوازن المجتمع و فيما يخص الأسباب المباشرة التي كانت وراء تحولهن من نساء عاديات إلى مومسات كشفت لنا الدراسة أن الفقر هو العامل الأساسي في ممارسة الدعارة، فالمرأة المطلقة و الأرملة غالبا ما تجد نفسها في مواجهة مشكل إعالة أبناءها و إيوائهم و عندما لا تملك المؤهلات الكفيلة بتأمين عمل بسهولة و في أقصر وقت، تلجأ غالبا إلى أسهل حل هو ممارسة الدعارة.

إن البغاء نشاط يتطلب يدا عاملة نسائية و أطراف أخرى فهذا ما فرضه النشاط " **التراتبية**"، فالعاملات الجنسيات يحصلن مقابل عملهن على أجور تختلف حسب الجسد و طلب الزبون، فالأخير يختار حسب المعايير المتواجدة في ذهنيته، فمثلا يختار الزبون الأنثى التي تملك مؤخرة كبيرة و أثداء كبيرة، يؤكد هذا القول "م" :{ **رَني نموت عليها كبيرة راي تحيرني** .....}.

تؤكد النساء البغايا بأن استشعار اللذة مع الزبون أمر يلغيهن من حسابهن وترك اللائي يتوفرن منهن على قدر من الوعي بأن ارتباط العلاقة الجنسية بمقابل مادي، من شأنه أن يلغي عامل المتعة المرجوة من هذه العلاقة، إضافة إلى انفصال تاماً عن جسدها إنه الجسد السلعة، حيث أن عالم البغاء هو عالم يوحي بالسعادة الوهمية التي تغري النساء غير المؤهلات لخوض الحياة العملية و ما تفرضه من منافسة بحيث لا يدركن مخاطره و يجلبهن بريقه و سهولة الحصول على المال فيه، و حين يرتدنه و مع تقدم السن و شراسة المنافسة، يدركن بعد فوات الأوان إنهن يسرن في طريق مسدود، و هذا مؤكده "ن" بقولها { **أنا ما نقدرش نخرج من هذي البلاصة، بصح راني نادمة على شي لي نعمل فيه ..... "بكاء"**}.

بالإضافة إلى ذلك تسود لديهن استجابات تحوي مشاعر الكراهية و علاقات الاستغلال و الغدر، وكذلك العلاقات النفعية و غياب الروابط العاطفية و الوجدانية، تبين أيضا الدراسة أن معظم البغايا لديهن نقص في الجانب الديني و يمارسن البغاء على الرغم من تحريم الدين له، و قد بدا هذا الجانب واضح عند معظم البغايا و تبدو هذه النتيجة متوقعة حيث تؤكد "ع" { **راني جاهلة واش نعرف، الدين في طريق و أنا في طريق نعرف غير ربي و رسول صلى الله عليه و سلم حتى الصلاة منعرفهاش راني جاهلة...**}.

غالبا ما تكون العلاقة بين الزميلات في البغاء علاقة صعبة، فالمشكل الرئيسي هو التنافس بين العاملات الجنسيات على " الزبون"،

تعلق **منى** على هذا الموضوع قائلة:{ **نبيلة تريد الاحتفاظ بالزبائن لوحدها. تكون دائما سكرانة و لا تتوقف عن الاعتداء علينا ..... }.**

وتؤكد سميرة هذا القول:{ **أخذت نبيلة مني حبيبي، أقنعته أنها تمص القضيب جيدا و أنني أكره تلك الأشياء.....}**.لا تشعر العاملات الجنسيات أنهن ينتمين إلى جماعة و لا يعرنه اهتماما لمعرفة نساء أخريات يعشن نفس الوضع.

إن النساء العاملات الجنسيات يعملن بشكل مستقل، فالبغاء يتم عادة دون وسطاء فئة قليلة صرحن أنهن تابعات في عملهن لشخص ما، وتبين من نتائج الاستجوابات حسب مقاييس السن، أن الفئة العمرية 18-23 سنة هي التي ترتبط عامة بالقوادة. تشرح فريدة ذلك قائلة :{ **نخدموا كي الأزواج، رشيد و نبيل طول معانا رام القوادة تعنا.....}.**

تشتغل العاملة الجنسية بجسدها، وبالخصوص بعضو قابل للإصابة بالأمراض حساسة و يحتاج إلى عناية مستمرة، و رغم هذا الاعتبار فإن العاملة الجنسية قليلا ما تزور الطبيب، يجب القول هنا إن ثقافة زيارة الطبيب غير منتشرة في هذا الوسط لعدة أسباب أهمها التعود على زيارة المعالجين التقليدين والعشابين. تحكي **سعدية** :{ **أنا حامل من سبعة أشهر، هل اخضع لمراقبة طبية؟ أتهزأ بي؟ لا أفكر فيها على الإطلاق.}.**

و تضيف خولة :{ **بالنسبة لي أذهب للعشابين التقليدين و لا أذهب إلى الطبيب لاعتبارات كثيرة .....}**

بالنسبة لقوانين هذه المهنة فهي ترفض فكرة الحمل، فالعاملات الجنسيات يرفضن تماما الحمل لطبيعة العمل، فبعض العاملات الجنسيات يجهضن و البعض الأخر يضعن حملهن و هذا بشكل سري إما من طرف الطبيب في القطاع الخاص أو من طرف نساء الحي اللواتي يمددن إليهن يد المساعدة قصد تخليصهن من مشكلة الحمل لأنه عائق كبير في كسب المال. تحكي مريم:{ **عمري 23 سنة، أنا حامل دون أن أرغب في ذلك، لا أريد الاحتفاظ بالطفل. سأتركه في دار اليتامى.....}**.

قد تفسر بعض العاملات الجنسيات أنا استخدام الواقي الذكري قد يكون الحل الجيد لتفادي كل الأخطاء ومن بينها الحمل، لكن الزبون يرفض ثقافة الواقي الذكري لأنه يرى أن المتعة في عدم .

تعي العاملات أن السن عامل أساسي في هذه المهنة، كما تعبر ذلك **ياسمينة**:{ **في البغاء، لا يمكن أن نعمل لمدة طويلة، يحتم عليك السن أن تنسحبي مبكرا، خصوصا الآن.....}**. بالإضافة إلى أنهن مستعدات لتغيير مهنتهن شريطة أن يكسبن عيشهن بشكل جيد، فكل عمل آخر سيكون أربح من بغاء مجرم، تقول نجاة في هذا الصدد:{ **أشعر بالشقاء. لا أحد يمكن أن يساعدني أود الحصول على عمل والتوقف عن البغاء.}**،و عندما اقترحنا على المستوجبات أن يتابعن تكوينا مهنيا، معظم المومسات أعربوا على استعدادهن لذلك، دون أن تكون لهن أدنى فكرة عما يردن تعلمه. فهن لم يفكرن أبدا في هذا البديل.

أما بالنسبة للزواج فكل عاملة جنسية تتمنى أن تتزوج و تعيش حياة تقليدية، فهي ترى أن الزواج أحد أعمدة الحياة الاجتماعي، علاوة على كونه فرض ديني.

قائمة المراجع:

[1] هشام شرابي: **البنية البطريقية بحث في المجتمع العربي المعاصر**، دار الطليعة، المغرب، 1987، ص 77.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

[3] عبد الحميد، أحمد يحي:**دراسات الأسرة والاتجاهات المعاصرة**، جامعة قناة السويس، القاهرة، 2003، ص 200.

[4] أبو حميدان، يوسف عبد الوهاب:**العلاج السلوكي لمشاكل الأسرة والمجتمع**، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2001،ص 44.

[5] المرجع نفسه، ص 46.

[6] المرجع نفسه، ص 48.

[7] أحمد الأصفر:"**بنية الثقافة العربية وإنتشار مظاهر العنف في المجتمع العربي**"، العنف والمجتمع، مداخل معرفية متعددة، أعمال الملتقى الدولي الأول (9-10 مارس 2003) جامعة بسكرة، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع 2003، ص 33.

[8] إبراهيم التوهامي، إسماعيل قيرة وآخرون:**التهميش والعنف الحضري**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2004، ص30.

[9] إسماعيل قيرة وعبد الحميد ديلمي وآخرون:**التصورات الاجتماعية ومعاناة الفئات الدنيا**، مخبر الإنسان والمدينة جامعة منتوري، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، د.ت، ص 86.

[10] جابر نصر الدين:**العنف الرمزي في ضوء الكتابات الحائطية (دراسة وصفية تحليلية)**، في العنف والمجتمع، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 94.

[11] حنة أرندت: **في العنف**، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، 1992، ص 03.

[12]عبد القادر عرابي:**المرأة العربية بين التقليد والتجديد، في المرأة بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر**، سلسلة الكتب المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 03.

[13] فاطمة المرنيسي:**هل أنتم محصنون ضد الحريم** ، ترجمة نهلة بيضون، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004، ص 09.

[14] إبراهيم محمود:**الضلع الأعوج للمرأة وهويتها الجنسية الضائعة**، سرديان الشهوة، رياض رايس للكتب والنشر، بيروت، ط1، يونيو، 2004، ص30.

[15] أحمد الوائلي:**من فقه الجنس في قنواته المذهبية**، انتشارات المكتبة الحيدرية، د.ب، د.ت، ص 79.

[16] سارة كارْمُونا بنيتو :**البغاء في شوارع الدار البيضاء**، ترجمة، عبد الصمد الديالمي، سلسلة المعرفة الاجتماعية ، المغرب، ط1، 2008،ص 22.

[17] رجاء بن سلامة:**بنيان الفحولة أبحاث في المذكر والمؤنث**، دار بئرا للتوزيع والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 2005، ص 43.

[18] شبر الفقيه:**المرأة العربية وإشكالية المجتمع الذكوري**، رؤية في البعد السيكولوجي لدى الفرد المسلم تجاه المرأة، دار مكتبة هلال للطباعة والنشر، توزيع دار البحار، بيروت، ط1، 2009، ص 09.

[19] عبد الصمد الديالمي:**المعرفة والجنس من الحداثة إلى التراث**، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب عيون المقالات، ط1، 1987، ص 97.

[20] إبراهيم محمود، مرجع سبق ذكره ، ص 34.

[21] هشام شرابي:**مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ط3، 1984، ص 83.

[22] المرجع نفسه ، ص 85.

[23] الحسيني معدّى:**الجنس**، مركز الدراسات والترجمة، دار المؤلف للنشر والتوزيع، شركة المجموعة الطباعية، بيروت، ط1، 2010، ص 68.

[24] المرجع نفسه ، ص 69.

[25] المرجع نفسه، ص 71.

[26] المرجع نفسه، ص 72.

[27] ماري ستبورات:**النعمة والجنس**، ترجمة، نكلس نعيم، دار الثقافة، القاهرة ، مطبعة سيوبرس، ط1، 1977، ص 28.

[28] المرجع نفسه، ص 30.

[29] إبراهيم محمود:**وإنما أجسادنا، دياليكتيك الجسد والجلد، دراسة مقاربة**، منشورات الهيئة العامة السورية، مكتبة الأسد، دمشق، 2007، ص208.

[30] المرجع نفسه، ص 211.

[31] المرجع نفسه، ص 223.

[32] عبد الله الرعوجي:**الإباحية والأمراض الجنسية، موقع كلمات للصحة الجنسية،** جرى التحميل، 2016/02/30، الساعة 6 مساء، رابط التحميل: http://www.kalemat.org/sections.php?so=va=192

[33] سارة كارمونا ينبتو، مرجع سبق ذكره ، ص 32.

[34] ناصر القحطاني: الرياض، جديد الفضائيات: **الجنس والعاهرة.** http://www.20at.com/20at/ana- saudi/11624

[35] الموقع نفسه،...http://www.20at.com/20at/ana- saudi/11624

[36] شكري غاثي ، **أزمة الجنس في القصة العربية**، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، د ت، ص 37.

[37] المرجع نفسه ، ص 48.

[38] علي عبد الحميد حمزة:**القاموس الجنسي عند العرب**، الرياض، الريس للكتب والنشر، ط1، 2002، ص 46.

[39] المرجع نفسه، ص 48.

[40] ثيودور رايك:***سيكولوجيا العلاقات الجنسية***، ترجمة ثائر ذيب، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 2005، ص 179.

[41] كاترين البيرت: ***الهوية والهويات***، ترجمة إياس حسن، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص 54.

[42] سارة كارمونا ينبتو، مرجع سبق ذكره ، ص 29.

الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي: قراءة تحليلية من منظور اسلامي

أ/كـزيز صباح – جامعة محمد خيضر بسكرة
أ/ كـزيز نسرين– جامعة زيان عاشور الجلفة

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي من المنظور الإسلامي، والتي تهدف إلى بيان وتوضيح الضوابط الاخلاقية التي تحكم البحث العلمي، من خلال توضيح بعض المفاهيم المتعلقة بالبحث العلمي وكذا أسس وضوابط البحث العلمي من وجهة نظر الدين الاسلامي الذي يعتبر الصبغة الإيمانية لأخلاقيات البحث العلمي في الفكر الإسلامي، وقد توصلنا الى ان ضوابط البحث العلمي من المنظور الاسلامي تستند الى القيم والاخلاق المستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، كالصدق والأمانة والانسانية...، والتي يجب على الباحث التقيد والالتزام بها للارتقاء بمستوى البحث واستثمار جهده العلمي.

الكلمات المفتاحية: العلم، البحث العلمي، الأخلاق، الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي.

Résumé:

Cette étude traite des contrôles éthiques de la recherche scientifique dans une perspective islamique, Qui vise à clarifier et clarifier les contrôles éthiques régissant la recherche scientifique, En clarifiant certains concepts liés à la recherche scientifique ainsi que les fondements et les contrôles de la

recherche scientifique du point de vue de la religion islamique, qui est la foi de l'éthique de la recherche scientifique dans la pensée islamique, Nous avons conclu que les contrôles de la recherche scientifique du point de vue islamique sont basés sur les valeurs et l'éthique dérivées du Noble Coran et de la Sunna, Honnêteté, honnêteté et humanité ..., Ce à quoi le chercheur doit adhérer et s'engager à élever le niveau de recherche et d'investissement des efforts scientifiques.

Mots-clés: science, recherche scientifique, éthique, contrôles éthiques pour la recherche scientifique.

Abstract :

This study deals with the ethical controls of scientific research from an Islamic perspective, Which aims to clarify and clarify the ethical controls governing scientific research, By clarifying some of the concepts related to scientific research As well as the foundations and controls of scientific research from the point of view of the Islamic religion, which is the faith of the ethics of scientific research in Islamic thought, We have concluded that the controls of scientific research from an Islamic point of view are based on the values and ethics derived from the Noble Qur'an and Sunnah, Such as honesty, honesty and humanity… , Which the researcher must adhere to and commitment to raise the level of research and investment of scientific effort.

Keywords: science, scientific research, ethics, ethical_controls for scientific research.

تمهيد:

تعــد الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي في الاسلام ضرورة ملحة يجب على الباحث الالتزام بها عند قيامه ببحثه، وهذه الاخلاق في جوهرها عبارة عن قيم ثابته تحـــكم السلوك البحثي على اختلاف موضوعات البحث وتنوعها، حيث تعمل هذه الضوابط على تهذيب الأخلاق وترشيدها للارتقاء بالمستوى العلمي والمعرفي للأفراد والنهوض بالمجتمع، واذا حاولنا تناول هذا الموضوع من المنظور الاسلامي نجد ان مصادر الأخلاق الإسلامية تتمثل في مصدرين رئيسين، هما أعظم ما تستمد منه هذه الأخلاق، كتاب الله عز وجل وسنة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الإطار تعالج هذه الدراسة إشكالية أساسية هي:

-ما هي الضوابط الاخلاقية التي تحكم البحث العلمي من منظور الفكر الاسلامي؟

اهداف الدراسة: بيان وتوضيح الضوابط الاخلاقية التي تحكم البحث العلمي من منظور الدين الاسلامي.

وتم تناول الموضوع وفق محورين على النحو الآتي:

- المحور الأول: مدخل مفاهيمي للأخلاقيات البحث العلمي

- المحور الثاني: قراءة في الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي من منظور اسلامي.

- المحور الأول: مدخل مفاهيمي للأخلاقيات البحث العلمي:

لشرح مفهوم البحث العلمي يتطلب منا شرح مفهوم العلم لغة و اصطلاحا.

أولا- مفهوم العلم:

نتطرق من خلال هذا العنصر الى تحديد مفهوم العلم لغة واصطلاحا وكذا وظائف وأهمية العلم.

1-تعريف العلم:

-**لغة:** نقيض الجهل، وجمعه علوم، ومصدره علم بفتح العين وكسر الام، و العلم بكسر العين بمعنى إدراك الشيء بحقيقته.[1]

-**اصطلاحا:** العلم، بالمفهوم الشامل للكلمة هو كل نوع من المعارف، ومجموع مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع أو ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين وينتهي إلى النظريات والقوانين، ويعرف أيضا بأنه: "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وحصول صورة الشيء في العقل"، وعندما نقول أن العلم هو مبدأ المعرفة، وعكسه الجهل، أو "ادراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما"، ويشمل هذا المصطلح في استعماله العام أو التاريخي مجالات متنوعة للمعرفة، ذات مناهج مختلفة مثل الدين (علوم الدين)، والموسيقى (علم الموسيقى)، والفلك (علم الفلك)، والنحو (علم النحو).

وللتفرقة بين المعرفة والعلم نجد أن المعرفة هي مجموعة من المفاهيم و الآراء و التصورات الفكرية التي تتكون لدى الفرد كنتيجة لخبراته في فهم الظواهر و الأشياء المفيدة، أما العلم فهو أسلوب تحقيق هذه المعرفة و تمحيص الحق من الباطل، والعلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسر مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة و التي تحكمها قوانين عامة و تحتوى على طرق و مناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق الدراسة.[2]

ومما سبق يمكن تعريف العِلْمُ على أنه منظومة من المعارف المتناسقة ومجموعة المفاهيم المترابطة التي نبحث عنها ونتوصل إليها، و التي يعتمد في تحصيلها على المنهج العلمي[3]الموثوق، لمعرفة واكتشاف الحقيقة بصورة قاطعة يقينية.[4]

وقد اهتم الإسلام بالعلم اهتمامًا كبيرًا، وذلك من خلال الدعوة إلى التفكر، والنظر، والتدبر، وإعمال العقل، لقول الله عز وجل: { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت} –الغاشية 17–، ولقوله تعلى: {فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون} – النمل 52–، ولقوله أيضا: {ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون} –الروم 24–، وقوله عز وجل كذلك: { ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون }–يس 68–، ومما لاشك فيه أن الفرد لا يستطيع التفكر والنظر والتدبر والتعقل بدون العلم.

وقد جعل الإسلام من طريق العلم طريقًا إلى الجنة حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سَهَّل اللهُ له طريقاً إلى الجنة" _رواه الترميذي_، أي أن الفرد إذا خرج من بيته طالبًا العلم، راجلًا كان أو راكبًا، فهذا الطريق الذي يسلكه لتحصيل العلم هو طريق له إلى الجنة، ولعل السبب في ذلك أن طالب العلم يعرف الحرام وعقوبته، فيتجنبه، ويعرف الحلال وجزاءه فيحرص عليه، أما من لا يطلب العلم، فإن احتمال وقوعه في المعاصي مؤكد، واحتمال استجابته للشهوات كبير.[5]

2-وظائف وأهمية العلم:

يمكن تلخيص وظائف وأهمية العلم فيما يلي:

- **غاية ووظيفة الاكتشاف والتفسير**: إن الغاية والوظيفة الأولى للعلم، هي اكتشاف القوانين العلمية العامة والشاملة للظواهر والأحداث المتماثلة والمترابطة والمتناسقة، وذلك عن طريق ملاحظة ورصد الأحداث والظواهر المختلفة، وإجراء عمليات التجريب العلمي للوصول إلى قوانين عامة وشاملة تفسر هذه الظواهر والوقائع والأحداث.

- **غاية ووظيفة التنبؤ**: وهي التوقع العلمي والتنبؤ بكيفية عمل وتطور وسير الأحداث والظواهر الطبيعية وغير الطبيعية، المنظمة بالقوانين العلمية المكتشفة، فهكذا يمكن التنبؤ والتوقع العلمي بموعد الخسوف والكسوف، بمستقبل حالة الطقس، وبمستقبل تقلبات الرأي العام سياسيا واجتماعيا إلى غير ذلك من الحالات والأمور التي يمكن التوقع والتنبؤ

العلمي بمستقبلها، والغاية من ذلك أخذ الاحتياطات والإجراءات اللازمة والضرورية.

- **غاية ووظيفة الضبط والتحكم:** بعد غاية ووظيفة الاكتشاف ووظيفة التنبؤ، تأتي وظيفة التحكم العلمي في هذه الظواهر والسيطرة عليها، وتوجيهها التوجيه المرغوب فيه، واستغلال النتائج والآثار لخدمة مصلحة الإنسانية .ووظيفة التحكم، قد يكون نظريا، وذلك عندما يقتصر العلم على بيان وتفسير كيفية الضبط والتوجيه والتكييف للظواهر، وقد يكون عمليا، وذلك حين يتدخل العالم لضبط الأحداث والسيطرة عليها، كأن يتحكم في مسار الأنهار، ومياه البحر، والجاذبية الأرضية، وكذلك يتحكم في الأمراض، والسلوك الإنساني وضبطه وتوجيهه نحو الخير، والتحكم في الفضاء الخارجي واستغلاله عمليا[6].

ثانيا- مفهوم البحث العلمي:

يمثل البحث العلمي مرتكز محوري للوصول إلى الحقائق العلمية، ووضعها في إطار قواعد أو قوانين أو نظريات علمية كجوهر للعلوم، خاصة وأن العلم مدركات يقينية مؤكدة ومبرهن عليها كتصديق مطلق، ويتم التوصل إلى الحقائق عن طريق البحث وفق مناهج علمية هادفة ودقيقة ومنظمة، واستخدام أدوات ووسائل بحثية.

1-تعريف البحث العلمي:

هناك عدة تعريفات للبحث العلمي، تحاول تحديد مفهومه ومعناه، ومن جملتها ما يلي:

– "هو وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق، الذي يقوم به الباحث، بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق، خطوات المنهج العلمي".[7]

–"بأنه عملية منظمة تهدف إلى التوصل لحلول لمشكلات محددة أو إجابة عن تساؤلات معينة باستخدام أساليب علمية محددة يمكن أن تؤدي إلى معرفة علمية جديدة"

– البحث العلمي "يعنى الفحص الدقيق والمنظم بهدف اكتشاف حقائق ومعلومات أو علاقات جديدة وتفسير هذه الحقائق و المعلومات... ونمو المعرفة الحالية والتحقق منها وكذلك تعديل القوانين أو النظريات القديمة في ضوء الحقائق والمعلومات الحديثة"[8]

– البحث العلمي "هو البحث المستمر عن المعلومات والسعي وراء المعرفة بإتباع أساليب علمية مقننة".[9]

ومن التعاريف السابقة يمكن القول أن البحث العلمي هو: بأنه وسيلة يحاول بواسطتها الباحث دراسة ظاهرة أو مشكلة ما والتعرف على عواملها المؤثرة في ظهورها أو في حدوثها للتوصل إلى نتائج تفسر ذلك، أو للوصول إلى حل أو علاج لذلك الإشكال، فإذا كانت المشكلة أو الظاهرة مشكلة تعليمية أو تربوية سمي بالبحثِ التربوي، ولزيادة إيضاح ذلك يمكن الإشارة إلى أنواع البحث العلمي.[10]

2–أنواع البحث العلمي:

- **البحث الاستطلاعي:** ينطلق هذا البحث من دراسة الواقع ودون الاعتماد على فروض مسبقة، حيث يتطلب من الباحث ملاحظة الظاهرة موضوع البحث وفحص البيانات المتوافرة وتحليلها.

- **البحث الوصفي:** يقوم الباحث بوصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف وبيانات دقيقة عنها، ويعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كمياً وكيفياً دون تحيز من الباحث.

- **البحث التاريخي:** ويهتم الباحث في هذا النوع بدراسة الماضي ويتعرف العلاقات السببية بين حوادث الماضي، كما يتطلب من الباحث إجراء مراجعة شاملة للبيانات المتجمعة حول المشكلة وإجراء المقارنة بينها وتفسيرها واستخلاص النتائج منها.

- **البحث التجريبي:** يعالج الباحث في هذا البحث متغيراً مستقلاً واحداً على الأقل ويخضعه للتجربة أي يحدث تغييراً متعمداً مع ضبط المتغيرات المتعلقة الأخرى، ويلاحظ النتيجة على واحد أو أكثر من المتغيرات التابعة.

- **بحث تحليل المضمون:** يقوم الباحث بالملاحظة بشكل غير مباشر وذلك من خلال تحليل المعاني الواضحة للوثائق والمصادر المتعلقة بموضوع البحث، ويكثر استخدام هذا النوع من البحوث في الدراسات الأدبية.

- **البحث الاستنباطي:** يقوم فيه الباحث ببذل جهد عقلي وفكري لدراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ مدعمة بالأدلة الواضحة بحيث لا تتعارض النتائج بعضها مع بعض أو مع أي من مقدماتها، ويكثر استخدام هذا النوع من البحوث في الدراسات النظرية كالرياضيات.

- **البحث الارتباطي:** يتطلب من الباحث في هذا البحث جمع بيانات بغرض تحديد وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر، ووصف قوة الارتباط بين هذه المتغيرات.[11]

3-خطوات البحث العلمي:

وبناءً على التعريفات السابقة، يتبين لنا أن البحث العلمي يتألف من مجموعة خطوات تتمثل في الشعور بالمشكلة أو بسؤال يحير الباحث ، فيضع لها حلولا محتملة، هي الفروض ، ثم تأتي بعد ذلك الخطوة التالية: وهي اختبار صحة الفروض، والوصول إلى نتيجة محددة ، ومن الطبيعي أن يتخلل هذه الخطوات الرئيسية عدة خطوات إجرائية، مثل تحديد المشكلة، وجمع البيانات التي تساعد في اختيار الفروض المناسبة، وكذلك البيانات التي تستخدم في اختيار الفروض ، والوصول إلى تعميمات ، واستخدام هذه التعميمات تطبيقياً، وهكذا يسير البحث العلمي على شكل خطوات أو مراحل، لكي تزداد عملياته وضوحاً ، إلا أن هذه الخطوات لا تسير باستمرار، بنفس التتابع، ولا تؤخذ بطريقة جامدة، كما أنها ليست بالضرورة مراحل فكرية منفصلة ، فقد يحدث كثيراً من التداخل بينها، وقد يتردد الباحث بين هذه الخطوات عدة مرات ، كذلك قد تطلب بعض المراحل جهداً ضئيلا، بينما يستغرق البعض

الآخر وقتاً أطول، وهكذا يقوم استخدام هذه الخطوات على أساس من المرونة والوظيفية.

وتختلف مناهج البحث من حيث طريقتها، في اختبار صحة الفروض، ويعتمد ذلك على طبيعة وميدان المشكلة موضع البحث، فقد يصلح المنهج التجريبي في دراسة مشكلة لا يصلح فيها المنهج التاريخي أو دراسة الحالة وهكذا...

وكثيراً ما تفرض مشكلة البحث المنهج الذي يستخدمه الباحث، واختلاف المنهج لا يرجع فقط إلى طبيعة وميدان المشكلة ، بل أيضاً إلى إمكانات البحث المتاحة ، فقد يصلح أكثر من منهج في دراسة بحثية معينة ؛ ومع ذلك تحدد الظروف المتاحة أو القائمة المنهج الذي يختاره الباحث. والمهم أن أي منهج من مناهج البحث يقوم على خطوات علمية متكاملة ، ومتفقة مع الأسلوب العلمي العام الذي يحكم أي منهج من مناهج البحث، لا يكون البحثُ علميّاً بالمعنى الصحيح إلاَّ إذا كانت الدراسة موضوعه مجرَّدة بعيدة عن المبالغة والتحيُّز، أنجزت وفق أسسٍ ومناهج وأصول وقواعد، ومرَّت بخطوات ومراحل، بدأت بمشكلةٍ وانتهت بحلِّها، وهي قبل هذا وبعده إنجاز لعقلٍ اتَّصف بالمرونة وبالأفق الواسع.[12]

ثالثا- اخلاقيات البحث العلمي:

اذا كانت القيم الاخلاقية تمتد الى كافة مرافق الحياة فإن البعد العلمي أهمها ويعرف باسم (أخلاقيات البحث العلمي)، وعلى ذلك فإن أخلاقيات

البحث العلمي هي مبحث من مباحث علم الأخلاق ويقصد به إحياء المثل الاخلاقية للبحث العلمي لدى الباحثين والدارسين وطلاب العلم والتي تحفظ للعلم كيانه وللبحث قوامه. وهناك بعض الاعتبارات بالنسبة للسلوك الأخلاقي تتضمن الآتي:

- **البعد عن الانفعال:** الشخصية المنفعلة أو الانفعالية تجعل للبحث مردود سلبي وتعيق تصاعد التفكير بشكل منتظم ومنهجي.

- **الانصاف والموضوعية:** على الباحث أن يكون منصفا وموضوعيا في بحثه وان يقوم بمناقشة خصمه بالحجة والأدلة العلمية للوصول الى الحقيقة.

- **أهلية البحث العلمي:** ويقصد بها عدم اقحام الباحث نفسه في بحث لأي علم من العلوم دون أن تكون لديه الخبرة والدراية بذلك التخصص.

- **التواضع العلمي:** التكبر في الحياة العلمية آفة الباحثين والبحث العلمي لذا على الباحث أن يتصف بشخصية علمية متواضعة متقبلة لنقد الآخرين.

- **احترام الملكية الفكرية لدى الآخرين:** وهي من مظاهر الأمانة فلا ينتسب الباحث لنفسه ما لغيره بل عليه أن يبين صاحب ذلك الرأي.

- **النقد الهادف:** إعمال النقد الهادف في كتابة البحث العلمي فلا يتحول الباحث إلى ناقد فقط.

- **عدم التأثر بالأشخاص والأفكار**: على الباحث أن يتعامل مع الفكرة دون النظر الى تأثيرها أو شعبيتها كأن يندفع لتأييد رأي أو فكرة لمجرد أن فلان قد أيدها أو نطق بيها.

- **الدقة في نقل آراء الآخرين**: لأن التسرع وعدم التروي في نقل آراء الآخرين له مردود سلبي على البحث.

- **الصدق**: يجب على الباحث أن يبني بحثه على الصدق قولا وعملا وأن تكون نتائج بحثه منقولة بصدق و أن يكون أمينا فيما ينقله.

- **سعة العلم**: على الباحث أن يسعى لتنمية علمه واتساع ثقافته وأن يعمل جاهدا لانتفاع الآخرين بعلمه.

- **الصبر**: البحث يعترضه كثير من الصعاب والمشاق فعلى الباحث أن يتحلى بالصبر وسعة الصدر.

- **السلامة**: لا يعرض الباحث نفسه لخطر نفسي أو جسدي أو أخلاقي، كما عليه أن يحافظ على سلامة المستهدفين في البحث.

- **الخبرة**: يجب أن يكون العمل الذي يقزم به الباحث مناسبا لخبرته وتدريبه.

- **سرية المعلومات**: ويقصد بها حماية هوية المستهدفين بالبحث في كل الأوقات فلا يعمل على كشف عن هويتهم أو الكشف عن أسرارهم لدى الآخرين.

– **الموافقة:** وهي أن يحصل الباحث على موافقة من يود العمل معهم خلال فترة بحثه وإخبارهم بذلك.

– **الانسحاب:** على الباحث أن يدرك أن المستهدفين بالبحث غالبا ما يكونون متطوعين لهم حق الانسحاب من الدراسة في أي وقت.

– **التسجيل الرقمي:** على الباحث أن لا يقوم بالتقاط صورا أو تسجيل أصوات أو تسجيل فيديو دون موافقة المستهدفين بالبحث وأن تكون الموافقة قبل الشروع في البحث وليس بعده.

– **التسجيل الرقمي:** على الباحث أن يقوم بالتقاط صورا أو تسجيل أصوات أو تسجيل فيديو دون موافقة المستهدفين بالبحث وأن تكون الموافقة قبل الشروع في البحث وليس بعده.

– **التغذية المرجعية:** على الباحث أن يعطي المستهدفين بالبحث فكرة عن بحثه ويبين لهم الهدف منه، استفادة المستهدفين من النتائج الإيجابية للبحث فعلى سبيل المثال الأبحاث التي تجري على مرضى الايدز، فقد أجريت هذه الأبحاث على مرضى الإيدز، فقد أجريت هذه الأبحاث على مرضى الدول الفقيرة، وعندما نجحت هذه التجارب وأصبح العلاج متاحا نتيجة لهذه الأبحاث لم تستفد منه مرضى هذه الدول الفقيرة لأنه باهظ التكاليف، واستفادت منه الدول الغنية القادرة على دفع هذه التكاليف.

– **الأمل المزيف:** على الباحث أن يكون صادقا مع المستهدفين بالبحث فلا يؤملهم أثناء أسئلته لهم بأن الأمور سوف تتغير لصالحهم.

– **مراعاة شعور الآخرين:** ويقصد بهم المستهدفين بالبحث، لأنهم أكثر عرضة للشعور بالانهزامية أو الاستسلام بسبب كبر السن أو المرض أو عدم القدرة على الفهم أو التعبير.

– **عدم استغلال المواقف:** على الباحث عدم استغلال المواقف لصالح بحثه، بحيث يحرف أو يفسر مقولة المستهدفين بالبحث محاولا الوصول الى نتائج تخدم بحثه.

– **استفادة المستهدفين من البحث:** يجب أن يقدم الباحث نتائج البحث للمستهدفين بما يفيدهم مقابل خدماتهم في التبرع لإجراء البحوث عليهم كمستهدفين.

– **الحفاظ على البيئة:** هناك أمور يجب على الباحث مراعاتها إذا كان بحثه يستلزم اجراء تجارب على البيئة وخاصة الحيوان والنبات فيجب على الباحث أن يتعامل مع البيئة بالرفق ووفقا للقوانين المنظمة، وإذا كان يتعامل مع الحيوان فعليه أن يعامله بالرفق ورعايته الرعاية الائقة به وأن يبحث عن نصيحة المعلم المشرف والشخص الخبير من مجال البحث الذي يجريه قبل البدء في دراسته. [13]

المحور الثاني– قراءة في الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي من منظور اسلامي:

يتناول هذا المحور أهم المبادئ والضوابط الأخلاقية التي يجب على الباحث الالتزام بها في اعداد البحث العلمي، وتمهيدا لهذا سنتطرق الى

مفهوم الأخلاق، ومصادر الأخلاق في الإسلام، وكذا الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي من منظور اسلامي.

أولا- مفهوم الاخلاق:

1-تعريف الاخلاق:

لغة: الاخلاق مفردها خلق، وهو العادة، والسجية، والطبع، والمروءة وحقيقتُه: أنه اسم لصورة الإنسان الباطنة وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، وبمنزلة الخلْق :اسم لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.

اصطلاحا: عرفه ابن مسكويه بقوله: (الخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويَّة والفكر، ثم يستمر أولا فأولا، حتى يصير ملكة وخلقًا).[14]

عرَّف الجرجاني الخلق بأنه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا).

وقال بن المنظور: (في التنزيل {وانك لعلى خلق عظيم}-القلم 04- ، والجمع أخلاق والخلق السجية)، وقال: (الخلق بضم الام وسكونها هو الدين والطبع والسجية).

وأما علم الأخلاق: فهو (علم موضوعه أحكام قيمته تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح)، والمعنى أننا اذا اطلقنا كلمة الأخلاق إنما نعني بها الحسن، أو الجانب الحسن، وكذلك من الممكن أن نقول: الأخلاق الذميمة أو السيئة، ومن الواضح أن إضافة كلمة بعد كلمة الأخلاق نصف بها الاخلاق يجعلها حسب ذلك الوصف الحسن أو السيء، والاسلام يدعو الى الاخلاق الكريمة وينهي عن مذمومها.[15]

2-مصادر الأخلاق في الإسلام:

لقد حظيت المسألة الأخلاقية في علاقتها بالعلم عند المسلمين منذ القرون الأولى لنشوء الإسلام بمكانة سامية ومميزة قل نظيرها في الحضارات الأخرى، العلم مقرونا بالأخلاق وردت فيه آيات عديدة في القرآن الكريم، وفي مواضع مختلفة[16].

-القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للأخلاق، والآيات في ذلك كثيرة: قال تعالى:{ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيراً} -الاسراء 09-، وقال سبحانه وتعالى: { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}-النحل 90-.

وقال تعالى: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}-الاعراف 33-، ونظائر هذه الآيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وكلها من مصادر الاخلاق.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من تخلق بأخلاق القرآن الكريم، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن.

قال الحافظ ابن كثير:" ومعنى هذا أنه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خلقا له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين".

-السنة النبوية:

تعريف السنة باعتبار كونها مصدرا تشريعيا: وهي أقواله وأفعاله، وتقريراته، والسنة النبوية الصحيحة المصدر الثاني للأخلاق بنص القرآن الكريم: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله}-الحشر 07-، وقال تعالى: { لقد كان لكم في رسول الله اسوه حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا} -الاحزاب 21-.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)، وقال ابراهيم الحربي: ينبغي للرجل اذا سمع شيئا من آداب النبي عليه الصلاة والسلام أن يتمسك به.

لذلك حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التخلق بالأخلاق الحسنة مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق.[17]

ثانيا- الضوابط الاخلاقية البحث العلمي من منظور اسلامي:

يعتبر الدين الإسلامي الصبغة الإيمانية لأخلاقيات البحث العلمي في الفكر الإسلامي، حيث نظرته للكون والإنسان والحياة من أهم المقومات والأسس التي يقوم عليها محتوى البحث العلمي، فهو الأساس الذي بنت عليه الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية ثقافتها و نظمها و مؤسساتها وجميع علاقاتها، فالدين الإسلامي هو الذي حدد اتجاهات الأمة الإسلامية و شخصيتها، وعقيدتها التي تحيا وتموت عليها ، وللإسلام موقفه الفريد في رؤيته للعلاقة بين (الإيمان والعلم) وتتجلى هذه الرؤية في جعل الدين علما، قال تعالى:{ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا}-آل عمران 61

وما يميز أخلاقيات البحث العلمي في الفكر الإسلامي هو مصدرها، فأوثق منهج القرآن الكريم فقد وصلنا بالتواتر الموجب للعلم القطعي، وصحيح السنة الذي اعتمد فيه العلماء أرقى منهج علمي في تمحيص النقول والأخبار، وهذا ما يفقده الفكر الغربي، لأن هذا الكون بما فيه الإنسان هو خَلقُ الله؛ فلابد من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق، وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية، نجد السنن واضحة والاتجاهات محددة، [18]

1- **الصدق:** لقد امر الله سبحانه وتعالى بالصدق، ومدح الصادقين في كتابه العزيز بقوله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}- التوبة 110-، وقوله تعالى: {ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما}- الاحزاب 24-، وفي المقابل فقد نهى الله عز وجل عن الكذب وذم الكاذبين بقوله تعالى: {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}- آل عمران 61-، وقوله تعالى: {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب }-غافر 28-، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى، ومثله في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واذا كان الصدق هو القول المقبول لمطابقته الواقع، فإن هذا يعني أن مخرجات البحث العلمي يجب أن تتصف بالصدق، وهذا لا يكون إلا إذا كانت معطياته صادقة، نطابقه للواقع، ذلك أن الكذب في مخرجات البحث العلمي هو تزييف للحقيقة، وتضليل للناس، فالكذب في مخرجات الأبحاث الاجتماعية مثلا، يعني تضليل المجتمع، والانحراف به عن جادة الصواب، والكذب في مخرجات الابحاث الاقتصادية يعني خسائر في الاقتصاد وغير ذلك. [19]

2- **الامانة:** تعد الامانة عكس الخيانة، وهذا المبدأ من أهم القواعد في البحث العلمي، حيث ينبغي على العالم والباحث أن ألا يختلق المعطيات أو النتائج أو يكذبها أو يحرفها، وكذلك مبدأ الأمانة مبدأ أساسي في الأخلاق العامة، وصفه أساسية من صفات المؤمنين كما قال تعالي: {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون}-المؤمنون08-[20]، وقد أمر الله تعالى بالأمانة فقال: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا}- النساء58- ونهى عن الخيانة فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون}- الانفال 27-.

والبحث العلمي هو أمانة من الأمانات، ذلك أن الباحث لا ينتفع وحده بثمار بحثه، وانما مخرجاته ذات أثر في المجتمع، فإذا خان فيه بأن غش في مدخلاته، ولم يتحرى الحق فيها، وزور مخرجاته، أو جحد ما هو صادق منها، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، كما ورد في الآية السابقة، وجحد الحقيقة في البحث العلمي إنما هي تلبيس على المجتمع في شتى جوانب حياته.

3- **عدم انتحال شخوص الآخرين:** ويكون هذا في البحث العلمي بما يسمى سرقة الأبحاث العلمية ونسبتها إلى النفس، وهذا محرم في شرع الله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}-ق18-، فكل إنسان بمقتضى هذه الآية مسؤول عما يقال، وعليه فإن نسب لنفسه ما ليس له، فهو عاص لله تعالى، حيث ادعى قول غيره، ومن

كان من هذا القبيل لا يمكن ان يكون مؤتمنا على عمل يعود جناه على الأمة بأكملها، لأن من يحتال على شخص فيسرق عمله، قد يحتال على الأمة بأسرها.

4- **الاشارة الى الاقتباس وعدم بتر الكلام:** كما انه لا يجوز انتحال شخوص الآخرين بنسبة عملهم الى النفس، فكذلك يجب الإشارة الى ما نقتبسه من اقوالهم، والمروءة وحسن الخلق يقضيان بنقل أقوال الآخرين وأفكارهم كاملة غير مبتورة، على نسق (ويل للمصلين) من اجل اتخاذها مطية اثبات قول أو فعل، لا علاقة بالكلام المقتبس به، وهذا من الخطورة بمكان، لأننا نحمل في هذه الحالة صاحب الاقتباس مالم يقله، وننسب إليه ما لا يرضى أن ينسب إليه مالا يرضى أن ينسبه لنفسه، وهذا محرم لقو الله تعالى:{ ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا}-النساء112-.

5- **حسن اسناد المعلومات إلى مصادرها الأصلية:** وهذا من بديهيات البحث العلمي، وهو فرع عن الأمانة، حيث سوء اسناده أو إهماله يعني جحد حقوق الآخرين، والجور عليهم، وفي هذا تزييف للحقائق، وهو لا يتناسب مع طبيعة البحث العلمي.

6- **الدقة:** والمقصود بها حسن التمييز بين الأشياء، والوضوح في الرؤيا، ومعرفة حدود موضوع البحث هو من الحكمة، وقد امتن الله تعالى على من اتصف بذلك، فقال: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن

يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب} –البقرة 269–.

وللدقة أثر كبير على مخرجات البحث العلمي، إذا الدقة في عملية البحث وإجراءاته، تعني مخرجات دقيقة، إذا النتائج دائما تتبع المقدمات، أما الخلط في المفاهيم، والأدبيات، وعدم تحري الدقة في عناصر البحث وخدماته كما هو الحال في الأبحاث التطبيقية قد تؤدي الى نتائج سلبية غير دقيقة لا محالة.

7- **الحرية:** والحرية هي تمكن الباحث من القيام بالعملية البحثية دونما إملاءات أو شروط، إلا فيما يتعلق بمنهجية البحث، والالتزام بالأسس التي يقوم عليها البحث العلمي، ذلك أنه لا توجد حرية مطلقة، وانما لكل عمل ضوابطه وحدود كما هو معلوم، والقرآن الكريم يأمر بتدبر الأمور والنظر فيها دونما قيد إذا كانت غير خاصة على الأسس السابقة وخوصا العقيدة منها، يقول الله تعالى: {أو لم ينتظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء}–الاعراف 185–، فالآية تنعي على من لم يتدبروا هذا الكون، وقد أمر الانسان بالنظر في خلق الله دونما قيد أو شرط، حتى يصل بتأمله هذا إلى المقصود هذا الخلق، وعلى ذلك فالحرية في البحث العلمي تثري عملية البحث، وتفيد في تعدد جوانبها وموضوعاتها، وتحرض على المنافسة بين الباحثين، بما يحقق التقدم العلمي المنشود، وهذا هو سبب تفوق علماء المسلمين في صدر الدولة الإسلامية، أن كانوا على قدر وافر من الحرية التي مكنتكم

من خوض كل مجالات الحياة، ومنها مالم يعرفه من كانوا قبلهم من العلماء.

8- **الجرأة:** ونعني بها الإقدام بلا خوف على مجالات البحث المختلفة، والتصريح بمخرجات الأبحاث مهما كانت آثارها، إن على فرد بعينه، كالحكام وولاة الأمور، أو على المجتمع نفسه، وقد ضرب لنا الامام أحمد بن حنبل مثلا رائعا في التصريح بمقتضى عمله في أمر خلق الله، وتحمل كل ما تحمل من أذى والعذاب في سبيل قول الحق، ذلك أن في الجبن كتم الحقائق، وضياع الحقوق، وخصوصا اذا كانت مخرجات البحث ذات علاقة بالناحية الاجتماعية، فإنها تعني قيام البناء الاجتماعي على منظومة في الأخطاء، التي يرسخ في أذهان الناس صوابها، أما في المجالات التطبيقية فإن الجبن وعدم الجرأة في إعلان نتائج الأبحاث، أو الخوض في مجالات بحثية معينة قبل ذلك، يؤدي إلى تخلف المجتمع عن ركب الحضارة كما هو حاصل في كثير من المجتمعات اليوم، التي حرمتها الدول المهيمنة عالميا من الخوض من مجالات أبحاث الطاقة النووية وغيرها.

9- عدم المساس بالكرامة الانسانية: الانسان مخلوق مكرم وعلى ذلك لا يجوز المساس بهذه الخاصية للإنسان، لا حال حياته ولا حال مماته، فلا يجوز جعل الانسان مسرحيا للأبحاث والتجارب العلمية إلا في حالات الضرورة التي يترتب عليها مصلحة محققة للإنسان، وعليه فإنه لا يجوز القيام بأبحاث الاستنساخ التي تهدف إلى

استنساخ كائن بشري بالكامل، وكذلك لا يجوز القيام بالأبحاث التي تؤدي الى اختلاط الأنساب كزراعة الارحام... وغير ذلك من التجارب التي تجري على خلايا المنشأ، وكذلك لا تجوز تجارب تحويل الجنس، وبالجملة فإنه لا يجوز القيام بالأبحاث التي تؤدي إلى سلب كرامة الإنسان أو تشويه صورة واخراجها عن أصل خلقتها التي خلق الله بها البشر.

10- عدم إلحاق الضرر بالبيئة وتخريبها: ان الله تعالى قد خلق الكون وسخره للإنسان، وجعل كل ما فيه تحت أمره وطوع إرادته، يقول الله تعالى: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم-البقرة29-، ويقول تعالى {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب-هود61-، فالله تعالى سخر للإنسان ما في الكون ثم كلفه بعمارته حتى تستقيم حياته، وعلى ذلك فلا يستقيم أن يقوم الانسان بتخريب هذا الكون الذي يمكنه من خلاله الوفاء بحاجته ومتطلبات حياته، لذلك نهى الله تعالى عن افساد الكون بقوله:{ ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها} -الاعراف 56-، ويقول: {واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد} -البقرة 205-

ومما يجدر التأكيد عليه في هذا المقام ضرورة عدم تعذيب الحيوان مهما كان، وخصوصا عند اجراء التجارب عليه، وان التجارب على الحيوان لا تكون الا للضرورة التي لا بد منها، على أن لا يعذب

الحيوان أثناء التجربة اذا كان لا بد من القيام بها بالتجربة عليه، فقد دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفق بالحيوان بقوله: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرحل ذبيحته"

ومما يجدر التأكيد عليه في هذا المقام ضرورة عدم تعذيب الحيوان مهما كان، وخصوصا عند اجراء التجارب عليه، وان التجارب على الحيوان لا تكون الا للضرورة التي لا بد منها، على أن لا يعذب الحيوان أثناء التجربة اذا كان لا بد من القيام بها بالتجربة عليه، فقد دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفق بالحيوان بقوله: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرحل ذبيحته"

11- عدم اهدار الطاقة العقلية في المغيبات: ان الاسلام يرى أن الطاقة العقلية هي نعمة وهبها الله تعالى للبشر، يقول الله تعالى: والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون، والمقصود بالأفئدة هنا: القوة المفكرة في الإنسان التي تدرك بها الأشياء والعلوم، ومن هنا فإن الإنسان مطالب بالحفاظ على هذه النعمة، وعدم إهدارها فيما لا طائل منه، ومن ذلك إعمالها في المغيبات، فكل ما يوجه إلى الغيبيات من الأبحاث ممنوع في الإسلام، أن البحث فيها لا ينتج شيئا، لعدم إمكانية تصورها، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره،

لذلك جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم " تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله"

12-**المقدرة على النقد الذاتي والاعتراف بالخطأ:** من أهم الأخلاق التي يجب أن تتوفر في البحث، ذلك أن تقويم السلوك البحثي ومراجعته، وكشف خطئه والاعتراف بهذا الخطأ، ضمان هام من ضمانات نجاح البحث العلمي، وتوجيهه باتجاه الصواب، والاسلام قد حثنا على مراجعة النفس ومحاسبتها، قال الله تعالى: {ولا أقسم بالنفس اللوامة}-القيامة 02-، وجاء في الحديث الشريف: " كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" وجاء عن عمر بن الخطاب أيضا: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"، واذا كان العلم أمانة من الأمانات كما تبين سابقا، فيجب على الإنسان أن يقوم سلوكه البحثي لئلا يكون قد أخطأ فيحاسب على خطئه هذا. [21]

الخاتمة:

عند قراءة الضوابط الاخلاقية للبحث العلمي من منظور إسلامي، نتوقف على روعة هذا المنهج وهو يقرر لنا أن هذه الضوابط ما اعتبرت للحيلولة بين الإنسان والبحث العلمي، بل هي بمثابة مقدسات، تسعى لتأدية مهمة دينية تتمثل في البحث عن الحقيقة للقيام بمهام الإستخلاف في الأرض وعمارة الحياة بما يضمن رفاهية العيش من خلال نظرة التوازن بين المصالح الدنيوية والدينية، وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية، نجد السنن واضحة والاتجاهات محددة، كما ان الفكر الاسلامي وفق بين الإيمان والعقل وجعل للعقيدة الإسلامية الأثر

البالغ في تحريك الإنسان وتوجيهه نحو الاستفادة من القيم الأخلاقية في استثمار جهده العلمي.

قائمة المصادر والمراجع

[1]– معجم المعاني الجامع على الرابط:
http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B9%D9%84%D9%85
تاريخ الزيارة: 2017/04/30 على الساعة: 17:33

[2]– فتوحة الأندنوسي، **مقرر بحث ومكتبة**، جامعة ام القرى، ص3.

[3]– عثمان بن رملي يونس الفطاني ، **أهمية العلم واتباع العلماء**، متوفر على الرابط:
http://www.al-islam.com/Content.aspx?pageid=1198&ContentID=1808 تاريخ الزيارة: 2017/04/30 على الساعة: 18:06

[4]- مانيو جدير، تر: ملكة أبيض، **منهجية البحث**، ص 06، متوفر على الرابط:
http://www.ucas.edu.ps/sru/files/_manhajiya.pdf

[5]– عصام أبو النصر، **العلم النافع في الدنيا والآخرة**، دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة،2009، ص04.

[6]– مانيو جدير، تر: ملكة أبيض، مرجع السابق، ص 12.

[7]– المرجع السابق، ص14.

[8]–أبو القاسم عبد القادر صالح، وآخرون، **المرشد في اعداد البحوث والدراسات العلمية**، مركز البحث العلمي والعلاقات الخارجية، ط1، السودان، 2001، ص1.

[9]– فتوحة الأندنوسي ،مرجع سابق، ص3.

[10]– عبدالرحمن بن عبدالله الواصل، **البحث العلمي:(خطواته ومراحله، أساليبه ومناهجه، أدواته ووسائله، أصول كتابته)**، المملكة العربيَّة السعوديَّة، **ص**13.

[11]– سهيل رزق دياب، مناهج البحث العلمي، فلسطين، 2003، ص ص 68–70.

[12]– **محمد مسعد ياقوت، البحث العلمي العربي : معوقات وتحديات**، ص ص 05،06.

[13]– منى توكل السيد، **اخلاقيات البحث العلمي**، جامعة المجمعة، 2013، ص20.

[14]– علوي بن عبد القادر السقاف، **موسوعة الأخلاق الانسانية**، موقع الدرر السنية، متوفر على الرابط:
http://sh.bib-alex.net/rkake/Web/32530/001.htm ، تاريخ الزيارة: 2017/05/01 على الساعة: 16:32

[15]– خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، **موسوعة الأخلاق**، مكتبة أهل الأثر، ط1، الكويت، 2009، ص22.

[16]– محمد الحرز، **الأخلاق والعلم توأمان في الثقافة الإسلامية**، متوفر على الرابط: http://www.alsharq.net.sa/2012/01/20/9289 ، تاريخ الزيارة: 2017/05/01، على الساعة: 15:29.

[17]– خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مرجع سابق، ص31.

[18]– صادق عطية قنديل، **أخلاقيات البحث العلمي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي**، ملتقى أخلاقيات البحث العلمي، جامعة ، ص01.

[19]– ماهر أحمد السوسي، **أخلاقيات البحث العلمي في الإسلام** ، بحث مقدم لليوم الدراسي: أخلاقيات البحث العلمي، الجامعة الاسلامية، 2014، ص 07.

[20]– رشا العلي البارودي، **أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الانسانية**، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ص09، متوفر على الرابط:
http://khartoumspace.uofk.edu/bitstream/handle/123456789/7237/paper5.pdf?sequence=1
تاريخ الزيارة: 2017/05/04 توقيت الزيارة:13:45

[21]– ماهر أحمد السوسي، **مرجع سابق**، ص ص 8–10.

نبذة تاريخية لماهية المؤسسة الأرشيفية ودور الموظف الأرشيفي بين الواقع والمأمول

باحثة الدكتوراه: بن عمر فاطنة جامعة قاصدي مرباح ورقلة
باحثة الدكتوراه: كزيز آمال جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص:

تمثل الوثائق الإدارية الجزء و الحيز الأكبر في دورة حياة المؤسسات الأرشيفية و خاصة العمومية التي تعمل جاهدة على حفظ كل وثائقها التي انتهت صلاحيتها، وعيا منها بالدور الذي تقوم به الوثائق ضمن التسيير الإداري وتنظيم العمل من اجل تقديم تسهيلات معلوماتية ومعرفية في مجالات المعرفة، وهذا ما سنتناوله في هاته الدراسة من خلال ماهية المؤسسة الأرشيفية ودور الموظف الأرشيفي إضافة إلى مفهوم الأرشيف وأنواعه وأهمية الأرشيف كنبذة أو لمحة تاريخية تلخص هذا الفن والعلم الذي يضمن الاستمرار والبقاء في ظل المنافسة بين المؤسسات بين الواقع والمأمول.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات الأرشيفية، الأرشيف، الأرشيفي.

Abstract:

Administrative documents represent the largest part of the life cycle of archival and private institutions, which strive to preserve all their expired documents, aware of the role played by the documents within the administrative management and organization of work. This is what we will discuss in this study through: What is the archive institution? - Role of Archiving Officer? - Archive concept, types and importance of archives? As a model or a historical overview summarizes this art and

science that ensures continuity and survival in the competition between institutions between reality and hope.

Keywords: Archival Institutions - Archive - Archival .

Résumé :

Les documents administratifs représentent la plus grande partie du cycle de vie des institutions archivistiques et privées, qui s'efforcent de conserver tous leurs documents expirés, conscients du rôle joué par les documents dans la gestion administrative et l'organisation du travail. Qu'est-ce que l'archive? - Rôle d'archiviste - Concept d'archivage, types et importance des archives? Comme un modèle ou un aperçu historique résume cet art et la science qui assure la continuité et la survie dans la compétition entre les institutions entre la réalité et l'espoir. .

Mots-clés: Archival Institutions - Archive - Archival .

تمهيد:

عرفت المؤسسات الأرشيفية عدة تطورات في مجال حفظ الوثائق الإدارية ، من خلال تاريخها أو دورة حياتها العملية مرورا بعدة تغييرات وإصلاحات كل على حسب الظروف الزمنية والمكانية، وتماشيا مع السوق التنافسية التي تفرضها المؤسسات الأخرى، فكل مؤسسة تسعى جاهدة للحفاظ على مكانتها بين نظيراتها كل في مجال عملها؛ وهذا لا يتحقق إلا من خلال تركيز الاهتمام على أرشيفها وحفظ وثائقها الإدارية، من خلال مواكبة التطور و التقدم الحاصل في الوقت الراهن باستخدام التكنولوجيا و تقنيات الإعلام الآلي و الحوسبة و الإلكترونيك الذي يخدم ما يسمى بالأرشفة، التي كانت سابقا مهمة من مهام الموظف الأرشيفي الذي كان يعاني من عدة صعوبات في مكان العمل، إلى أن جاءت

التكنولوجيا لتحل كل المشاكل وتوفر جهد الموظف الأرشيفي وتحقق سرعة ودقة في حفظ الوثائق وترتيبها؛ ومن خلال بحثنا هذا سنتطرق إلى ماهية المؤسسات الأرشيفية، ودور الموظف الأرشيفي وما هي التطلعات التي نسعى لتحقيقها لتطوير وترقية الأرشفة.

- إشكالية الدراسة :

تختلف الأبعاد الخاصة بالأرشيف باختلاف هدف ومجال والغاية من التنظيم في الأرشيف، وعليه يبرز دور الأرشيفي كفاعل ومنظم للمعرفة والمعلومات في مجالات المعرفة وفي مؤسسات الأرشيف التي تسعى إلى تسهيل وتبسيط عمليات المعرفة المعلوماتية، إلا أن دور الأرشيفي يختلف بدوره من مؤسسة إلى أخرى ومن مجال معرفي لآخر ولهذا لابد من التعرف على أهمية وجود الأرشيفي في مثل هذه المؤسسات وكيف يعمل على تنظيم المعارف والمعلومات أي كفاعل ومسؤول اجتماعي أم مجرد فرد وظيفي لا يهتم بأهداف التنظيم الأرشيفي المحدد وفق خطواته ومعايير المؤسسات الأرشيفية وعليه يمكن طرح التساؤل الرئيس التالي :

- ما هو دور الأرشيفي في مؤسسات الأرشيف وكيف يعمل على تنظيم المعرفة الاجتماعية؟.

- أهمية الدراسة

- **التعرف على أهمية الأرشيف في المؤسسات الاجتماعية .**
- **التعرف على دور الأرشيف في البحث العلمي .**
- **الإحاطة بدور الأرشيفي في مجال الأرشفة والمعلوماتية .**

- **هدف الدراسة**

يكمن الهدف من الدراسة في تسليط الضوء على دور الأرشفة في تنظيم المعرفة والمعلومات المتعددة المجالات إضافة إلى تقديم لمحة عن الأرشيف في المؤسسات الأرشيفية ودورها في تقديم مجموعة من التسهيلات والتنظيمات المعرفية في مجالات متعددة.

أولا: ماهية المؤسسات الأرشيفية: تعد المؤسسات الأرشيفية هي أولى مؤسسات المعلومات التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ ، ثم انبثقت منها مؤسسات ومرافق المعلومات على اختلاف أشكالها وتعدد مسمياتها، وبصفة خاصة في عصر ثورة المعلومات ووسائطها، ويمكن تعريف المؤسسة الأرشيفية بأنها: "تلك المؤسسة التي تعنى باستقبال وجمع أوعية المعلومات الناتجة عن النشاط البشري(سواء داخل منظمة أو هيئة حكومية أو شبه حكومية، أو بشكل فردي) وتقوم هذه المؤسسة بتقييم هذه الأوعية وتنظيمها وحفظها وإتاحتها للمستفيدين منها بأحسن أسلوب وبأقل تكلفة، من خلال الاستخدام الأمثل والاقتصادي للموارد والإمكانات المتاحة. "

1-أهمية المؤسسات الأرشيفية في عصر العولمة: لا يستطيع أحد أن ينكر أهمية المؤسسات الأرشيفية على مر العصور، فقد حفظت لنا تاريخ وتراث القدماء وحملته من جيل إلى جيل عبر العصور، وتزداد أهمية المؤسسات الأرشيفية بمختلف أنماطها مع كل تطور يشهده المجتمع المحيط بها، فهي تتفاعل معه تؤثر فيه وتتأثر

به ولقد بدأت الألفية الثالثة للميلاد حاملة معها تطورات تكنولوجية هائلة. والتي تتمثل في ثلاث تكنولوجيات رئيسة هي(تكنولوجيا المعلومات، تكنولوجيا الوسائط، تكنولوجيا الاتصال):

- **تكنولوجيا المعلومات:**

التي تتمثل فيما تحويه الأوعية الأرشيفية من معلومات ، والتي تعد جوهر العمل الإداري والبحثي، هذه المعلومات تتسم بالحداثة والصحة والثبات والموضوعية التي تميزها عن أوعية المعلومات الأخرى ، ويتم تجميع وتجهيز وتخزين وبث هذه المعلومات بكل أشكالها في الحاسبات والاتصالات[1].

- **تكنولوجيا الوسائط:**

فقد بات تحول الأوعية الأرشيفية من على الوسيط الورقي (التقليدي) إلى الوسائط اللاورقية(غير التقليدية) والتي تتثمل في الوسائط الممغنطة أمراً ملحاً وضرورياً نتيجة للتطور التكنولوجي في مجال المعلومات ووسائطها.

- **تكنولوجيا الاتصال:**

إن الأوعية الأرشيفية تمثل أدوات الاتصال بين الإدارة العليا والمستويات الإدارية المختلفة أو بين الهيئات والمنظمات الفاعلة في المجتمع المحيط، وذلك أثناء نشاطها، أما في مرحلتها البحثية فإنها تعد أدوات الاتصال بين الأجيال المتعاقبة كدليل باقٍ للاتصال وتوثيق القرارات وإمداد الذاكرة الخارجية وتحديد المسؤولية.

2-دور المؤسسات الأرشيفية في عصر العولمة: في ظل التطورات المتلاحقة في المعلومات ووسائطها، فإن المؤسسات الأرشيفية يجب أن تجد لها المكانة والدور الذي يتلائم وطبيعتها وأهميتها كمؤسسة معلوماتية أولية فاعلة في البيئة المحيطة ولكي تقوم المؤسسة الأرشيفية بدورها . في عصر العولمة . بكفاءة وفاعلية، يجب أن تحقق أمرين هامين هما:

– تطوير أداء وأعمال المؤسسات الأرشيفية الجارية يتمثل هذا التطور في وضع خطة للنهوض بأرشيفات المنظمات والمصالح الحكومية وشبه الحكومية. .

. وضع إستراتيجية للعمل داخل المؤسسة الأرشيفية البحثية(أرشيف الدولة) إن المؤسسة الأرشيفية البحثية (التاريخية) . في عصر العولمة لن تكون بالمعنى التقليدي عبارة عن مخازن وحجرات للقراءة، وتكدسات من المجموعات الأرشيفية والعاملين، بل يجب عليها أن تتسم بسمات عصر العولمة وثورة المعلومات في أن يكون لها دور بارز في المنافسة العالمية والشاملة للمعلومات ومصادرها ، فمن أهداف المؤسسة الأرشيفية البحثية ليس حفظ تراث وتاريخ الدولة فحسب، بل نشر هذا التراث والتعريف به على المستوى المحلي والدولي والعالمي أيضاً.
كذلك فإن المؤسسة الأرشيفية البحثية يقع على عاتقها مسؤولية البحث عن طرق ووسائل متطورة لتحقيق هذا الهدف وتدعيمه في ظل عصر العولمة والانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات .

3- دور الأرشيفي في عصر العولمة: إذا لم يفعل الأرشيفيون شيئاً لحث مؤسساتهم على التلاؤم مع التغيير، فسوف تقوم مؤسسات جديدة لشغل مكانهم، وليأخذوا العبرة من أقرانهم المكتبيين، "فقد أدى تقاعس أمناء المكتبات عن توفير المعلومات وخدمات الإرشاد إلى وجود وقيام مراكز المعلومات للإرشاد، فلو أن المهنيين القائمين على تلك المكتبات كان لديهم استعداد للتكيف لكان من الممكن لمؤسساتهم أن تكون في وضع يسمح بتقديم خدمات المستفيدين منها بشكل أفضل من تلك المؤسسات التي حلت مكانها. "إن المؤسسة الأرشيفية بمختلف أنماطها لن يكون لها الدور الفعال والمؤثر في عصر العولمة وثورة المعلومات وتكنولوجياتها ، إلا بالأرشيفي المدرك لأهمية مواكبة هذا التطور واللحاق به والتخطيط العلمي لمستقبل هذه المؤسسات المعلوماتية الهامة وتحديد مكانتها على خريطة العالم المعلوماتية.[2]

إن المؤسسات بمختلف أنماطها لن يكون لها الدور الفعال والمؤثر في عصر العولمة وثورة المعلومات وتكنولوجياتها إلا بالأرشيفي المدرك لأهمية مواكبة هذا التطور واللحاق به والتخطيط العلمي لمستقبل مؤسسته و ذلك ب:- تحسين أداء العمل وتطويره بتصميم أفضل النظم وإعادة النظر في حفظ الأوعية الأرشيفية بإيجاد توازن بين القيمة الإدارية والثقافية لهذه الأوعية في ظل تغيرات والتطورات في البيئة المحيطة.

- إمداد المستفيد بما لديه من أوعية أرشيفية بطريقة ميسرة وسريعة.[3]

مساعدة أصحاب القرار على اتخاذ القرارات الصائبة التي تعتمد على
مساعدة المؤسسة في تخطيط :المعلومة الدقيقة في الوقت الملائم
سياسات ومناهج وإصلاحات تركيبية لدعم سياسة التصرف في الوثائق
مساعدة الإدارة في حل مشاكل الوثائق الإلكترونية باختيار أحسن البرامج الخاصة بحفظ الوثائق في البيئة الالكترونية وتحديد أفضل المناهج لهجرة الوثائق من محيط تقنية إلى أخرى.

لقد وردت هناك جملة من الرؤى ووجهات النظر أو بالأحرى تعاريف اصطلاحية لكلمة أرشيف، فقد عرفها معجم أكسفورد "على أنه مجموعة من الوثائق التي انتهت الأهمية اليومية لها، كما تطلق على الأمكنة التي يحفظ فيها الأرشيف، كما أطلق معجم أكسفورد الكلمة على الهيئة القائمة بعملية الحفظ، كما هو ملاحظ فقد حصر مفهوم الأرشيف هنا في مجموعة الوثائق التي فقدت أهميتها الإدارية اليومية إضافة إلى المحلات التي توضع فيها ،لكن معجم البنهاوي أضاف صفة أخرى في تعريفه للأرشيف بأنه "مجموعة منظمة من السجلات والملفات التي تخص وتتعلق بإحدى المنضمات أو المؤسسات أو الهيئات.

إلا أن الجمعية الأرشيفية الأمريكية في تعريفيها للأرشيف "بأنه مجموعة الوثائق المكتوبة الجارية والرسومات التي أنتجتها أي مؤسسة أو منظمة حفظت قصد الرجوع إليها وقت الحاجة" قد أعطته بعد أخر يختلف عن التعاريف الأخرى في محتواه. تعريف التشريع الجزائري:(قانون 88 09 المؤرخ في 09 جمادى الثاني 1408 الموافق ل26/يناير1988 . في بابه الأول ضمن الأحكام العامة، حيث تنص

المادة الأولى على ما يلي: "يحدد هذا القانون القواعد التي تحكم سير الأرشيف الوطني وتنظيمه". وتنص المادة الثانية 02 في تعريفها للأرشيف على ما يلي: "إن الوثائق الأرشيفية بمقتضى هذا القانون هي عبارة وثائق تتضمن أخبارا مهما يكن تاريخها أو شكلها أو وعائها المادي، أنتجها أو سلمها أي شخص طبيعيا كان أو معنويا أو أية مصلحة أو هيئة عمومية كانت أو خاصة أثناء ممارسة نشاطها". وتنص المادة الثالثة 03 من نفس القانون "يتكون الأرشيف بمقتضى هذا القانون من مجموعة الوثائق المنتجة والمستلمة من الحزب والدولة والجماعات والأشخاص الطبعين والمعنويين سواء من القانون العام أو الخاص أثناء ممارسة نشاطها". ومن خلال هذا التعريف نلاحظ بأن المشرع الجزائري قد ألم بمجموع الخصائص الواردة في التعاريف الأكاديمية لهذا المصطلح والتي تشتمل على ماهية الأرشيف، شكله، تاريخه، فائدته ومصدره، وأماكن حفظه.[4]

4-أنواع الأرشيف:

يقصد بأنواع الأرشيف التصنيفات التي يخضع لها الأرشيف، حيث يمكن تقسيمه إلى أنواع عديدة على أسس مختلفة و من هذه التقسيمات الشائعة.

تصنيفات الأرشيف حسب النشاط:

- **الأرشيف التاريخي:** ويضم كافة الوثائق المتعلقة بتاريخ القطر وفي كافة النواحي السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، الفنية، العسكرية، وغير ذلك، وفي الآونة الأخيرة لم تعد هناك أهمية للأرشيف

التاريخي، فقد توزعت وثائقه على الأصناف الأخرى من الأرشيفات، فكما هو معلوم أن كل علم من العلوم وكل نشاط من الأنشطة له تاريخ.

- الأرشيف القضائي:

ويضم وثائق وزارات العدل والمحاكم والهيئات التشريعية والقضائية، وكذلك القوانين والأنظمة والمحاكم الخاصة، وما يتصل برجال القانون والقضاة وما إلى ذلك.

- أرشيف الآداب والفنون:

يمكن أن يضم كافة الوثائق التي تتصل بالحركة الثقافية في البلد ونشاط الجمعيات والمؤسسات الأدبية والثقافية ووثائق الشخصيات البارزة في ميادين الثقافة والشعر والأدب والصحافة الأدبية .

أما الأرشيف الفني فيحتوي على وثائق المؤسسات والدوائر والجمعيات والنوادي الفنية، وتشمل النشاطات الفنية، كفنون السينما والمسرح، والموسيقى والغناء والفنون التشكيلية كالرسم والنحت وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى الأرشيف الذي يضم فنون العمارة والهندسة والبناء وما إلى ذلك.

- الأرشيف السياسي:

ويضم وثائق الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية والوثائق الشخصية للبارزين في النشاطات السياسية، ويمكن أن يضم المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع الدول الأجنبية، ومحاضر الاجتماعات السياسية المهمة .

- الأرشيف الاداري:

ويضم وثائق الوزارات والمؤسسات والدوائر الحكومية بأنواعها والجامعات والمعاهد والهيئات المختلفة وكذالك الشركات والمصالح التي مورست أو تمارس مختلف الأعمال والأنشطة الإدارية التي تسعى إلى تحقيق أهداف واضحة ومحددة في هذه العملية فالأرشيف الإداري له اهمية كبيرة في الفصل بين مؤشرات المواضيع والمعلومات الرئيسية والثانوية.

- الأرشيف العسكري:

ويضم وثائق وزارة الدفاع والطيران والبحرية والحروب، والاختراعات الحربية، والأسلحة بأنواعها والتحصينات والأسرار العسكرية ووثائق المحاكم العسكرية وغير ذلك مما يدخل في هذا المجال ، ومن الملاحظ أن اغلب الأرشيفات العسكرية بقيت تحت إشراف السلطات العسكرية لما تحتويه من أسرار مهمة ويمثل هذا الجانب احد أهم الجوانب البارزة في المجال الاجتماعي.

- أرشيف المؤسسات والهيئات الدينية:

ويضم وثائق وزارة الأوقاف والمساجد والكنائس والجمعيات والمدارس الدينية للطوائف كافة وفتاوى علماء الدين وما إلى ذلك.

- الأرشيف السري:

ويضم الوثائق السرية التي تتصل بسلامة وأمن الدولة وسياستها وغالبا ما يكون هذا الأرشيف تحت إشراف شخصية كبيرة مسؤولة ويرتبط إما برئاسة الجمهورية أو مجلس الوزراء أو وزارة الداخلية، ولا يباح الاطلاع على وثائق هذا الأرشيف إلا في الحالات الاستثنائية

والمواقف السياسية التي تستوجب ذلك وعليه يمثل الأرشيف السري من أهم النقاط البارزة في مجال الأرشيف.

- **أرشيف الخرائط والأطالس:**

ويضم هذا الأرشيف خرائط الدولة والأطالس كافة الخاصة بأراضيها ومقاطعاتها وما له علاقة بالقطر من أمور سياسية واقتصادية و جغرافية وغير ذلك وهذا النوع بارز جدا من الأرشيف يستخدم لأهداف محددة وغايات محددة أيضا.

- **أرشيف الأختام والشعارات والنقود:** ويضم الأختام القديمة والحديثة التي استعمالاتها وكذلك الشعارات والرموز والأعلام والنقود بأنواعها الورقية منها والمعدنية. [5]

حسب شكل الوسيط

وينقسم الأرشيف حسب معيار الشكل إلى ما يلي :

- **أرشيف الوسائط التقليدية :**

استخدم العراقيون القدامى منذ فجر التاريخ الطين كمادة للكتابة في شكل لوحات طينية، كما استخدم المصريون الحجر وأوراق البردي والأخشاب والمعادن واستخدام العرب الحجارة والورق (الجلود) وعرفوا الخرائط كوثائق لكشف المناطق الجغرافية والحدود وتبين النشاطات الحيوية الاقتصادية والسياسية للبلاد أهم المحددات الخاصة بالأرشيف والأرشفة التقليدية.

- **الأرشيف الورقي:**

وبظهور الورق وتطور الطباعة ظهرت الوثيقة الورقية المكتوبة أو المطبوعة وتمثلت في المراسلات المختلفة، السجلات، النصوص

القانونية وكذلك الصور التي تعتبر نوعا مكملا ومساعدا للوثيقة الورقية.

- الأرشيف المصور:

وتعتبر التسجيلات الصوتية مادة أرشيفية لا تمثل وثائق ناطقة نابعة من الواقع الحي للسياسيين والعلماء ...، كما أن الأفلام الوثائقية تصور حوادث حية ذات أهمية تاريخية علمية وخاصة، وهي ذات مقاسات مختلفة، كما تلعب المصغرات الفيلمية دورا فعالا وشاهدا للحفاظ على الثورة الأرشيفية وكذلك أفلام الفيديو.

- الأرشيف الالكتروني:

وهو سلسلة من الرموز المسجلة على أوعية إلكترونية، وهو الوحدة الأساسية للمعلومة في عالم المعلومات الالكترونية، ما يستلزم اللجوء إلى وسائل تكنولوجية لقراءتها والاستفادة منها، فهي تختلف عن الوثائق الورقية التي تحتوي معلومات قابلة للاستغلال فورا ودون تجهيزات خاصة ، ويتميز هذا النوع من الوثائق بالعملية وسرعة الاستغلال والنسخ والتعديل والتبادل، كما تقضي على مشكل الحيز المكاني نتيجة لطاقة الاستيعاب الهائلة لها، إلا أنها بحكم سهولة التعديل تفقد أصالتها الأولى وكذلك تتميز بالصعوبة والتعقيد بالنسبة للوصف الأرشيفي، كما لا تتميز بعضها بالسرية في ظل عدم وجود نظام صارم للاطلاع عليها وهي أنواع: (الأقراص الضوئية والبريد الإلكتروني أو ملفات معالجة النصوص، قواعد المعطيات، منتجات المعلومات الرقمية والتي تدمج النموذجين السابقين.

ثانيا: الأرشيف والهدف من التقسيم المعلوماتي

1- التقسيم على أساس الغرض الذي يؤديه

أي على أساس النشاط المرتبط به الأرشيف، كالأرشيفات التي كانت موجودة في فترات تاريخية معينة ، كأرشيف الولاة والسلاطين العرب وهي مرتبطة بنشاطهم وفكرهم، وكذلك بالنسبة لأوروبا في العصور الوسطى، الأرشيف البابوي أو أرشيفات الأديرة، أو أرشيفات الإقطاع والملوك، وعرفت بعض الدول والمناطق هذا النوع من التقسيم في العصر الحديث المتميز به وكان يسمى الأرشيف المركزي للدولة الأرشيف القضائي، البرلماني وهو مرتبط بنشاط كل هذه المؤسسات.[6]

2- التقسيم على أساس صلته بالتاريخ: وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

- **أرشيف جاري:** ويسمى كذلك إدارة الوثائق والسجلات، وهو الأرشيف الذي لا يزال يؤدي عملا، واستمرار استعماله واستخدامه في الحياة اليومية، سواء في تصريف الشؤون اليومية العادية للإدارة أو غيرها، مثل الأوراق التي تتسلمها أرشيفات مختلف المصالح الحكومية والهيئات والمؤسسات، أو في تشغيل المعلومات التي تساعدها في وضع القرار وحل المشكلات، والتخطيط للمستقبل، ويحتوي هذا النوع من الأرشيف على الأرشيف الوسيط وهي أوراق فقدت في الأصل صلتها بالحياة اليومية غير أنها لا تزال تستعمل عند الحاجة لكن بدرجات متفاوتة الأهمية، فنجد مثلا أوراق يستعمل جزء كبير منها الأغراض مختلفة في الحياة اليومية، والجزء الآخر لا يستعمل إلا لأغراض البحث العلمي كاحد متطلبات المعرفة والتواصل والاتصال.

الأرشيف التاريخي: هذا النوع من الأرشيف أقيم أساسا لتقديم المعلومات لصالح الدارسين والأجيال القادمة وتزويدهم بالوثائق التاريخية التي لم تعد تستعمل من طرف الهيئات والمؤسسات، حيث انتهى العمل به واستخدامه في النشاط اليومي وانعدمت قيمته بالنسبة للإدارة أو الهيئة، فيما يخص نشاطها، إلا أنه يبقى يحتوي على معلومات ذات قيمة كبيرة دائمة، لذلك يحظى بعناية من حيث الحماية والصيانة، وهو يسمى الأرشيف الميت.

3-تقسيم على أساس الملكية: يعتبر هذا التقسيم أكثر شيوعا واستعمالا وتداول في الأوساط الأرشيفية فهو يقوم على وجه التحديد على أساس الملكية أو الجهة المالكة للوثائق الأرشيفية، وعلى هذا الأساس يقسم إلى نوعين :

- **الأرشيف العام:** وهو الأرشيف الذي يتكون من الودائع الأرشيفية التي تمتلكها الدولة وتديرها وكذلك الإدارات والمؤسسات العامة أو كل الجهات الرسمية، وقد كثر الحديث والنقاش حول مصطلح الأرشيف العام ، فكلمة عام تقابلها بالفرنسية Général وفي الحقيقة هي تؤدي المعنى الصحيح ، فمن الأحسن والأصح استعمال كلمة أرشيف عمومي بدل أرشيف عام. ونجد علماء القانون المختصين في الدراسات القانونية يتحدثون عن الأوراق العامة الصادرة من المكاتب العامة بصفتها عقود صادرة عن السلطة العامة وتسمى كذلك دون اعتبار للمرسل إليه أو الطرف الثاني، ومن وجهة نظر القانون، فالأوراق العامة هي كل الأوراق الصادرة عن موظف مسؤول يشغل وظيفة عامة رسمية، ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار

بطاقة الهوية وجواز السفر وثيقة عامة مع أنها تعني شخص معين (خاص) وتستعمل لأغراض خاصة فالمفهوم الحقيقي للوثيقة العامة يعتمد على عنصرين أساسيين، أن تكون صادرة من جهة رسمية عمومية لأغراض عمومية أو لخدمة عمومية باعتبار أنها تبقى في متناولها تستعملها متى تشاء أو تقوم بحفظها أو تستغني عنها بحذفها وهي اختلافات نظرية لا جوهرية.

- **الأرشيف الخاص:** وهو الأرشيف الذي يتكون من الوثائق المستندات لخاصة التي تصدر عن الأفراد أو العائلات أو المؤسسات الغير عمومية الجامعات باختلاف أنواعها ونشاطاتها، واحتفظوا بها بمحض إرادتهم كأفراد وليسوا كموظفين رسميين، والأرشيف الخاص يعتبر ملكا لصاحبه حتى وإن تم تسليمه لمركز الأرشيف أو الهيئات والمؤسسات العمومية ويختلف الأرشيف الخاص عن الأرشيف العام،[7] لكونه أولا ملك لصاحبه، ومن حيث المضمون أي طبيعة المعلومات التي يتضمنها فهي خاصة بأصحابها حتى ولو كانوا يمارسون نشاطات رسمية والأرشيف الخاص يساعد على عملية تنظيم المعرفة.

- **حسب مدة حياة الوثيقة:**

- **الأرشيف الجاري:**

- **العمر الأول :** وهو أرشيف العمر الأول ، ويسمى كذلك بالأرشيف النشط أو الأرشيف الحي، أو المتحرك ، وتبدأ مرحلته منذ اللحظات الأولى لميلاد الملف أو الوثيقة واستلامها من طرف المعالج ، وعليه فإن هذه المرحلة من عمر الوثيقة نلمسها في الملفات ذات

الاستعمال اليومي والفوري ، باعتبارها كدرج من النشاط اليومي للإدارة وهذه الوضعية تبقى مادامت الملفات والقضايا قيد الدرس، وهي عادة وثائق يقل عمرها عن خمس سنوات، إلا أن فترة حفظها تختلف باختلاف قيمة ونوعية الوثيقة، فقد تحفظ لعدة أسابيع أو عدة سنوات، كما يمكن أن تحفظ هذه الوثائق في محلات لابد من أن تكون قريبة من المصلحة المعنية، وحدة حفظها في تلك المحلات أو المكاتب لا تتجاوز 5 سنوات، ويمكن لهذه المدة أن تكون قابلة للتغيير حسب طبيعة الملفات ، ولهذه المرحلة مجموعة قابلة للتغيير حسب طبيعة الملفات، ولهذه المرحلة مجموعة خصائص خاصة : (الوثائق تحمل قيمة إدارية قصوى –كثرة استخدام الوثائق والتردد المستمر عليها –الملفات مفتوحة وقابلة لإضافة وثائق جديدة أو معلومات مكملة) وهذا لا يعني التجاوزات في التنظيم المعلوماتي المعرفي[8] .

– **الأرشيف الوسيط:**

العمر الثاني: ويطلق كذلك عليه أرشيف الجيل الثاني، أو الأرشيف الانتقالي، حيث في هذه المرحلة ينقص الاستقلال الإداري للوثيقة، فتفقد الوثيقة أهميتها اليومية وتتحول تدريجيا إلى أماكن مخصصة للحفظ المؤقت، أما فيما يتعلق بسن الوثائق فهي عادة تتجاوز عمرها الخمس سنوات، إذ تعتبر مرحلة حساسية في حياة الوثيقة الأرشيفية باعتبار أن مصيرها يتقرر في هذه المرحلة.

أما هذه المرحلة فتتميز بالخصائص التالية: (يتم حملها في الملفات المغلقة، غير قابلة للإضافة عن طرف الجهة المنتجة، تحفظ الملفات

في هذا العمر في مصلحة الحفظ المؤقت، قلة التردد على هذه الملفات في هذه المرحلة، انتقال قيمة الوثائق في هذه المرحلة من القيمة الأولية إلى الثانوية مما ينقص لديها القيمة الإدارية) [9]وهذه الخصائص هي الخط الفاصل في العملية.

- الأرشيف التاريخي أو النهائي:

أو ما يسمى بأرشيف العمر الثالث، ويشمل الوثائق التي تقرر حفظ ما نصفه نهائيا أبدية ، وتحمل هذه الوثائق التي تقرر حفظها قيمة تاريخية ذات أبعاد علمية وثقافية، حيث يرجع إليها على مر الأزمنة فبعد أن تفقد هذه الوثائق أهميتها بالنسبة للإدارة المنتجة لها، وعادة فإن حياة الوثائق التي تكون هذا الأرشيف تفوق 15 سنة فما فوق، أما مدة استبقاء الوثائق في هذا العمر فليس لهاد مدة محدودة ، وإنما هي أبدية غير محدودة ويتم حفظ الأرشيف التاريخي حفظا أبدي في ظروف ملائمة حتى يستخدم للبث فيما بعد ،إذ تم معالجته ووصفه وإعداد وسائل البحث ، إذ يعد إرثا ثقافيا وحضاريا للأمة.[10]

ثالثا: خصائص الأرشيف

1- الإنتاج:

يرى محمد قبيسي أن هناك فرق بين الوثيقة الأرشيفية و الوثائق الأخرى من حيث الإنتاج، فالمجموعة الأرشيفية منتجة أو مستقبلة من مختلف مصالح إدارة ما، حيث أنها جزء لا يتجزأ من نشاط الإدارة، وتتسم الوثائق الأرشيفية بميزة عدم التحيز (Impartialité)، أما الوثائق الأخرى ، سواء كانت كتبا أو دوريات أو غير ذلك ... فهي تعتبر بمثابة إنتاج فكرى محض لا علاقة له بأي نشاط إداري ينطلق من فكرة أو عدة

أفكار لشخص معين قد يكون الشخص طبيعيا (أي مؤلفا) تتوفر فيه شروط التأليف والإبداع أو معنويا، يتمثل في عدد المؤلفين تجمعهم مهمة واحدة في إطار تخصصهم مثل المشاركة الجماعية في إنتاج دوريات ذات المحدودية الزمنية والرقم الدولي للدوريات متخصصة سواء في الميدان العلمي البحث أو الأدبي و الفلسفي و الثقافي بصفة عامة .

إن الوثائق الأرشيفية يتم إنتاجها بطريقة طبيعية وآلية أي كما يوضح ذلك السير هيلاري جنكنسون Kinson Jen Hilary Sir " المجموعات الأرشيفية هي الوثائق التي نشأت أثناء تأدية أي عمل من الأعمال (الإدارية) وكانت جزءا من ذلك العمل. أما بخصوص الوثائق الأخرى (كتب و دوريات) لا يتم إنتاجها بطريقة طبيعية مبنية على وقائع حقيقية تصف بدقة هذه الوقائع التي من أجلها تم إنتاجها مثلما هو الشأن بالنسبة للوثيقة الأرشيفية لكن الوثيقة سواء كانت كتابا او دورية او غير ذلك فهي من فكرة مستوحاة من واقع او نظريات علمية او فلسفية او من إنتاج أدبي الخ..... ".

وبالتالي، نستنتج أن الأرشيف لا يعتبر مجموعة وثائق (مستندات الخ....) جمعت بطريقة صناعية مثل مواد مراكز التوثيق (الدوريات) وكتب المكتبات (مراجع، مصادر، أمهات الكتب، قصص، الخ....). ولكن الوثائق الأرشيفية تتجمع بطريقة طبيعية في الدواوين الحكومية قصد استغلالها لأغراض إدارية، وهذا التجمع الطبيعي تفرضه مختلف النشاطات الإدارية التي لها أيضا بدورها علاقات طبيعية بين مختلف أجزاء النظام الإداري مهما كانت أهميته ، نظرا لكونه مسيرا بتوجيهات تنظيمية، إدارية و نصوص قانونية وهذا مما يجعل الوثائق الأرشيفية

تكتسي قيمة قانونية موضوعية وكذا استعمالها كوسيلة إثبات عند الضرورة.

2- الحفظ:

يعتبر ركن الحفظ من الأركان الهامة في تحديد الوثائق الأرشيفية، بشرط وجود ادارة من الناحية القانونية تتوفر فيها مصلحة خاصة بحفظ الأرشيف، وهذا ما يضفي للوثائق الأرشيفية طابع الولاية القانونية (Juridique Tutelle) – Custody Legal فالوثائق الأرشيفية يجب، بصفة عامة أن تحفظ في مستودعات محددة من الناحية القانونية وهذا مما يضمن لها ديمومة الولاية القانونية السالفة الذكر.وهذا العنصر من العناصر الأساسية إذ لم نقل الحاسمة في التمييز بين الوثائق الأرشيفية المحضة والوثائق الأخرى التي يتم جمعها بطريقة اصطناعية وغير طبيعية.

3- الارتباط العضوي :

بما أن الوثائق الأرشيفية تنشأ بطريقة طبيعية فتكوينها أيضا يحدث بنفس الطريقة . ان كيفية إنتاج الوثائق الأرشيفية يحدد حتما طريقة تكوينها أي بعبارة أخرى فإنها تنشأ و تتكون بطريقة طبيعية. هذا مما يعطيها قوة الترابط والتماسك العضوي سواء ضمن الملف أو ضمن الرصيد وهذا الارتباط العضوي للوثائق الأرشيفية أساسي حيث أن الوثيقة بمفردها تفقد قوتها، أهميتها وقيمتها. أما بالنسبة للوثائق الأخرى غير الأرشيفية لا معنى لوجود ارتباط عضوي بين الوثائق المتعلقة بالدوريات والكتب لأن كل وثيقة من هذه الوثائق تشكل وحدة فكرية منفردة لا تحتاج إلى ارتباطها بالوثائق الأخرى.[11]

رابعا: أهمية ودور الأرشيف:

الوثيقة الأرشيفية هي نتيجة تسجيل وتدوين أي نشاط إداري جماعي أو فرد بشتى الطرق، بالصورة مثل التلفزة، بالرموز والأرقام مثل سجلات المحاسبة والمخططات الخ.. بالحروف مثل مستندات الأجهزة القضائية الخ ... فالوثيقة تكون دائما حصيلة عمل ، حدث فهي إذن تعتبر دليلا لذلك العمل أي الحدث نفسه. فهي جزء من الإدارة التي أنتجتها.

- **دور وثيقة الأرشيف في تبادل المعلومات:** تعتبر الوثيقة المادة الأساسية بحيث تشكل واسطة بين الأجهزة الإدارية أي هي وسيلة تبادل المعلومات.

1- أهمية الأرشيف كوسيلة إثبات:

تستعمل الوثيقة الأرشيفية كوسيلة إثبات عندما تحتوي على معلومات صحيحة ومتأكد من صحتها، بحيث أنتجت في إطار رسمي مثل الوثائق التي تستعمل كوسيلة إثبات حقوق شرعية أي تقصد الإثبات بمعناه القانوني أي إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حددها القانون. لا يعتبر الأرشيف كمصدر أدبي فقط، و لكن يشكل منذ القديم وسيلة قانونية لا جدال فيها تسمح لصاحبها بإثبات حقوقهم الملكية وكذلك القيام بالتقاضي سواء كمدعي أو مدعى عليه.

مثال ذلك: الوثائق الأرشيفية كذاكرة مدونة لمختلف العقود التوثيقية، الوقائع والأحداث الخاصة بالعقار. و هي منبع من المعلومات الهامة لا يمكن أن ينضب. فالمعلومات المقيدة المتعلقة بعقود الملكية لأشخاص يعيشون في مجتمع معين من شأنها أن تساهم في إظهار الحقيقة أمام الهيئات المختصة لكونها تعتبر دليل إثبات صحة حادثة أو واقعة من

الوقائع وذلك من أجل إيجاد حل للعديد من المشاكل المطروحة في الحاضر. [12]

وبفضل الوثائق الأرشيفية يمكن الحصول على نظرة حول التاريخ الاقتصادي لمجتمع ما، أي النشاط الاقتصادي، والتعاقد بين الأشخاص الخ ... وبهذا نستطيع التعرف على أصل النزاعات العقارية، هذا بإيجاد الأجوبة الصادقة حول أصل ملكية الأملاك العقارية. أكد شلينبرغ في كتابه (الأرشيف القومي: المبادئ والطرق الفنية) على مفهوم الأرشيف كوسيلة إثبات موضحا أن القيمة الإثباتية توجد في الوثائق التي تتحدث عن أصل ومصدر الجهاز الذي أنتجها وعن التطورات والنمو الذي حدث للجهاز خلال فترة زمنية ، وعن الأعباء والمهام والمسؤوليات التي كان يقوم بها الجهاز. ويجب حفظ الوثائق الأرشيفية التي تعتبر وسيلة إثبات فهي تشمل كل التقارير والتوجيهات والقوانين المنتجة من طرف السلطة الإدارية.

2- الأهمية التاريخية للوثائق الأرشيفية:

إن أهمية الأرشيف تكمن في إثرائه تاريخ الإنسانية والبلدان والحضارات وهي الأعمال المسندة إلى المؤرخ . كل مجتمع يثير هذه الوظيفة التخصصية في معرفة الحياة المشتركة. وهي مهمة قائمة من أجل تجميع سرد الوقائع الماضية وظواهرها وشرحها. بمعنى أن المؤرخ هو المستعمل ((المهني)) الوحيد للوثائق الأرشيفية . ينبغي توفير شرطين للانطلاق نحو تناول **مصادر التاريخ** :

- وجود إشكالية تاريخية من أجل بحث ودراسة كل الوثائق التي تنيرها .
- وجود رصيد أرشيفي متماسك الذي يمكن استغلال جانبه المعلوماتي.

في الحالة الأولى تكمن الصعوبة في التعرف عن رصيد كامل ومتوازن للأرشيف الذي يعكس بصفة أفضل الإنتاج الحقيقي لما هو مكتوب ومتعلق بالإشكالية المطروحة. أما الحالة الثانية ففيها يتناول استغلال المعلومات المأخوذة من الرصيد مثلا (رصيد جمعية) الذي انتج في محيط سياسي ، اقتصادي ، اجتماعي وثقافي معين.[13]

3- الحاجة إلى الهوية:

إن الذاكرة المدونة تساعد مجموعات من الأفراد عن التعرف هويتهم (شجرة النسب) وهذا عن طريق استغلال سجلات الحالة المدنية المحفوظة لدى الوثائق الأرشيفية التابعة للبلديات والمحاكم ثم وكل العقود،المخططات، المراسلات، المذكرات التي بإمكانها أن توضح وقائع وأفعال الأجداد. والوثائق الأرشيفية التي تحتوي على المعلومات الاسمية هي المقصودة بصفة مباشرة، لكن بصفة غير مباشرة كل الوثائق التي تشرح تطور مكان أو ظاهرة أو مذكرة أو عادة أو فكرة الخ ... لعلم الأنساب ميزة الوصول إلى الاستجابة لحاجة الهوية.

4- أهمية الأرشيف في البحث العلمي:

هناك فئة صغيرة من مسترفدي الوثائق الأرشيفية والتي تتضمن الباحثين والمصممين والفنانين، وبإمكان هذه الفئة أن تنتج إنتاجا فكريا جديدا أو القيام بإبداع نماذج معرفية جديدة ولتحقيق هذا الهدف تلجئ هذه الفئة المكونة من الباحثين عموما في مختلف المجالات (الهندسة، الطب الخ ...) إلى عدة أنواع من الوثائق الأرشيفية التي هي بمثابة نقطة انطلاق سواء في أبحاث تقنية محضة او التحقق من معطيات معينة، فمثلا الباحث في علم الزلازل يستغل الوثائق الأرشيفية المكونة

من المخططات والخرائط والدراسات القديمة في فهم الأسباب الحقيقية لحدوث كارثة طبيعية مثل الزلازل على سبيل المثال، وذلك بالاطلاع على المخططات التي أنجزت في الميدان من طرف مهندسين. يرجع أيضا الباحث في ميدان الطب إلى الملفات الأرشيفية المتعلقة بالأمراض بمختلف أنواعها وهذا من أجل معرفة وفهم أسباب نشوء المرض وتطوره ومضاعفته. وهذا كله من أجل إيجاد علاجا مناسبا ومبنيا على معطيات علمية دقيقة.[14]

خلاصة

من خلال ما سبق ذكره نجد أن الباحث تناول موضوع جد مهم تمثل في هاته الدراسة التحليلية التي تطرقت لماهية المؤسسة الأرشيفية و دور الموظف الأرشيفي بين الواقع و المأمول، حيث تم التطرق إلى ماهية المؤسسة الأرشيفية أهمية الأرشيف في البحث العلمي، أهمية المؤسسات الأرشيفية في عصر العولمة.

ودور الأرشيفي في عصر العولمة، أنواع الأرشيف، أهمية الأرشيف في البحث العلمي، الأهمية التاريخية للوثائق الأرشيفية، أهمية ودور الأرشيف خصائص الأرشيف؛ في إطار نبذة تاريخية عن المؤسسة الأرشيفية و دور الأرشيفي فيها كموظف فيها لحفظ البيانات والوثائق الإدارية الخاصة بتلك المؤسسة والتي من خلالها تضمن المؤسسة التطور والاستمرار ، كذلك محاولة إيجاد حلول للمشاكل التي يعانيها الأرشيفي من خلال إحلال التكنولوجيا الحديثة التي اختصرت الوقت والدقة والحفظ في المعلومات؛ والتطلعات المستقبلية المنشودة في هذا المجال.

الهوامش:

1- أحمد الشامي، المعجم البنهاوي الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات: انجليزي ، عربي، الرياض: دار المريخ، 1988. ص.86.

[2] -خليفة عبد العزيز شعبان، المعجم الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات،القاهرة :دار العربي للنشر والتوزيع،1999 .ص99

[3]أحمد الشامي، مرجع سابق، ص89

[4]- جمال الخولي، الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ،1993.ص46 .

[5] - قبيسي محمد، علم التوثيق والتقنيات الحديثة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1971 ، ص198.

[6] - المرجع السابق، ص 166.

[7]- المرجع السابق، ص122.

[8]- القانون رقم 88 -09 المؤرخ في 07 جمادي الثانية عام 1408 الموافق ل 26 نياير 1988 المتعلق بالأرشيف الوطني، الجريدة 1 الرسمية، ع.4 ،1988 .ص.ص.28-42.

[9]- شرقي فتيحة، دور الأرشيف في حفظ و معالجة الأرشيف الإلكتروني، مجلة المكتبات والمعلومات، مج.2، ع.1، 2003، ص.73.

- المنشور رقم 03 المؤرخ في 2 فبراير 1991 الخاص بتسيير وثائق الأرشيف، [10]ص.2.

- قبيسي محمد، علم التوثيق والتقنيات الحديثة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1971 187 ص، 15.

[11]

[12]– بودويرة الطاهر ، **تثمين رأس المال البشري في ميدان الأرشيف بين التكوين وممارسة المهنة: مذكرة ماجستير** :دراسة ميدانية بمراكز الارشيف الولائية بالشرق الجزائري الجزائري (قسنطينة–سطيف–باتنة) / ، قسنطينة:جامعة قسنطينة، 2008–2009، ص66.

[13]– القانون رقم 88..

14– قيسي محمد، مرجع سابق، ص55

القيم الأخلاقية والخطاب الصوفي

د/ جاب الله طيب رئيس المجلس العلمي كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة البويرة

أ/ بلعسل خديجة الجزائر 02 ابوقاسم سعد الله

الملخص:

إن المتحدث عن الصوفية لا يتفلت من الحديث عن الخطاب الصوفي لأنه أحد المستلزمات اللصيقة بها ، والمتحدث عن الخطاب الصوفي لابد له أن يعرج للحديث عن الأخلاق والقيم الأخلاقية لأنه من المستلزمات اللصيقة به كذلك لذا نقول:

لا مرية إن حبل الوثاق بين القيم الأخلاقية و الخطاب الصوفي يلزم تنقيته من كل الشوائب و الأغبرة حتى يصل إلينا صافيا نقيا بعيدا عن التحريف .

وبالرغم من التعاريف العدة واختلاف الرؤى والمشارب حول المعنى الحقيقي للصوفية إلا أنها لا تخرج عن جوهرها الحقيقي ومضمونها الروحي بالمقابل لم يستوف المعنى الشامل والكامل بسبب لجوء قاصديه إلى التعبير عن أحوالهم أو بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتعدد ثقافاتها ، أضف إلى ذلك أن المفاهيم الأخلاقية تنحو كلها منحا واحدا على أن التصوف هو كل ما هو سني وخلق حميد.

ومما ينبغي الإشارة إليه في إشكالية إعطاء كنه دقيق والجمع مفاهوميا بين مصطلحي النص والخطاب، حيث يتناهى إلينا الخطاب

الصوفي وبغض النظر عن مفاهيمه المتعددة فهو يرتبط بالأخلاق السامية والقيم السلوكية بل ينصهر فيها ، وهو يحمل في طياته أبعادا دينية وحضارية وكذا القيم الجمالية من التكميل الخلقي إلى ترشيد الحس الإنساني فهو يسمو بالإنسان إلى معارج الرفعة والهمة ويجنح به إلى معالي الأمور ، والمتتبع إلى نشأة المتصوف وتطوره يجد أن الزهد في الدنيا وملذاتها كان حجر الزاوية في بنائه ونشأته مع عدم المغلاة و الالتزام بالضوابط الشرعية، فانبرى لذلك علماء التصوف لدافع عن مذهبهم بإظهاره في صورته اللائقة وفق عقيدة فقهاء السنة والجماعة ، كما ينبغي في هذا الصدد الإشادة والتنويه بدور الزوايا في تحسين الخطاب الصوفي والتي حوت على مكتبات ضخمة كان مبتغاها التنوير والتثقيف وتهذيب السلوك الإنساني ومما يجدر كذلك الإشارة إليه أن التجربة الصوفية ينبغي تثمينها لتحقيق أهدافها المنشودة وضرورة مسايرتها للتطورات الراهنة واستثمار الخطاب الصوفي في ترقية وترسيخ قيم المواطنة والمحافظة على هوية الأمة فالاجتهاد أكثر في بلورة فقه التعايش والتنسيق مع المجامع الفقهية والعلمية واستلهام قيم الحوار في تحقيق المواطنة للمسلمين في بلدانهم وكذا مسايرة الخطاب الصوفي للعولمة والانفتاح وتعزيز شبكة التواصل داخليا وخارجيا قصد اعتماد عمل المجموعات والحوار الهادف البناء.

وفي نهاية المطاف يبقى التصوف ذلك النور الذي يلج داخل الذات الإنسانية فينبلج اشراقات ولمحات تنسكب وتنصهر مع الشريعة الغراء في وعاء حب الله تعالى وحب النبي صلى الله عليه وسلم .

Résumé:

La La porte-parole du soufisme ne puisse échapper à la discussion sur le discours soufi parce que c'est l'une des exigences qui se rattachent et que parler de cela doit être mou dans son discours sur les valeurs et l éthique car il est également nécessaire

Le lien entre les valeurs morales et le discours soufi doivent être purifiée Jusqu'à ce que nous atteignions un filet loin de chaque déformation.

Malgré les nombreuses définitions et différences du sens du soufisme, mais ne s'écartant pas de l'essence réelle et du contenu spirituel, il ne répond pas au sens de l'exhaustif et du contenu spirituel, il ne répond pas au sens de l'exhaustif et plein en raison de ses intentions d'exprimer ses conditions ou de l'expansion de l'état islamique. En un sens, le soufisme est tout ce qui est sunnite et les Bonnes manières

Il devrait être mentionné dans le problème de trouver un concept précis qui combine le discours et le texte, puisque le discours soufi est lié aux valeurs morales et comportementales plus élevées. Il porte également des dimensions religieuses et culturelles, qui visent à rationaliser le sens humain qui élève l'homme au plus haut niveau

C'est ce que les érudits soufis cherchent à purifier leur religion et à le montrer d'une manière appropriée. Il est également intéressant de souligner le rôle des angles dans l'éclaircissement et le raffinement du comportement humain, et il devrait être valorisé pour réaliser ce qui cherche et investit le disque mystique dans l'établissement des valeurs de la citoyenneté et la préservation de l'identité de la nation

En inculquant la jurisprudence de la coexistence et de la coordination avec les conseils jurisprudentiels et en instaurant une culture du dialogue pour la citoyenneté des musulmans dans

leurs pays, ainsi que le discours soufi de la mondialisation et le renforcement de la communication interne et externe

En fin de compte, le soufisme reste la lumière qui coule dans le soi humain, de sorte qu'il sera glorifié en accord avec la charia, l'amour de Dieu et l'amour du Prophète salla allah alayhi wa salam.

Summary;

The spokes person of the Sufism can not escape the discussion of the Sufi speech because it is one of the requirements that are attached to it, and he has to talk about the ethics and morals values that represent Sufism in general.

The link between moral values and the Sufi speech must be clear and free of all misleading and inappropriate things so it will come pure and without any deformation.

Despite all the definitions and differgence of points of view about the real meaning of Sufisim we can see that they are not diverging from the real essence and the spiritual content it. And because of the different cultures and traditions in the whole Islamic world this meaning was some how misinterpretated, but they all converge to say that Sufism is everything suni with nobel behaviours.

What should be mentioned in this problem is to find a precise way to combine either speech and text because the Sufi speech is related to the higher moral and behavioural values. It also has religious and cultural dimensions, which aim to rationalize the human sense that elevates man to the highest level.

Sufi scholars seek to purify their religion and show it in an appropriate manner they are trying to change the wrong image that some people have about Sufism and to show them a proper vision about their religion and by establishing a culture of dialogue for the citizenship of Muslims in their countries, as

well as the Sufi speech of globalization and the strengthening of internal communication.

We can finally say that Sufism remains the light that flows into the human self and guides the human being, so that it will be glorified in accordance with Sharia, the love of God and the prophet (peace)

مقدمة :

إن ربط القيم الأخلاقية بنص الخطاب الصوفي لا يعني تجديده أو إختراع إضافة له ، وإنما يعني تطهير الخطاب من الغبار الذي يتراكم عليه وتقديمه في صورته الأصيلة النقية الناصعة .

إن" الغبار " الذي يتراكم على الخطاب الصوفي ظل من نوع واحد على مر العصور، وهو الإضافة البشرية من نزعات وهوى إلى هذا الأخير ، وتأتي هذه النقلة بربطه بالقيم الأخلاقية الإسلامية . وتعود هذه الأخيرة بسبب عوامل وقتية ، ولكنها سرعان ما تتحول بمضي الزمن وتصبح شيئا مرغوبا وأصيلا بأصالة الخطاب الصوفي نفسه ، ويؤمن بها الناس أيمانهم برقي النص المتعلق بالخطاب الصوفي، وتأتي هذه الإرهاصات التي مست بالخطاب لسببين إثنين:

1- محاولة تعيين حقيقة الخطاب الروحي .
2- بيان التعاليم الخاصة بالخطاب والمصطلحات الأخلاقية فيه .

ولن ينجح الجهد الرامي إلى توطيد العلاقة بين القيم الأخلاقية وبين الخطاب الصوفي مالم يطهر من هذا الغبار البشري وتدخلاته المشيبة.

وهذا ما يستدعينا إلى التذكير بتحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه تحذيرا صريحا وبشتى الطرق للوقاية من هذه الأنانية البشرية فكانت آخر نصائحه لنا قبل رحيله إلى الرفق الأعلى: " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله "

ولكن لا مفر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تنبأ بنفسه بذات الإضافة تتراكم على ميراث المسلمين ليس فقط في الخطابات وإنما طالت هذه الإضافات وطال هذا الغبار حتى الميراث النبوي في العصور المتأخرة ، وحتى ألحقت بالإسلام في تصورات الناس الساذجة كل تلك الأشياء مما جعل هذه الأخيرة تأثر في الخطاب الصوفي هو الآخر وتقلل من بهرجه ولمعانه المعهود .

ولكن الإسلام بالرغم من كل الإضافات ، يحافظ على النصوص السماوية المتمثلة في القرآن وهو ما حفظ لنا هذه القيم وحفظ لنا أخلاقياتنا التي لا تحول ولن تزول وباقية ببقاء هذا المصدر الرباني الذي تعهده خالقه بنفسه بالحفظ من التعيير والتحريف .

وما أن أرجعناها وجعلناها أي القيم لصيقة بهذا الخطاب سرعان ما يعود له ذلك اللمعان والشموخ وذلك البريق ، وذلك الرقي المقترن بالرقي الإلهي الحقيقي ، الخالي من كل الإضافات البشرية الزائفة .

1/ الخطاب الصوفي والتصوف :

1-1 :تعريف التصوف:

*- **:لغة:** ذهب الدارسون للتصوف في تأصيل لفظة التصوف من حيث اللغة مذاهب عديدة، منها:

1 - فقد جاء في لسان العرب أن(صوفة أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كان يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحا ج، أي يفيضون بهم .ابن سيدة . وصوفة حي من تميم وكانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى،فيكون أول من يدفع .يقال في الحج :أجيزي صوفة، فإذا أجازت، قيل :أجيزي خندف، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة، وهي الإفاضة).1

2- وهو المعنى نفسه الوارد في القاموس2 .

3- يرى الوصيفي أن لفظة تصوف (مادة مجهولة الاشتقاق والمصدر،ولذلك اختلف علماء اللغة في أمرها على عدة أقوال، أثارت حولها الجدل واتسع لأجلها النقاش)

فقيل : نسبة إلى الصف الأول، وقيل نسبة إلى أهل الصفة، وقيل نسبة إلى قبيلة من العرب في الجاهلية، وهذا كله - حسب الوصيفي - غير صحيح، وهناك أقوال أخرى منها، أنها ترجع إلى كلمة) سوفيا (اليونانية ومعناها الحكمة، ورجح ذلك من رأى أن تلك الكلمة ليس لها اشتقاق ولا قياس من حيث العربية، والراجح أن اسم الصوفية مشتق من لبس الصوف[1].

*- **اصطلاحا:**

ما يثير الاستغراب في تعاريف التصوف، هو كثرتها واختلافها ولعل ذلك يعود إلى اختلاف رؤى أصحابها وتباين مشاربهم الثقافية والاجتماعية والظروف السياسية التي تحيط بهم .وقد ذكر الشيخ أحمد زروق الفاسي(أنها بلغت الألفين تعريفا)3.

وبسبب هذه الكثرة رأى أن:(الاختلاف في الحقيقة الواحدة، إن كثر، دل على بعد إدراك جملتها)4.

كما يدل على أن التصوف هو ظاهرة مركبة بالغة التعقيد، يكمن جوهرها في مضمونها الروحي، وهي ذات تجليات عديدة وتحولات متعاقبة، واعتبارا لهذه الخطورة والأهمية جعلها الجنيد سيد الطائفة امتدادا للرسالات السماوية بل صفوتها، حيث يقول:(التصوف مبني على ثماني خصال :السخاء والرضا والصبر والإشارة والغربة ولبس الصوف والسياحة والفقر)5 ، ثم يشرح أبعاد هذه الخصال، استقاها من ثمانية أنبياء، حيث يقول) :فالسخاء من إبراهيم؛ لأنه بلغ به أن ضحى بولده، والرضا من إسحاق؛ لأنه رضي بأمر الله وقبل بترك روحه العزيزة، والصبر من أيوب؛ لأنه صبر في بلائه بالدود، والإشارة من زكريا؛ لأن الله تعالى قال :﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ (مريم 3) ، والغربة من يحيى؛ لأنه كان غريبا في وطنه وغريبا بين أهله، والسياحة من عيسى؛ لأنه كان في سياحته من التجرد بحيث لم يكن يملك إلا وعاء ومشطا، وحين رأى شخصا يشرب بحفنيه ألقى الوعاء، وحين رأى شخصا يخلل شعره بأصابعه رمى المشط ولبس الصوف من موسى؛ لأن ملابسه كلها كانت صوفا، والفقر من محمد صلى الله عليه وسلم .وقد تعرض ابن

خلدون للتجربة الصوفية، وأشار إلى صعوبة وضع تعريف شامل للتصوف، وذلك يعود –حسبه – إلى عاملين:

العامل الأول :أن هذه التعريفات لم يقصد بها الصوفية تعريف التصوف تعريفا علميا شاملا يستوعب كل صوره وجزئياته، بل قصدوا به التعبير عن أحوالهم الخاصة.

العامل الثاني :التطور السريع الذي شمل كل مرافق الحياة الإسلامية نتيجة لاتساع الدولة واشتمالها على بلاد ذات ثقافات دينية سابقة على الإسلام ونتيجة لذلك دخلت المجتمع الإسلامي معان وأفكار جديدة، استوعبتها الثقافة الإسلامية وصارت تبعد يوما بعد يوم بواسطتها عن أصلها الأول، وهذا ما حدث لمفهوم التصوف، حيث تعدد معناه ولم يعد ينطبق عليه حد واحد 6 ولتجاوز هذه الصعوبة لجأ البعض إلى تصنيف هذه التعاريف أصنافا مختلفة، منها:

التعاريف الأخلاقية، والتعاريف التي تسوي بين الصوفي والعابد، والتعاريف التي تسوي بين الصوفي والزاهد

1- **التعاريف الأخلاقية** : كما في التعاريف التالية:

أ –يقول ابن القيم(691 هـ 751 –هـ) :اجتمعت كلمة الناطقين بهذا العلم على)أن التصوف هو الخلق.

ب –ويقول أبو حفص الحداد (ت 265 هـ) :التصوف تمام الأدب.

ج –كما روى أبو السراج عن محمد الجريري أن التصوف هو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني.

د –ويقول أبو بكر الكتاني (ت 233 هـ) :التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف.

هـ ومن هذا القبيل، قولهم : الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح.

2-1: **دواعي تحديد مصطلح" خطاب** :من الضروري قبل الشروع في أي بحث تجلية مفاتيحه ومصطلحاته والوثوق من نجاعة وسائله الإجرائية التي تشتغل عليها أجهزته المفاهيمية في تحقيق النتائج الدقيقة المتوخاة، ففي كنف هذه الضرورة سيق الحديث عن مصطلح الخطاب الوارد في هذا البحث من حيث مفهومه والتمييز بينه وبين مصطلحات أخرى جارية في ركابه، كمصطلح" النص" وغيرهما.

*- **إشكال تحديد المصطلح** :في حديثه عن مشكلة المصطلح في بلادنا العربية وما أكثرها يذكر الأخضر غزال :(أن كل الندوات والمؤتمرات منذ الستينات في مجال المصطلحات أو التعريب أو المعجم أوصت بتعريب المصطلح وتوحيده، واقترحت وسائل لتوحيده ونشره، ولم تنجح تلك التو جهات كما ينبغي بعد، علاوة على دعوات المجامع اللغوية العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمؤسسات المعنية الأخرى العربية والدولية، والدعوات الفردية المخلصة التي تظهر هنا وهناك بين حين وآخر، ومع كل ذلك ينبغي -مع كامل الأسف- نلاحظ أن النتيجة كانت هزيلة، إذا قورنت بضخامة المشكل، وبالمجهودات الصادقة التي تبذل)7.

ومن أسباب المشكلة أيضاً :النقص في المعاجم العربية بأنواعها الم ختلفة، والفراغات في المصطلحات العربية، والاقتراض المباشر للكلمات الأجنبية، وبخاصة إن كان بلا قيود، واختلاف طرق الوضع للمصطلحات العربية، وعدم التنسيق أو الاتفاق على مبادئ التقييس

والمراجعة، واتساع اللغة العربية وأقطارها، وخضوع الأقطار العربية في مراحل من تاريخها لأنظمة سيطرة أجنبية، والاجتهاد الشخصي والفرد ي بلا تنسيق، واختلاف مصادر الترجمة والأصول الثقافية للمترجمين في مجال المصطلحات، واختلاف لغات المصطلحات الأصلية الدولية التي تقوم بوضع مقابلات عربية لها8.

ولعلّ من الأسباب التي أ دت إلى التشّتت وتجذيره أيضا وجود المترادفات الكثيرة الدالّة على مفهوم واحد، ويمكن أن تعد المترادفات سببا ومظهراً للتشّتت في آن واحد . وقريب من الترادف أيضاً ظاهرة المشترك اللفظي، إذ قد يطلقون مصطلحاً واحداً على عدد من المفاهيم مقابل عدد من المصطلحات الأجنبية؛ بسبب عدم الوضوح والدقة، كإطلاق كلمة (ساحل أو شاطىء أو سيف أو شط) بلا تفريق مقابل المصطلحات الأجنبية التي ترمز إلى مفاهيم ثلاثة مختلفة9.

أما أخطار مشكلة التشتت وعدم توحيد استخدام المصطلح فكثيرة، فالتشّتت يؤثر في التفكير العلمي العربي نفسه، فهو يعيقه عن استيعاب المفاهيم المستجدة، وعن الإبداع والتقدم ومجاراة العالم في بحوثه واستكشافاته .كما تعم الفوضى والاضطراب أعمالنا العلمية وتفكيرنا، بل قد يوقعنا تعدد المصطلحات وعدم توحيدها في التناقض والخطأ أحياناً.

وفي ضوء هذا الزخم المفاهيمي والمصطلحاتي الذي أفرزته الحركة النشطة للترجمة غير الدقيقة في مختلف العلوم الوافدة إلينا من ثقافة الغرب، يمكن النظر ابتداء إلى أقوال المتصوفة على أنها خطاب لا نص، فهو يوافق ما ذهب إليه الباحث محمد عزام من أن الخطاب يختلف عن النص، حيث يعتبر الخطاب رسالة تواصلية إبلاغية متعدد

المعاني يصدر عن باث(مخاطب) موجه إلى متلق معين عبر سياق محدد، وهو يفترض من متلقيه أن يكون سامعا له لحظة إنتاجه، ولا يتجاوز سامعه إلى غيره، ويتميز بالشفوية، ويدرس ضمن لسانيات الخطاب10 ، وهذا ينسجم مع أقوال المتصوفة.

أما النص عنده فهو تلك الرسالة أو التتابع الجملي الذي يهدف إلى غرض تواصلي، ولكنه يوجه إلى متلق غائب، ويثبت بالكتابة، كما يتميز بالديمومة، ولهذا تتعدد قراءات النص، وتتجدد بتعدد قرائه، ووجهات النظر فيه، ووفق المناهج النقدية التي يقرأ بها، ويعني بوصف العلاقات الداخلية والخارجية لأبنية النص بكل مستوياتها (النصية)، وتشرح المظاهر التواصلية، واستخدامات اللغة وتحليلها في علوم مختلفة.

فمن هذا المنطلق نجد علوما مختلفة، ومتعددة تتضافر لتكون(علم ال نص) كالألسنية والأسلوبية والنحو، فهذه العناصر التي يشتغل عليها النص هي ما يحاول المتصوفة إقصاءها من أقوالهم وإشاراتهم. والجدير بالذكر أن ما يحدث اليوم في العالم من تقارب بين الشعوب وما يترتب عليه من حوار بين ثقافاتها يدعونا إلى الانخراط الواعي في نواميس التأثير والتأثر؛ لأنه حادث اليوم، أردنا أو لم نرد؛ ولذلك فليس من الحكمة تجاهل ما علق بمصطلح" الخطاب "من مفاهيم غربية، وذلك من أجل مقاربة إشكالاته التواصلية طريقة جلية ومثمرة، ولاسيما عند الصوفية، فالمثاقفة مهما تدنى مستواها لا تخلو من قدر من المنفعة والتبصرة. ولذلك عجنا على الكثير من المقولات التي اهتم أصحابها بالخطاب وقضاياه كجهاز مفاهيمي تتعالق في أفقه مجموعة من الآليات الوظيفية في ثقافتنا العربية وعند الغرب.

1- **مفهوم الخطاب في تراثنا العربي واللغوي والأدبي والنقدي** :الخطاب في لغتنا العربية من خطَب والخطب الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، يقال ماخطبك؟ أي ما أمرك؟ وهذا خطب جليل، وخطب يسير، وخطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة، والخطاب مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، وقال الليث :إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد وهو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب11، وخطب الخاطب على المنبر خطابة وخُطبة، كما وردت بمعنى الكلام، وبمعنى الرسالة.

فعلى ضوء هذه المعاني المتعاضدة يكون الخطاب هو توجيه كلام في شأن هام إلى متلق حاضر لحمله على موقف معين من هذا الشأن.

__أما في الاصطلاح الأدبي والنقدي فقد اتسعت آفاقه وتشعبت مجالاته فقيل :هذا خطاب أدبي وهذا خطاب نقدي وهذا خطاب سياسي وهذا إعلامي وهذا ديني وهذا صوفي.. الخ .وقد حدث هذا التطور تحت وطأة منظومات من أنساق معرفية غربية تناهت إلى ثقافتنا العربية الحديثة في جميع أنشطته وتخصصاته.

2- **التباس مفهوم" خطاب "بمفهوم" نص** :"وأما النص :فالإشكال فيه أكثر تجذُّرا واتصالا، رغم أنه كان يغلب في التقليد الأوروبي استخدام النص، على حين يغلب استخدام الخطاب في التقليد الأنجلوأمريكي، بيد أن التداخل بين النص والخطاب من حيث هما اصطلاحان محوريان، وعلمان لسانيان، لم يحسم أمره في الأدبيات

بعد، حيث تستطيع عبارات مثل :(خطاب النص)، و(نص الخطاب) و(النص بنية خطابية)، و(الأدب خطاب نصي)، و(الخطاب النصي) ... وغيرها تستطيع أن تؤكد التداخل والاشتباك بين هذين المصطلحين12.

وكما تعرضنا لبعض من مباحث مفهوم الخطاب كمصطلح كثر استعماله في العصر الحديث في الثقافة العربية وفي الثقافات الغربية، نذكر أيضا جملة من المباحث مما خُص به مفهوم (النص).

3- **مفهوم" نص "في الثقافة العربية** :ذكرت المصادر اللغوية أن (النص) أصله من(نصص ونصت الظبية جيدها رفعته، والمنصة ما تظهر عليه العروس لِتُرى، ونص المتاع جعل بعضه على بعض)13.

إذن فالنص لغة يؤدي إلى معنى الظهور والرفعة، ومن ثمة استبعد في ثقافتنا العربية الإسلامية التأويل في إدراك معناه؛ لأن معناه ظاهر جلي لا لزوم فيه لصرفه عن ظاهره، ولهذا يقول الأصوليون (لا اجتهاد مع النص)14 .

فالنص عندهم يقترن بالتعيين ونفي الاحتمال، كما جاء في قول الشافعي ، إنه: (خطاب يعلم ما أريد به من الحكم سواء كان مستقلا بنفسه، أو العلم المراد به غيره نافيا الاجتهاد)، أما في اصطلاح الأدباء والنقاد في عصرنا الحاضر، فقد أخذ – تحت تأثير الثقافة الغربية –اتجاها مختلفا عن دلالته العربية القديمة، حيث اتسعت دائرته فصار أفقا شاسعا لرؤى مؤتلفة أو مختلفة لتأويلات لا حصر لها

3-1- نشأة الخطاب الصوفي وتطوره:

1- **النشأة الزهد** _:الزهد لغة ضد الرغبة والحرص على الدنيا.

وفي الاصطلاح :هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.

وقيل :إن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والأخرة عند ربك للمتقي﴾ (الزخرف 35).

ويمعن القرآن أكثر في تنبيه المسلمين إلى أن من رغب في الدنيا وزينتها ويملأ قلبه بحبها ، لن يكون له أي نصيب في الأخرة ، قال تعالى : ﴿من كان يريد حرث الأخرة نزد له في حرثة ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتيه منها وما له في الأخرة من نصيب﴾ (الشورى 20)

ولا شك أن هذا النوع من الزهد هو ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه باختيار الله له .ودعا أمته إلى التحلي به، حيث يقول :(ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك)15.

إلا أن الزهد الذي كان يحبذه ويدعو إليه هو الذي لا يعوق مسار الحياة ولا يطمس حقا وجب، حيث يقول موضحا هذا الزهد: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)16.

وعلى هذا السمت سار الصحابة رضوان الله عليهم، فعمر رضي الله كان الصوفية يتخذونه أسوة لهم، ويخصونه بمعان جليلة كلبس المرقعة، والخشونة، وترك الشهوات، واجتناب الشبهات.

*- **تحول الزهد إلى تصوف:** وهو على أطوار:

- **طور النساك والبكائين والجوعية والقراء والسياح.**

- **طور الحب الإلهي** : مر بمراحل هي :

- مرحلة الاستغراق في التوبة والاستغفار
- مرحلة ارهاصات الحب الإلهي
- مرحلة الحب الإلهي الخالص
- مرحلة الفناء في المحبوب
- **طور السكر عند البسطامي.**
- **طور الحلول عند الحلاج.**

2-: **التمحيص والضبط في الخطاب الصوفي :** من المعلوم أن التصوف بدأ سلوكا فرديا استهوى قوما صرفوا أنظارهم عما يشغل الناس من متاع الدنيا وزينتها، ونأوا بأنفسهم عن المال والسلطان والجاه، وانقطعوا لعبادة الله، جاهدين أنفسهم على الصبر على أداء الفرائض والقيام بالمزيد من النوافل من صلوات وتلاوة القرآن وأذكار .وكان الناس يقصدونهم للاستماع لمواعظهم وحكمهم التي كانوا يستمدونها في بادئ أمرهم من القرآن والسنة وأخبار الصحابة، ثم تلاه جيل آخر جمع إلى جانب هذه المصادر معارف أخرى وأفكارا استقاها من فلسفات شعوب أخرى غمرتها الثقافة الإسلامية، لكنها لم تنقرض، حيث ظلت تغذي الثقافة الإسلامية الخالصة وتتماهى فيها، ومن هذه الفلسفات :الفارسية والهندية واليونانية. وقد كانت هذه الطائفة من أبرز الذين استوعبوا هذا الفضاء الثقافي بكل ما فيه من أصالة وحداثة، ولابد أن خطاب بعضهم قد أسرف في استيراد هذه الروافد الأجنبية أثناء القيام بالوعظ في

الحلقات التي ينصبونها لهذه الغاية فأنكر عليهم بعض رفقائهم آراءهم وتصدوا لبيان زيفها وإظهار المذهب الحق لسلوك طريق الله القائم على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، فكانت هذه بداية التصحيح لمسار الخطاب الصوفي ووضع أحكام له وقواعد، فمن معترك هذا السجال بين المتصوفة، ما أورده السيوطي في تاريخ الخلفاء: أن ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر ومن أصحاب مالك بن أنس وقال عنه :إنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف17 .

وقد يكون جديرا بنا أن ندع الحيرة والغرابة رهينة ما تصفر عنه نتائج الملاحظات التي عرضها بعض الدارسين حول افتراض مدرستين متمايزتين للتصوف الإسلامي :هما مدرسة خراسان ومدرسة بغداد، ورأى أن هناك سمات خاصة تميز كلا منهما، وسواء أكان ذلك في بعض القيم المتعلقة بالسلوك، أم في بعض المعاني التي تعد بذورا لأفكار التوحيد الصوفي والفناء فيما بعد، مستدلا على تحقق فرضياته بما قاله السري السقطي: (ما دام هذا العلم – أي :التوحيد– في خراسان باقيا، فهو باق في جميع البلدان، فإذا انقطع من خراسان فلا تجده في بلد من البلدان، وما قاله الجنيد شيخ بغداد وسيد الطائفة: أعطي أهل بغداد الشطح والعبادة، وأهل خراسان القلب والسخاء).

والواقع أن هذا النزر من التمايز لم يقتصر على حاضرتي خراسان وبغداد، ففي مصر ذكر المؤرخون أن ذا النون المصري هو (أول من أظهر اللغة الرمزية في عبارات الصوفية ولم يكن لها وجود قبل ذلك)18 ، وفي الأندلس ولدت نظرية وحدة الوجود مع ابن عربي ونمت، وأخذ

صداها يتردد في البلاد الإسلامية حتى تمكنت من بسط نفوذها والهيمنة على المعتقد الصوفي بوجه عام.

والأرجح أن هذه المدارس وإن تجلى في أقوال بعض رجالاتها شيء من الاختلاف إلا أن روح خطابها في عمومه متسق ومتشابك يصعب فصل هذا عن ذاك، وما يظهر من تلك الاختلافات ما هي إلا أطوار بلغها الخطاب الصوفي في منطقة ولم تصل بعد إلى مناطق أخرى، أو هو خطاب وجد متنفسا في مكان فعبر عن نفسه علانية وبلغ متلقيه، وانكفأ إلى نفسه وتلبس على متلقيه في مكان آخر صونا لمقامه وإيثارا للسلامة والعافية.

ولا شك أنه يتحتم علينا استقراء الواقع الثقافي بما يسمح لنا الوقوف على ما يمكن أن يصنف كعلم يختص بظاهرة زهد خالص له موضوعاته ومناهجه كما هو الحال عند الحارث المحاسبي (ت 243 هـ) الذي ترك تآليف كثيرة في هذا السياق منها: (المسائل في أعمال القلوب والجوارح) و(أدب النفوس) و(كتاب المراقبة) والتي تأثر فيها بعلم الكلام القائم على الحجاج العقلي والمنطق اليوناني، ولعل هذا – كما يرى البعض – هو سر جفوة الإمام أحمد بن حنبل له؛ لما عرف عن هذا الإمام من الالتزام الشديد بمذهب الأثر وعداء لمذهب المتكلمين.

ومن المرجح أن هذا الصدام بين الرجلين كان حلقة هامة ضمن سلسلة حلقات أسهمت في تفجير أواصر الثقافة الإسلامية الأصيلة وإبراز اتجاهات جديدة متباينة ومتعارضة، منها الاتجاه الصوفي.

ولهذا فإذا كان اعتبار الإمام ابن حنبل ممثلا للمذهب السلفي (مذهب السنة والجماعة) تحصيلا للحاصل، بما له في ذلك من مصنفات

ومواقف، فإنه من باب التحقيق للخطاب الصوفي وتوثيق مصادره أن يعد الحارث المحاسبي أول من دون علوم التصوف تدوينا علميا[2].

2/ القيم الأخلاقية والقرآن الكريم

1- **القرآن الكريم هو أصل القيم الأخلاقية الإسلامية** : الإسلام يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك . والأخلاق في الإسلام قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة ، سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية. وغاية الأخلاق في الإسلام بناء مفهوم (التقوى) الذي يجعل أداء العمل الطيب واجباً محتماً ويجعل تجنب العمل الضار واجباً محتماً، ويجعل الخوف من الله أقوى.

فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير.

ولذلك فإن أبرز قواعد الإسلام هو (ثبات القيم) وبالتالي (ثبات الأخلاق) وإن الالتزام الخلقي هو قانون أساسي يمثل المحور الذي تدور حوله القيم الأخلاقية فإذا زالت فكرة الالتزام قضي على جوهر الهدف الأخلاقي، ذلك انه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه.

والإسلام يحمل قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي

[2] ينظر الشافعي: في التصوف الإسلامي، ص 50.

رحمة للعالمين. وفي النص القرآني نجد أن كلمة (خُلُق) قد وردت مرتين:

الأولى :في رد قوم هود عليه السلام عندما دعاهم لعدم التعلق بالدنيا والتطاول بالعمران، وأن يعبدوا الله فذلك أقوم وافضل لهم . فأجابوه وفق ما جاء في الآية الكريمة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الشعراء 137). فردهم هذا يتضمن مقولة مفادها : أن هذا الذي جئتنا به، هو سنة وعادة قوم سبقوك في الظهور، وادّعوا مثل دعواك .وفي تلمس معاني هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن دعوة الأنبياء والرسل كانت دوما تعتمد خطاً واحدا في منهاجها الأخلاقي الذي يقود إلى صلاح المجتمعات، وصلاح الأفراد.

الثانية : في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم 04)، جاء الخطاب من الله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه ، وهو من كانت سيرته سنة يقتدى بها. وتؤكد كتب السيرة انه لم يكن لبشر ما كان ! للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأخلاق، فقد كان أحسن الناس خلقاً.. وأكثرهم محبة ورأفة ورحمة. فدلت الآية على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أنه يكون على خلق عظيم وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة 237). فانظر ما في هذه الآية من الحض على مكارم الأخلاق من الأمر

بالعفو والنهي عن نسيان الفضل. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة 02). فانظر ما في هذه الآيات من مكارم الأخلاق والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيع الله فيه. وقال تعال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ . فهذه الآية تأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء . وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل90) ، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(الأنعام 151). وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء 58) ، وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فعنوان الأخلاق الإسلامية استمد منه الرحمة، الرحمة من الإنسان لأخيه الإنسان، والرحمة من الإنسان

للحيوان فلا يجهده أو يحمله فوق طاقته. والرحمة تكون من الإنسان للطبيعة فلا يعبث بثرواتها التي هي خيرات أمده الله بها. فالأخلاق الإسلامية ينبوع رحمة يوصل إلى الفضيلة مما يثمر سعادة عامة شاملة لكل أبناء المجتمعات ، فالخلق كلهم عباد الله. وتبدو الحاجة اليوم اكثر منها في أي وقت مضى للالتزام بربط الأخلاق بالخطاب.

2-أهمية القيم في بناء الأفراد والأمم:

*- **تعريف القيم ومفهومها :** تَرِد القِيمُ مُفردًا مَصدرًا، ومِنه: دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (الأنعام:161)، وكذلك ورَدَ في قولِه تعالى: وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (النساء:5) وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا في قراءة نافع، أي: بها تقومُ أموركم. الشيء القيِّم الذي له قيمةٌ عظيمة، وتبعًا لهذا فإنَّ القِيَم هي تلك المبادئ الخلُقِيّة التي تُمتَدَح وتُستَحسَن، وتُذَمّ مخالفتها وتُستَهجَن. أعظم القِيَم وأساسُها الإيمان بالله تعالى، منهُ تنشأ، وبه تقوَى، وحين يتمكَّن الإيمان في القلبِ يجعل المسلِم يسمو فيتطلَّع إلى قيَمٍ عُليا، وهذا ما حدَث لسحرة فرعون؛ فإنهم كانوا يسخِّرون إمكاناتهم وخِبراتهم لأغراضٍ دنيئة، وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (الأعراف:113)، فلما أكرمهم الله بالإيمانِ انقَلَبت موازينُهم وسمَت قيمهم، هدّدَهم فرعون فأجابوا بقولهم: قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (طه:72) الثَّباتُ على القِيَم حَصانةٌ للمجتمع من الذَوبَان، وتُفيضُ عليه طمأنينةً، وتجعل

حياتَه وحركتَه إلى الأمام، ثابتةَ الخطى، ممتدّةً منَ الأمس إلى اليوم؛ لأنها في إطارِ العقيدة وسياجِ الدِّين.

***- فوائد واهمية تواجد القيم في التركيبة الشخصية للافراد :**

للقيَم فوائد جمّة، فهي التي تشكّل شخصيةَ المسلم المتّزنة، وتوحِّد ذاتَه، وتقوّي إرادته، والذي لا تهذِّبه القيم متذَبذبُ الأخلاق مشتَّت النفس، ينتابه الكثيرُ من الصراعات، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(الملك:22) القِيَم تحفظ الأمنَ، وتقِي من الشرورِ في المجتمع؛ لأنَّ تأثيرَها أعظم من تأثيرِ القوانين والعقوباتِ، فالقيَم المتأصِّلة في النفس تكون أكثرَ قدرةً على منع الأخطاءِ مِن العقوبة والقانون. أصحابُ القيَم يؤدّون أعمَالهم بفعاليّة وإتقان، وسوء سلوكِ القائمين على العمَل راجعٌ إلى افتقادهم لقِيَم الإيمان والإخلاصِ والشعور بالواجِب والمسؤوليّة. القيَم تجعل للإنسانِ قيمةً ومنزلة، ولحياته طعمًا، وتزداد ثقةُ الناسِ به، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ (الأنعام:132)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾. عندما تنشأُ القيَم مع الفردِ مِن إيمانِه وعقيدتِه وخشيته لله ينمو مع نموِّ جسده فكرٌ نقيّ وخلق قويم وسلوكٌ سويّ، وتغدو القيَم ثابتةً في نفسه، راسخةً في فؤاده، لا تتبدّل بتبدُّل المصالح والأهواء كما هو في المجتمعاتِ المادّيّة، ويصغُر ما عداها من القيَم الأرضية الدنيويّة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون:71). موضوعُ القِيَم ممتدٌّ في حياة المسلمين، فلا

يقوم مجتمَعٌ مسلم تقيّ نقيّ حتى تحتلَّ فيه القيَم منزلتها الرفيعة في سلوكِ الفرد والأمّة والمجتمع .من القيَم بر الوالدين، الإنفاق، الصِّدق، الوفاء، إعمار الأرض، استثمارُ الوقت، إتقانُ العمل، الإنصاف، الشعور بالمسؤوليّة، أداءُ الفرائض، الامتناع عن المحرمّات. مِن قيَم الإسلام الخالدَة الصبر، حبُّ الخير، جهادُ النفس والهوى والشّهوة. من القيَم الحياء، العِفّة، الاستقامة، الفضيلةُ، الحجاب. لقد كانت هذه القيَمُ وغيرها مغروسةً في أجيال السلَف الصالح قولا حكيمًا وفعلا ممارسًا من حياته التي كانت مصابيحَ تربويّة في ليلِه ونهاره وصبحِه ومسائه. أضاءَت سيرتُه الطريقَ لأجيال الصحابة، فتشرَّبوا القيمَ الخالدة، حتى غدت نفوسهم زكيّةً وعقولهم نيّرة، وغيَّروا بذلك الدنيا وأصلحوا الحياة. لم يعرفِ الخلقُ منذ النشأةِ الأولى مجتمعًا تجلّت فيه القيَمُ بأسمى معانيها مثل المجتمعاتِ الإسلامية. الدعوةُ الإسلامية رسَّخت القيَم، انتشرت بالقيم، تغلغلت في النفوس بما تحمِل من قيم، شملت مختلفَ جوانب الحياة؛ الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة، منظومةً متكاملة لا يمكن فصلُها. إنَّ لدينا من الفضائل والقيَم ما لو أحسنّا عرضَها للآخرين وامتثلناها في حياتنا لكان لنا السموُّ والرِّيادة، وأسهمنا في نشر الإسلام قِيَمًا ومُثُلا مشرِقة. تظهر الأيّامُ عظمةَ القيم في الإسلام، فهذه الأمَم اليومَ تترنّح ويتوالى الانهيار منذ فجرِ التأريخ، تنهار الأمَمُ لِضمور المبادئ وهشاشَة القيَم التي أقيمَت عليها، وتقِف أمة الإسلام شامخةً بإسلامها، قويَّةً بإيمانها، عزيزةً بمبادئها؛ لأنها أمّة القيم والمثُل والأخلاق. انهيارُ الأمم والحضارات المادية دليلٌ على أن قيَمَها ومثُلها ضعيفة نفعيّة، بل هي مفلِسة في عالم القيم، كيف لا وهي من صُنع

البشر؟! كم مِن القتلى! كم منَ الجرحى! كم من التدميرِ يمارَس اليوم باسمِ الحريّة والحفاظ على المصالح !القيَم تدفع المسلمَ وإن كان في ضائقة ماليّة إلى إغاثة الملهوف وإطعامِ الجائع، وتجد المسلمَ المؤمن يمتنِع عن الرشوةِ والسرقة، والمرأةَ تحافِظ على كرامَتِها وتصون عِفَّتَها وتنأى بنفسِها عن مواطن الفتنةِ والشبهة ولا تستجيب للدّعاوَى المغرِضة والمضلِّلة؛ ذلك أن الإيمانَ هو النبعُ الفيّاض الذي يرسِّخ القِيَم وتُبنى به المجتمعات ويوفِّر لها الصلاح والفلاحَ والأمن والتنمية. أيُّ عملٍ اجتماعيّ أو اقتصاديّ لحلّ مشكلات المجتمع يهتمُّ بالقيَم المادية ويتجاهل القيَم الإيمانيّة فإنه يسلك طريقَ الضَّعف ويقذف بالجيل إلى حياةِ الفوضى والعبث، ويقتلُ فيه روحَ المسؤولية والفضيلة. وما أصاب المسلمين اليومَ مِن قصورٍ ليس مرجعُه قيَمَ الإسلام ومبادِئَه ومقاصدَه وغاياته، وإنما سببُه الفرقُ بين العِلم والعمل والفصلُ بين العقيدة والمبادئ والقِيَم، واللّحاقُ بركب الحضارة لا يكون على حساب الثوابت، إنَّ ثوابتَنا وقِيَمنا نحن المسلمين هي سبَبُ عزِّنا وهي سبَبُ تقدُّمنا، ويجب أن يعرفَ كلُّ فردٍ في الأمّة التي تريد النهوضَ إلى المجد أنَّ العقيدة هي التي تبني القوى وتبعثُ العزائمَ وتضيء الطريقَ للسالكين. إنَّ الحفاظَ على قِيَم الحياء والحِشمة والعفافِ والبُعدَ عن الاختلاط وعدَم ابتذالِ المرأةِ تَظلّ أحدَ أكبر صمّامات الأمان للمجتمع إزاءَ الكوارث الخلُقيّة التي أصابت العالَمَ اليومَ في مقتَل. لقد تعرَّضت القيَم الإيمانية على امتدادِ التأريخ لموجاتٍ متتالية من العبَث وتيّارٍ جارف من الانهيار، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران:187).

3-التربية الصوفية مطلب ديني وحضاري:

1- **مبررات التوجه نحو التصوف:** ثمة مبررات كبرى دعت إلى إعادة الالتفات إلى التصوف والعناية بالخطاب الصوفي نذكر منها ما يلي:

أ . المبرر المعرفي:

لقد انتقل الخطاب الفكري في الغرب من الحديث عن مفهوم " الحداثة" إلى الحديث عن مفهوم "ما بعد "الحداثة".و ما بعد الحداثة تشير إلى لحظة معرفية تتأسس على مراجعة نقدية لمفاهيم الحداثة ورؤيتها للعالم والحقيقة .هذه المراجعة النقدية جعلت فكر ما بعد الحداثة ينبني على عقلانية متفتحة تعترف بالروحيات، والتي ألغتها العقلانية الوضعية من قبل.إن هذا التحول المعرفي الكبير جعل الباحثين المعاصرين يكتشفون من جديد ثراء الخطاب الصوفي ويقاربون برؤية جديدة مفاهيمه وأسئلته.

ب . المبرر الأيديولوجي:لقد ادعى صمويل هانتجتون في أطروحته حول "صدام الحضارات"، أن الصراع سيتخذ صورة صراع ديني حضاري، طرفاه الرئيسيان: الحضارة الغربية في مواجهة الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية .هذا ما دفع العديد من المفكرين في الضفتين الغربية والإسلامية إلى البحث عما يمكن أن يشكل أرضية ثقافية للحوار بين الحضارتين الغربية والإسلامية بدل الصدام والصراع. وقد وجدوا في

التراث الصوفي الإسلامي وفي سلوك كثير من العارفين معينا خصبا لصورة جمالية متسامحة عن الإسلام ترجح الحوار والتفاعل والقبول بالآخر، بدل الصراع والصدام المحتومين اللذين غذتهما كثير من الأحداث منذ الحادي عشر من سبتمبر وما تزال، وهذا ما يقدم تفسيرا ثانيا لاهتمام وعناية أدبائنا ومفكرينا المعاصرين بالتصوف ويعلل أيضا الإيجابي المتميز للعديد من الرموز الصوفية الإسلامية الكبرى في الأوساط الغربية (في صدارتهم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي).

ج . المبرر الحضاري: من المعلوم أن الحضارة الغربية الحديثة ركزت اهتمامها على مناحي الحياة المادية والاقتصادية، لكنها أهملت المستويات المعنوية والروحية والأخلاقية في الإنسان، والتي اعتنت بها الأديان والفلسفات الروحية الكبرى .من هنا تأتي العناية بالتصوف لكونه يمثل الوجه الروحاني الذي يعمق علاقة الإنسان بربه بناء على صلة المحبة؛ ويحقق "الأمن الروحي" للإنسان ويشكل مناعة روحية ضد المادية الجارفة التي تهددنا بها الحضارة الغربية من خلال العولمة

.التربية الصوفية وآثارها في دفع آفات العصر :

إن التصوف كتربية روحية، يمكنه أن يتوجه إلى قلب الفرد باعتباره كيان روحي وأخلاقي يقدس مختلف القيم والمبادئ التي تجعله كائنا أخلاقيا وحرا قادرا على لجم شهواته وكبح نزواته ورياضة جوارحه ومراقبة الله في كل حركاته وسكناته. لهذا الاعتبار رادف البعض بين التصوف والأخلاق حتى قيل: "التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء .وبهذا يمكن التأكيد على أن التربية الصوفية يمكنها أن

تسهم في إعادة ترسيخ الأخلاق في المسلم المعاصر كي لا ينجرف مع آفات العصر .وما يسعف التصوف اليوم على لعب هذا الدور والقيام بالمساهمة الفاعلة في تخليق الحياة الفردية والجماعية كونه ظل دوما ذا عمق شعبي في العديد من المجتمعات، حيث شكل شيوخه نماذج أخلاقية تحتذى وتقتدى مما يجعل من استثمار هذا العمق الشعبي عاملا من العوامل المساعدة على جعل الخطاب الصوفي فعالا ومثمرا في تخليق الحياة الفردية والجماعية.

أ . **التحقق بالحرية** :إن للصوفية تصور عميق عن الحرية، فهم يذهبون إلى أنه لا يمكن التحدث عن أي حرية مهما كان نوعها إذا كان الإنسان مستعبدا داخليا، إذ"ما وصل إلى صريح الحرية من على نفسه بقية". وما التربية الصوفية إلا سعي، متواصل لتحرير الإنسان من ربقة نفسه، أولا وأخيرا .ولا نعني بالنفس الجانب الروحاني من الإنسان، ولكن المقصود منها الجانب الشهواني المرضي منه، و الذي يسمى بالنفس الأمارة بالسوء. لقد أكد الصوفية كلهم أن النفس بذلك المعنى، تحمل في جنباتها من النقائص ما لله من كمالات. ولذا يتعين على الإنسان أن لا يغفل عن تلك النقائص، فيطغى ويتجبر، ويصير عابدا لنفسه من حيث يظن أنه يعبد ربه. فالمتكبر عبد لأنانيته المتوهمة، والبخيل عبد لماله، والمرائي عبد لثناء الناس ومدحهم. وهكذا إذا تتبعنا الأمراض القلبية . وما أكثرها . نجد أنها أوثان يعكف الإنسان عليها، فتستعبده، وتحول بينه وبين العبودية الخالصة لله. وقد يتجه الإنسان إلى ربه بجسمه، فيركع له ويسجد، ولكن عبوديته لا تكتمل إلا إذا كسر تلك الأوثان المنتصبة

بداخله، كحب الدنيا، والأنانية، والكبر، والعجب، والرياء والطمع، وما إلى ذلك. لأن"القلب ليس له إلا وجهة واحدة فمهما توجه إليها حجب عن غيرها" وبقدر ما يحطم الإنسان من تلك الأوثان، بقدر ما يقترب من كمال العبودية، حتى إذا ما تم له تحطيمها كلها، تحققت حريته، و خلصت عبوديته لله. ولذا قال الشيخ أبو مدين " لا تكون له عبدا، ولغيره فيك بقية رق" ولكن الحرية ليست شعارا بل هي ثورة متواصلة من الإنسان على قبحه وظلمه، إنها تمرد الذات النورانية على ظلامها، بقصد تحريرها من جنود الشر الكامنة فيها.

ب . **تحقيق المعنى الروحي في الحياة:** إذا كان فلاسفة التربية قد اهتموا "بالتطوير اللامحدود لإمكانيات الإنسان واحترام كرامته" فإن ذلك التطوير لا يكتمل . في نظر الصوفية . إلا إذا وجد الإنسان الاطمئنان النفسي الذي يؤهله لأن يكون خليفة الله في العالم. وهذا ما يؤكده الشيخ محمد بن الحبيب . رحمه الله . بقوله: من كان من نفسه في أمن كان من الخلق في أمان. إن التربية الصوفية اليوم وهي ترقى بسالكها المراتب والمنازل في محبة الحق سبحانه ومعرفته، ترسخ وتعمق الجوهر الغائي من وجود الإنسان في الكون، وهو عبادة الحق سبحانه، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (سورة الذاريات:56).هذه العبودية التي كرم بها سبحانه الإنسان وجعلها بابا لحريته تضفي معنى روحيا ربانيا على وجود المرء .وتؤهله إلى التحقق على الطفل القدسي الموجود في باطنه ،وهو ذاته الروح الإلهي الذي نفخه الله في الإنسان أول ما خلقه، غير أن عثور

الإنسان على طفله المفقود وروحه الضائعة، لا يكون إلا بالتنيب داخل ذاته، فإذا وجدها وعرفها، وجد طفله الطاهر، ووجد ربه وعرفه . إن الإنسانية لا تكتمل إلا إذا وجد الإنسان ذلك الروح الطفل الكامن بباطنه والذي يؤهله لأن يكون خليفة الله في هذا العالم. ولذلك شعر كثير من المفكرين بمرارة اغتراب الإنسان المعاصر عن نفسه، رغم ما حققه من تقدم مادي فأكدوا أنه "من الأفضل أن نوجه اهتماما أكثر إلى أنفسنا، من أن نبني بواخر أكثر سرعة، وسيارات تتوفر فيها أسباب الراحة، وأجهزة راديو أقل ثمنا، أو تلسكوبات لفحص سديم على بعد سحيق". وعلى هذا الأساس فإن كل حضارة، أبعدت الإنسان عن روحه، عن طفل المعاني الذي يعيش بداخله، عن جوهره الإلهي، إنما هي حضارة مدمرة، معادية للإنسان ومن هنا تظهر قيمة التصوف . خصوصا في هذا العصر. في" تحقيق إنسانية الإنسان، ومساعدته على مواجهة كل القوى التي تعمل على تشييئه وتغييبه وامتلاكه واستلابه وتغريبه وإزاحته من مركزية الوجود لمصلحة الآلة والمادة والاستهلاك"

ج . **تجسيد ثقافة الإحسان والمسامحة:** إن الآفاق المعنوية والسلوكية التي ترسخها التربية الصوفية في طالبها توفر لنا دعامة قوية في عصرنا هذا لإعادة النظر في كثير من سلوكياتنا التعصبية سواء للأعراق أو الطوائف أو المذهبيات، وتدعونا إلى تقبل الآخر بل الاعتقاد في ضرورة وجوده كمظهر من مظاهر الرحمة الإلهية التي تجلت في آيات وحقائق تتيح للإنسان فسحة الحياة بأشكال وأنماط وألوان متعددة في مجاليها ومرائيها، متوحدة في ينبوعها ومصبها. هذه القيم المتمثلة في لا نهائية المعرفة وتعدد تجلياتها يمكن أن يشكل دعامة روحية وأخلاقية كبيرة

للمعايير التي أصبح عالمنا اليوم ينشدها ويصبو إلى ترسيخها وهي معايير التسامح والتعايش والقبول بالآخر والاعتراف بشرعية الاختلاف.

د. **البعد الإنساني للتربية الصوفية** : لا شك أن مأساة الإنسان في كل العصور، ناجمة عن أنانيته التي تدعوه إلى الاستكبار على أخيه الإنسان، وذلك ما حذر منه أحد شيوخ التصوف ومنهم الإمام الرفاعي حيث يقول :"لا تزعم أخا الحجاب، أن أخاك الإنسان الآخر، عبدك بدريهماتك، بوقتك ، بحظك، بشأنك، بما أنت فيه من أمرك. هو فوق ذلك وأنت دون ذلك. كل من ساواك بتركيب الهيكل أو ماثلك بالصورة والنسق فهو أخوك بجنسيتك، وشريكك بآدميتك لا هو مملوكك، ولا أنت مالكه"ولا يقف الحد عند احترام الكائنات فحسب، بل إن الإنسان مطالب بأن يوصل النفع لهم قدر ما يستطيع " لقوله صلى الله عليه : (الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله...فكل من لم ينفع في الدنيا، لم ينفع في الآخرة). ومما سبق يبدو لنا أن غياب البعد الإنساني في يرجع أساسا إلى نقص التربية الروحية .

هـ: **البعد النفسي للتربية الصوفية** : الصوفي يسعى لاكتشاف عيوب نفسه ليعالجها في ذاته وفي الغير ويرتفع بمستوى الحياة الروحية ليجعل منها نموذجا يجتذب الآخرين ولا شك أن تربية النفس ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الحضارة التي تهدف إلى "بذل المجهود من أجل تكميل النوع الإنساني" .

و يتم هذا الهدف إلا بمجاهدة النفس، لأنها مصدر كل الأمراض كالكبر والعجب والحسد والغرور وغيرها. وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن

الحبيب : وأعظم ذنب العبد نفسه ففيها من الأخباث كل شنيعة و ليس العاقل مَنْ جمع العلوم والمعارف، بل العاقل من استطاع أن يوقف نفسه عند حدها فيتخلص من الأنانية الكاذبة والدعوى الباطلة، والتكبر الأعمى، بمعرفته لمبتدئه الطيني ومنتهاه الترابي. و "ما دخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه "

و. البعد الحضاري للتربية الصوفية : لعل من جملة المآخذ التي تؤخذ على الصوفية أنهم أهملوا شؤون الحياة، و ربوا أتباعهم على الزهد فيها. والحقيقة غيرُ ذلك تماما، فالزهد عند الصوفية ليس التخلّي عن طيبات الحياة، و لا الإعراض عن تعمير الدنيا، إنما الزهد "أن تنفض يديك من الدنيا فلا ترفعها إلى قلبك ولو ملكتها بحذافيرها "فالعبرة إذن ليست في فقر ذات اليد، ولكن العبرة في تخْلِية القلب مما يقطع عن الله. فقد يكون الإنسان فقيرا وقلبه راغب في الدنيا مُتلهّف إلى بامتلاكها، وقد يكون غنيا وقلبه راغب عنها، عديم التفكير فيها. وليس من اللائق بالصوفي أن يرتدي رثّ الثياب، و أوسخها حتى يكون صوفيا، بل الواجب عليه يكون أنيقا في ملبسه مُظهِرا نعمة الله عليه، لأن الله يحب أن يَرى أثر نعمه على خلقه في المأكل والمشرب والملبس وفي كل شيء. و لا شك أن مهمة الصوفية في ترسيخ تلك القيم في صفوف المنتسبين إليه، يساهم في تلطيف الأجواء وإحداث توازن روحي داخل المجتمع. وكما أنه ليس من المنطقي أن نجعل كلَّ الناس متصوفين، فإنه ليس من المنطقي كذلك أن تخلو مجتمعاتنا من نخبة روحية تعطي للحياة معنى، وتقيها من السقوط في هاوية التكالب على المادة.

2-بعض القيم الأخلاقية في الخطاب الصوفي

*- **القيم الجمالية في الخطاب الصوفي من التكميل الخُلقي إلى ترشيد الحس الإنساني:** قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد *** وينكر الفم طعم الماء من سقم على حد تعبير الإمام البوصيري في بردته. من هذا المنظور يبقى أمر تحديد ماهية الجمال متوقف على الذات الناظرة إليه، و التي هي بمثابة مرآة ينعكس عليها ذلك الانسجام الساري بين جنبات الوجود، وهذا ما يجعلنا نُدرك أن مفهوم الجمال ليس مجرد شعور بالتلذذ قائم على إدراك الملائمة أو المناسبة في المرئيات والمسموعات أو في الأشكال والأصوات بقدر ما هو مسؤولية إنسانية كبرى وقوة فاعلة تحرك مختلف الأنشطة الإنسانية سواء كانت مادية أو روحية. وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن العناية التي حضي بها سؤال الجمال في الخطاب الصوفي طيلة تاريخ الإسلام فاقت تلك العناية التي حضي بها في باقي الاتجاهات الفكرية الأخرى . فلو تأملنا ما أنتجه الصوفية –رضوان الله عليهم– من إبداعات فكرية وأدبية، لوجدنها زاخرة بقيم جمالية ناتجة عن تجربة روحية ذوقية وتربوية أخلاقية، ينشأ عنها توليد ممارسة إبداعية تنتفي فيها الإحالة على المرجع المادي الملموس، أو التصور العقلي المجرد أو المحدوس ليحل محله الإشراق أو الوارد الذي يحول معنى الكلام من مجرد عمليات ذهنية مركبة من علاقات سياقية محكومة بمنهج الإبدال إلى كلام نوراني حالي يمنح من حضرة القرب الأزلية؛ حتى إذا تكلم أحدهم وكان من أهل الإشارة والذوق أشرق بكلامه النوراني الجميل "باطن كل حاضر من الخَلْق؛ فعلى طبقاتهم

يفهمون عنه من معنى ما هم فيه؛ كل يرى أن العبارة توجهت لمعنى ما هو فيه، فلا تُغْمِضُ عبارته عن المبتدي، ولا تستوفي جميع إشارته المنتهي". (من كلام الشيخ سيدي محمد الفاسي في كتابه مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن) انطلاقا من هذا الموقف المؤصل لجمالية الخطاب الصوفي نتساءل عن سر هذا التناص الوجودي الذي يمزج بين الجمال باعتباره قيم إنسانية عليا والخطاب الصوفي باعتباره خطابا إشاريا تواصليا وديناميا لا نهائيا نابع من قلوب حية متصلة بالله عز وجل ؟

قبل الإجابة عن هذا التساؤل لابد من الوقوف عند اعتقاد سائد يحاول أصحابه فصل الخطاب الصوفي عن القيم الجمالية والفنية بحجة انحصار وظيفة هذا الخطاب في التوجيه المُؤطَر بعلاقة تَقَبُّل إلزامي أو امتثال قمعي، والمتوسل بأساليب الردع والارتداع. غير أن ما يكذب هذا الاعتقاد هو نتائج التجربة الصوفية الخُلقية العميقة التي تزود المتخلق بأوسع نظرة للإنسان وبأرق ذوق للجمال؛ هذا التذوق الجمالي الذي يمد المتخلق بفعل ثري دافق يمد غيره ولا يمده غيره؛ وهنا يرتفع حكم القبح ولا يبقَى غير حكم الحسن الشهودي فيصير لسان الحال يقول: «ما رأيتُ شيئا إلا ورأيتُ الله فيه»؛ ومن ثمة يتحول الجمال من منحة إلهية إلى مسؤولية إنسانية كبرى، وهذا ما دفع ابن عطاء الله إلى القول في إحدى حكمه : «جعلك (الله) في العالم المتوسط، بين ملكه وملكوته، ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته»، وقد شرح الشيخ أحمد رزوق هذه الحكمة بقوله: «وذلك يقضي لك (أيها

الإنسان) برفع الهمة عن الدناءة، والجنوح إلى معالي الأمور في جميع الحالات، لأن من كان في أرفع العوالم، لا يصح له أن يبيع نفسه بأبخس منها ثمنًا. فعِلْمُ العبد بجلالة قدره في أصل النشأة، ينهض قواه لطلب الأمور العلية... وبيان كونك في العالم المتوسط (يضيف الشيخ زروق) فمن طريق المعنى: أنك لست ملكيًا محضًا ولا ملكوتيًا صرفاً، وإذا كنت كذلك فلك في كل نسبة، وذلك هو الوسط حقيقة، ومن طريق الحس، فإنك وسط العالم السماوات تظلك، والأرض تقلك، والجهات تكنفك، والجمادات تدفع عنك، وأنت جوهر مكنون فافهم»21 .

من هنا يبقى السؤال الذي يطرح نفسه علينا جميعا هو كيف يمكن توظيف واستثمار الإمكانات والمؤهلات التي يوفرها هذا الخطاب للارتقاء بالحس الجمالي والفني حتى يسهم في تعميق وتنمية القيم التعبدية والروحية في نفوس المتلقين لذلك الخطاب؟

***- مفهوم الحب والكراهية بين النص الفلسفي والنص الصوفي:**

وليس من شك في أن الحب فضيلة ايجابية. لأنه في جوهره إثبات وإحياء وبناء.. حتى وإن كانت كلمة حب تدل على دلالة عاطفية أو وجدانية. إلا أنها في الأصل ميل إيجابي ونزوع عملي يتجلى في تحول الاهتمام من الأنا إلى الأنت وبالتالي الحب أولا هو نية واتجاه وسلوك. في حين إن الكراهية في جوهرها إنكار وإفناء وهدم .

أولا: في نص الخطاب الصوفي : لقد ارتبط الحب بالتصوف عند كثير من المسلمين، هذا الارتباط نشأ في أذهانهم من تقسيم الدين إلى حقيقة

وشريعة، أو باطن وظاهر، فالحقيقة والباطن في مصطلحهم هو التصوف، والشريعة والظاهر هي العبادات الظاهرة، ولما كانت المحبة من أعمال الباطن، كان من الطبيعي أن تدخل ضمن دائرة التصوف، أكد هذا الارتباط حرص المتصوفة على الاشتهار بلقب أهل المحبة والنسبة إليها، فكيف استأثر التصوف بمقام المحبة، بل بمقامات القلوب..؟ على اعتبار أن العنصر العرفاني في الحب هو أكثر العناصر غموضا وأعسرها تمييزا.

لقد جاء في الخبر «إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه» [19] . وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك. وقال بعض المريدين لأستاذه: قد أطلعت بشيء من المحبة، فقال: يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه؟ قال: لا، قال: فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه. وقد قال رسول الله (ص): "إذا أحب الله تعالى عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه " وقد قال: " إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه " فأخص علاماته حبه لله تعالى فإن ذلك يدل على حب الله تعالى له [20]

3/ طورالتوفيق بين الشريعة والتصوف:

إن المتتبع لنشأة التصوف ومراحل تطوره، لاشك أنه سيجد أن ظاهرة الزهد هي بوابته وهي حجر الزاوية في بنائه، والقاسم المشترك بينها وبين كل المدارس والمذاهب الأخرى .ولكن أي زهد؟!، أهو الزهد الذي ذكرته الآيات السالف ذكرها؟ أم هو الزهد الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه

وسلم في أقوال كثيرة ومنها الأحاديث التي سبق ذكرها؟ أم ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم كما سبقت الإشارة إلى ذلك؟ أهذا هو الزهد المقصود، والذي تعده المدرسة السلفية شرعيا .أم هو زهد من نوع مختلف؟! لا شك أن زهد المتصوفة مصوغ من هذه الينابيع التي تتفق في أن الزهد ينتهي عند الزهد في متاع الدنيا والزهد فيما في أيدي الناس، ولكنه يغلو في أمره فيوسع من مجالاته تحت تأثير خواطر مستقاة من فلسفات غربية وشرقية، فيذكرون أنهم يزهدون في الجنة ونعيمها، وأن رغبتهم هي الله وحده، وهذا ما عبروا عنه بالحب الإلهي . وقد مرت بنا نماذج منه عند رابعة العدوية .ثم يزداد غلوا فيذكرون أنهم فنوا في الله، وقد مر بنا نماذج من هذا الطور عند البسطامي .ثم يأتي الاتحاد والحلول كما هو عند الحلاج، وينتهي في وحدة الوجود عند ابن عربي. وهذا ما يفسر لنا الحملة الشديدة التي قادها الإمام أحمد بن حنبل ومن نهج نهجه من فقهاء أهل السنة والجماعة ضد كل من لم يلتزم بضوابط الشريعة وحدودها من أهل البدع والأهواء سواء أكانوا متصوفة أم من المتكلمين – كما هو حال المحاسبي .وقد امتد سلطان هذا المواجهة على مسار الحياة الدينية، مما أدى إلى نشوء ثلاث ظواهر مختلفة في نسيج الحياة الصوفية.

الأولى : وهي التي لم تخفها سطوة الفقهاء وما يتوعدونها به من سوء العاقبة، وقد انتهى أمرها بمصرع أصحابها، وهم الحلاج والسهروردي.

والثانية : بعد فتنة الحلاج التي انتهت بمصرعه ، انكفأ أصحابها إلى ديوانهم الروحي يعزون أنفسهم المحبطة بما تنثال عليهم من بوارق الفيوضات الربانية، فكانت النتيجة أن أدركوا مشقة الطريق وخطورتها

على غيرهم من الأنام، فتجشموا عناءها بمفردهم، ضانين بفتوحاتهم وأنوارهم على غير أهلها، بعد أن تأكد لديهم ضلال الناس وخسرانهم وأن لا جدوى من تربيتهم و مناصحتهم، يحدوهم شوق اللقاء، وتؤنسهم تباشير الوصال، ومن هؤلاء: محمد بن عبد الجبار بن الحسن بن أحمد النفري (ت 375 هـ) في كتابه المواقف والمخاطبات (وأبو حيان التوحيدي (ت 414 هـ) في كتابه (الإشارات الإلهية).

و**الثالثة** : اتخذت سبيل المهادنة والتقية مع الفقهاء فاجتهدت في إحالة أصول مذهبها على ما جاء في الكتاب والسنة وسيرة السلف المشهود لهم بالصلاح والتقوى، وجعلها مرجعا لمن أراد سلوك القوم .فكانت النتيجة توالي جيلين من علماء التصوف تصدوا للدفاع عن مذهبهم بإظهاره في صورة لا تتعارض مع عقيدة فقهاء السنة والجماعة.

4- دور الزوايا في التعليم والتثقيف وتحسين الخطاب الصوفي:

فضلاً عما كانت تقوم به الزاوية من وظائف متعددة فإنها كانت كذلك مخازن للكتب، ومن أشهرها مكتبة زاوية الفيجيجي التي وصفها ابن عبد الناصري، وأشار إلى اعتناء آل الفيجيجي بها، ومباهاة غيرهم بما فيها من نفائس الكتب، وكانت زاوية سيدي الهواري بوهران التي آلت إلى تلميذه إبراهيم التازي، تحتوي على مكتبة ضخمة2). ومما لاشك فيه أن الاستعمار الإسباني قد انتهبها، وأكمل انتهابها الاستعمار الفرنسي بعده .وقد ذكر الكفيف في رسالته إلى الثعالبي عنايته بمكتبته وتدبير أمر تهريبها خارج المنطقة الحضرية خوفاً عليها من الانتهاب لأن شواطئ بجاية كانت بدورها عرضة لهجمات الإسبان آنئذ .وكانت لعائلة الفكون مكتبة ضخمة وغنية بنفائس المخطوطات وكان اعتماد الفكون

)الحفيد (في ثقافته الدينية والصوفية والأدبية عليها كبيراً وكانت مكتبة الفكون من ضمن المكتبات التي مسها الإحصاء أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر، كما كانت مكتبة عبد الرحمن باش تارزي من أشهر المكتبات بقسنطينة إذ ذكر تقرير الإحصاء الفرنسي بها ما يزيد عن خمسمائة مخطوط جلَّها في الفقه والدين4). وحسب هذا التقرير، فلا تكاد تخلو زاوية أو مسجد من مكتبة. ولقد ساعدت هذه المكتبات على نشر الثقافة الدينية في أوساط المريدين المترددين على مشائخها).ويذكر أحد التقارير أن المستوى الثقافي للجزائريين في نهاية العهد العثماني كان أفضل بكثير من مستوى الجنود الفرنسيين الذين كانوا في الجزائر أثناء حملتهم على العثمانيين بها، إذ شهد شاهد من قواد الجيش الاستعماري يومئذ أن الأمية بين جنوده بلغت(% 45) ، وبالمقابل كان عدد القادرين على القراءة والكتابة.

***- الخاتمة والتوصيات**

أهمّ أسلوب تنتهجه العولمة للسيطرة على العالم ، والعالم الإسلامي على الأخصّ ، تمزيقه بإفساد أخلاقه ، و متى فسدت كان الباقي يسيرا ، لذلك كان مِن واجب الخطاب الصوفي أن يتصدّى لانتشار الظاهرة فيحاربها بالحثّ على الأخلاق الحميدة ، والعمل بها ، ونشرها من خلال العمل الدعوي ، ومن خلال اتّخاذها صفة لازمة لصاحبها لا تفارقه إلى الممات. ليس الخطاب الصوفيّ إلاّ شكلا من أشكال الخطاب الديني ، ينبع من مشكاته ويدعو إلى تعاليمه ، لكنّ أهمّ ما تنادي به فلسفته : الجمال و الحبّ المطلقان ، ونعني بهما أنّ الله عزّ وجلّ هو الجمال

المطلق ، وهو الحبّ المطلق ، الذي لا يجب أن نحبّ سواه ، و لا يمكن أن نصل إلى هذه المرتبة إلاّ إذا تجرّدنا من الماديات ، وتحرّرنا من كلّ ما يمكن أن يجعلنا إلى الثرى أقرب. و من هنا ، إذا استطاع العالم تبنّي هذه الفلسفة الصوفية صار بإمكانه أن يجعل من العالم قرية صغيرة يسودها و يجمعها حبّ الخالق عزّ و جلّ وعبادته . و لمّا كان الخطاب الصوفيّ قادرا على الإسهام في تصيير العالم قرية صغيرة ، دلّ ذلك على أهمية الخوض فيه ، وتحليله في خضمّ صراع القيم ، وسيطرة العولمة GLOBALISATION التي باتت نظاما يفرض نفسه بالقوّة ليحقّق حسب منظوره مقولة القرية الصغيرة ، ذات لغة مشتركة ، وذات اقتصاد واحد ، وتخضع لنظام سياسيّ واحد ، وعقيدة واحدة.

تُرَى أيّهما الأقدر على تحقيق هذه القرية الحُلُم ؟ أهو الإسلام بجميع خطاباته ، وأهمّها الصوفيّ ، أم هي العولمة بكلّ قوّتها و جبروتها ؟ وللإجابة على ذلك ، وجب أن ننظر في أهداف ومساعي كلّ من الخطابين الصوفيّ والعولمي. أوّل ما يلفت النظر أنّ كليهما خطاب يقتضي هيئة مرسِلة DESTINATEUR ، ورسالة MESSAGE ، ومرسَلا إليه DESTINATAIRE ، ويبقى المرسَل إليه الهدف الذي إذا استجاب للرسالة تحقّق هدف المرسل . فالخطاب DISCOURS ممارسة لغوية تواصلية يتشكّل وفقا للموضوع الذي يصنع بنيتَه . ولكنّ الخطاب لا يقف عند كونه خطابا ملفوظا أو منطوقا ، بل يتعدّاه إلى أن يكون سلوكا أو لغة جسدية قد تكون أحيانا أبلغ من اللغة المنطوقة ، لذلك فالمسلم الأوّل الذي صاحب الفتوحات لم يكن يتوسّل الخطاب الديني بشقّيه – القرآن و الحديث – فحسب ، وإنّما خاطب الناس من

خلال سلوكاته ، كالصدق ، والتواضع ، والبشاشة ، واحترام الغير ؛ بل كان التجار المسلمون ، أثناء تجارتهم في بلاد الهند والصين و غيرها من بلاد الله ، يتاجرون ورسالتهم المحمدية نصب أعينهم ، فأحبّهم الناس وأحبّوا دينهم ، ومن أجل ذلك اعتنقوا الإسلام. و بات تهافت القِلّة القليلة على الإسلام . بفضل الخطابات الدينية وأهمّها الخطاب الصوفيّ . أمرا يقضّ مضجع الغرب ، فجعلوا من الإسلام مرادفا للإرهاب الواجب مقاومته . فقد ورد عن كيسنجر ، من زعماء الصليبية الحديثة ووزير الخارجية الأمريكي الأسبق ، قوله : " أنّ الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم الإسلامي والعربي باعتباره العدوّ الجديد." ولأنّ للزعامة الروحية ، أيّا كانت ، الأثرَ الكبيرَ على المجتمعات فقد تصدّى بعض الرؤساء الأمريكان لها بالقول : " أنّ على الولايات المتّحدة أن تنتزع الزعامة الروحية في العالم مثلما انتزعت الزعامة العسكرية والاقتصادية " . و هكذا بعد انهيار النظام القديم القائم بين قطبَيّ الشرق (الإتّحاد السوفياتّي) والغرب (الولايات المتّحدة الأمريكية) برز نظام جديد أساسه القطب الواحد ، وهدفه الهيمنة الاقتصادية والعسكرية والثقافية. وهكذا بدأت العولمة ترسي قواعدها ، فأصبحت الثقافة لا ترى إلاّ من منظورها من حيث انتشار ثقافة الصورة ، وإضعاف الثقافة المكتوبة ، " و اختراق ثقافات العالم إلى درجة أنّ بعض الدولّ كفرنسا و كندا ، عند توقيعها على اتّفاقيات الجات الأخيرة بما يسمّى ' الاستثناء الثقافي' ، طالبتْ بالحدّ من الزحف الثقافي الأمريكي . " و أصبح الأمل كبيرا في أن ينسحب مفهوم الاستثناء الثقافي على العالم كلّه لكي تظلّ الثقافة مستقلّة وحرّة دائما. وإذا كان هذا موقف أوروبا مِن أمريكا ، فما

بال المسلمين صامتين لا يحرّكون ساكنا ؟ إنّ العولمة بمقوّماتها هذه ، التي أهمّها إلغاء التعدّد والاختلاف ، تحمل في ذاتها بذور موتها ؛ يقول صامويل هنتنجتون " : SAMUEL P.HINTINGTONلم يغلب الغرب العالم بتفوّق في أفكاره أو قيَمِهِ أو دينه الذي لم تعتنقه إلاّ قِلّة من أبناء الحضارات الأخرى ، وإنّما غلب بتفوّقه في العنف المنظّم " إذن فالعولمة نمط جديد من الاستعمار يدعو إلى التبعية ، والعقم ، وقتل الإبداع ، ونبذ الحرية ، ومن هنا كان خوفها من الإسلام ، كونه قادرا على استيعاب المجتمعات بكلّ اختلافاتها . فالاختلاف في الإسلام كان دوما رحمة ، وكان آية من آيات الله في خلقه . أنظر إلى قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾، وإلى قوله تعالى ﴿ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾، ومن هنا كان الإسلام متجدّدا لا يموت ، مشجّعا على الخَلْق والإبداع بما يفيد البشر، فيحفظ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم ودينهم، وهي ذاتها المصالح المرسلة التي يسعى ديننا الحنيف إلى توطيدها، وإرساء قواعدها.

أمّا كيف استطاعت العولمة أن تفرض نفسها على العالم كلّه والإسلامي خاصّة ، فللأسباب التالية:

1- موالاة أشباه المسلمين للغرب في الوقت الذي يحثّنا فيه الإسلام على عدم اتّخاذهم مثلا وأولياء : ﴿لَا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً

وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ.﴾

2- تردّي الأخلاق ، وانعدام الإيمان: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾، و لذلك فَقَدَ المسلمون دعم الله عزّ وجلّ لهم بسبب ضياع أخلاقهم.

3- جبن و خنوع المجتمعات الإسلامية لدرجة تجرّؤ الغرب على مقدّساتهم من إساءة لسيّد الخلق صلّى الله عليه وسلّم، وللقرآن الكريم بإتلافه والاستهزاء به ككتاب مقدّس.

4- شعور المجتمعات العربية بالدونية مّما سهّل على الغرب مهمّة فرض نظامه.

5- عدم فَهْمِ جوهر الدين الإسلامي ، والمغالاة أو التفريط في جانبه . فالتطرّف والإرهاب لا يهدّد إلاّ المسلمين دون غيرهم ، إذ يغدو أشباه المسلمين أدوات قتل وفتك بمن يفترض فيهم أن يكونوا إخوة لهم في الدين والدم والوطن ، فالمسلم الحقيقيّ ، على حدّ قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، هو : (من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمن الناس شرّه) و في رواية : (من أمن الناس بوائقه).

6- ضغط الغرب على المجتمعات الإسلامية ، وضرب كلّ حركة مهمّتها الاصلاح وهي في المهد.

وإذا كان العلم من أهمّ دعائم القوّة العولمية فللإسلام النصيب كلّه منه ، فلم يترك مجالا إلاّ و تناوله ووضّحه ، وإنّما القصور فقط في عقولنا نحن لا ديننا كما يدّعي الغرب . ففي الطبّ ، وتحديدا علم الأجنّة ،

أنظر إلى قوله تعالى﴿ : خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾، وفي علم الفلك إلى قوله تعالى:﴿ أَو لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ومثله في التاريخ وسِيَرِ الأولين و في الأطعمة و الأشربة و غيرها من مجالات العلم الواسعة.

ومن هنا كان واجب الخطاب الصوفيّ أن يحمل على عاتقه لواء مواجهة الغرب ، وكسر عولمته المشبوهة ، واستبدالها بعولمة حقيقية أساسها ديننا الحنيف ، ذلك أنّ الإسلام يحمل في ذاته مقوّمات العالمية الحقّة ، فهو دين العالمين ، به أُرْسِل الرسول للناس قاطبة ، حاثّا على كلّ ما يمكن أن يوفّر الأمن و السلام للبشرية ، ولن يتأتّى هذا الأمر إلاّ إذا عملنا على تحسين أخلاقنا وتهذيبها ، وهي خطوة أولى نحو الانتصار على الذات وتمرّدها ، ومنه إلى تحقيق السيادة العالمية التي تجمع الناس على كلمة واحدة هي : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

و هذا يدفعنا إلى الاهتمام بالمؤسسات التي يصدر منها الخطاب الصوفي والقائمين عليه، مما يجعلنا نستخلص مجموعة من التوصيات نجملها فيما يلي:

– تثمين الدور الذي قامت به الزوايا والطرق الصوفية في الحفاظ على ثوابت الأمة والمرجعية الدينية، والدفاع عن كيان الدولة ومؤسساتها

– ضرورة الحوار والتكامل ما بين الزوايا والطرق الصوفية والتفتح فيما بينها مع مختلف مكونات المجتمع

– إيجاد فضاء يعمل على تثمين ودعم القواسم المشتركة لتحقيق الأهداف والغايات، والمقاصد المنشودة

–استثمار الخطاب الصوفي في ترقية وترسيخ قيم المواطنة والمحافظة على هوية الأمة.

–الحرص على استغلال الوسائل الحديثة في التواصل الإيجابي الحامل للفكر الصوفي السامي.

–إدراج موضوع التصوف، ومشايخه في المنظومة التعليمية.

–الدعوة إلى مزيد من الاجتهاد في بلورة فقه التعايش والتنسيق مع المجامع الفقهية والعلمية في هذا المجال.

–استلهام قيم الحوار والتفاهم في تحقيق المواطنة للمسلمين في بلدانهم وفي الغربي وذلك ردا على خطاب "الإسلام فوبيا

–تثمين دور الإعلام في نشر ثقافة الحوار والتسامح، ونبذ خطاب السودوي والكراهية.

-تعزيز شبكة التواصل داخليا وخارجيا إلى أوسع درجات التأثير واعتماد عمل المجموعات والحوار الهادف البناء، وذلك وفق منهج الحواري السليم قصد ربح معركة شبكات التواصل الاجتماعي .

التهميش :

1-إبن منظور، لسان العرب، مادة (صوف)، 7/ 479

2- [1]ينظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط مادة (ص و ف)، 3/ 186

3-الوصفي، أبو عبد الرحمن علي: موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص

4-لفاسي، أحمد الزروق: قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005م، ص 04.

5-لكتاني، نور الهدى: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2008م

6-شرف، محمد جلال: دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م ، ص 244

7-إبن خلدون، عبد الرحمن: شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعصر، ط1 ، بيروت، 1996م ، ص 45.

8-غزال، الأخضر أحمد: المنهجية العامة للتعريب المواكب، ص 39.

9- [1]نفسه، ص 19، 26- 38.1

10-غزال: المنهجية العامة للتعريب المواكب، ص 25، 26.

11-ينظر عزام محمد: النص الغائب -تجليات التناص في الشعر العربي- منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م، ص 49.

12-إبن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جلال الدين: لسان العرب تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوثيقية، القاهرة، مادة(خطب)، 4/ 154، 155.

13-ينظر العبد محمد: النص و الخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، القاهرة، 2005م ، ص 07.

14-بن منظور: لسان العرب، مادة (نصص)، 14/ 177.

15- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر: اعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت لبنان، 1991م ، 2/ 418.

16- سنن ابن ماجه، رقم: 4102، 719.

17-أبو الحسن مسلم ابن الحجاج ابن مسلم: صحيح مسلم، دار الغد الجديد، ط1، القاهرة، 2007م، رقم : 2720، ص 965.

18-السيوطي جلال الدين: تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1988م، ص 232.

19-ينظر الجامي: نفحات الانس، ص 72، 73، وينظر أيضا الحنفي عبد المنعم: الموسوعة الصوفية، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1412هـ، ص 165

20-صحيح بخاري، رقم الحديث 67.

21-. السيوطي، الجامع الكبير، المجلد رقم 1، الصفحة 715

قائمة المراجع :

1-إبن منظور، لسان العرب، مادة (صوف)، 7/ 479

2-الفيروز أبادي: القاموس المحيط مادة (ص و ف)، 3/ 186

3-الوصفي، أبو عبد الرحمن علي: موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001.

4-عفيفي، أبو العلا: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

5-الفاسي، أحمد الزروق: قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005م.

6-الكتاني، نور الهدى: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2008م .

7-شرف، محمد جلال: دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م

8-الشافعي، حسن: التصوف الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 2007م .

9-إبن خلدون، عبد الرحمن: شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعصر، ط1 ، بيروت، 1996م .

10-غزال، الأخضر أحمد: المنهجية العامة للتعريب المواكب.

11-عزام محمد: النص الغائب -تجليات التناص في الشعر العربي- منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م.

12-العبد محمد: النص و الخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، القاهرة، 2005م .

13-أبو الحسن مسلم ابن الحجاج ابن مسلم: صحيح مسلم، دار الغد الجديد، ط1، القاهرة، 2007م.

14- السيوطي جلال الدين: تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1988م.

15-الحنفي عبد المنعم: الموسوعة الصوفية، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1412هـ.

تولي المرأة رئاسة الجمهورية في ضوء الفقه الإسلامي و المؤسسات الدستورية المعاصرة

عبد الرحمان بوقرنوس

ملخص الدراسة :

حفل التراث الفقهي والفكري بتناول مسألة تولي المرأة لرئاسة الدولة ، فبرزت فكرة تحريم و منع الأمر بشكل كاد أن يكون أمرا غير قابل للنقاش ، فجاءت الدراسة لبيان أن لا يمكن الأخذ بهاته الفكرة بهذا الإطلاق ، و ذلك بناء على أمرين:

- عدم وجود دليل جازم صحيح صريح في منع الأمر ، فكل الأدلة قابلة للنقاش.
- طبيعة الرئاسة في العصر الحديث والتي تتبني على نظام المؤسسة مما يسهل عملية تولي المرأة لمهمة رئاسة الدولة.

البحث ليس ترجيحاً بين مسائل فقهية، و لا فتوى في موضوع متجدد في كل عصر، و إنما هو دعوة لتوسيع المدارك و إعادة التفكير فيما أعتبر غير قابل للنقاش، وذلك رفضاً لفكرة محاولة فرض رأي بدعوى الإجماع ، كما أنه محاولة جدية للمساهمة في بيان بعض جوانب مرونة التشريع الإسلامي بما لا يصادم الأصول ويحقق المقاصد الشرعية المعتبرة.

Study Summary:

The ceremony of doctrinal and intellectual heritage to address the subject of women assuming the presidency of the state, the idea of prohibition on the subject was almost unambiguous.

The study came to show that the idea should not be taken for granted, based on two things: **- There is no clear and valid evidence on the prohibition, and all evidences are subject to discussion.**

- The nature of the presidency in the modern era, which is based on the "institution system", which facilitates the process of women assuming the presidency of the state.

The research is not likely between doctrinal subjects, neither a fatwa on a renewed topic in every era. It is an invitation to broaden the perception and to rethink what was considered undebatable, and to reject the idea of trying to impose an opinion on the grounds of unanimity. Also, it's a serious attempt to contribute in showing different sides of the flexibility of Islamic legislation without colliding with the fundamentals and to achieve the considered legitimate intentions.

مقدمة:

شكلت علاقة المرأة بأمور الحكم والسلطة مجال جدال و نقاش عبر المسار التاريخي لتطور الانسانية، ولم يكن هذا قاصراً على الفقه الإسلامي كما يتم التسويق له، بل شكل نقطة مشتركة بين غالب التشريعات. فمثلاً نجد أن المرأة كانت ممنوعة من الانتخابات و المجالس النيابية في مصر حتى 1956م و لم يتحصل لها هذا الحق كاملاً إلا في دستور 1971م[1] ، وفي تونس لم يسمح لها بذلك إلا بعد 1957م[2] ، و في السعودية لم يطرح أصلاً هذا الموضوع إلا بعد 2004م أين تم تعيين ثلاث نساء في مجلس الشورى[3] .

كما نجد أن شرط الذكورة في تولي المرأة للرئاسة مذكور في كل من الدستور المصري و اليمني و الكويتي بشكل صريح، على أنه في الدستور اليمني قد ذكر ضمنا من خلال الاستنباط من منطوق الفقرة (هـ) من المادة 107 التي تشترط في من يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية (أن لا يكون متزوجا من أجنبية)[4] .

على أن الموضوع أخذ طابعاً أكثر اتساعاً و تفصيلاً في الفقه الإسلامي الدستوري، خصوصا في مسألة الإمامة العظمى أو خلافة المسلمين ورئاسة الدولة؛ فبرز بشكل كبير – ممارسةً و طرحاً – الرأي القائل بحرمة تولي المرأة لهذا المنصب بناء على نصوص شرعية صحيحة يستدل بها أصحاب هذا الرأي، وبناء على تصور عام لدور المرأة في المجتمع و مدى انسجام هذا الدور مع طبيعة المهمة و جسامة المسؤوليات التي يفرضها تولي إمامة المسلمين.

وجدير بالذكر أن إثارة هذا النقاش في الفقه الإسلامي لا علاقة له بموقف الإسلام من إنسانية المرأة و كرامتها أو أهليتها، و إنما هو وثيق الصلة بمصلحة الأمة، و بحالة المرأة النفسية و رسالتها الاجتماعية[5] .

فعلى الصعيد النظري والفكري نال هذا الجانب من علاقة المرأة بالحكم في الفقه الإسلامي اهتماماً كبيراً حتى اكتسى منع المرأة من تولي رئاسة الدولة حكم المسلّمة، و أصبح الأمر شبه مفصول فيه، حتى و إن تعالت بعض الأصوات المنادية بتسويغ الأمر وأقلمته مع الواقع المعاصر.

هذا ما جعل الفكر الإسلامي يصطدم غالباً بواقع شبه مفروض يجعل للمرأة الحق في تولي أصغر المناصب وصولاً إلى أعلى رتبة في

الدولة، ويثير شبهات حول ظلم المرأة، خصوصاً في ضوء نجاح تجارب نسوية غربية كانت المرأة فيها هي الحاكمة والموجهة والرئيس. ولهذا جاء هذا المقال في محاولة لرفع هذا اللبس من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم الإمامة العظمى و ما علاقتها برئاسة الدولة ؟
- هل منع المرأة من تولي رئاسة الدولة ثابت لا يتغير ؟
- هل يمكن الجمع بين الشكل المعاصر للدولة و بين مقتضيات السماح للمرأة بتولي الحكم ؟

مع التعريج على بعض التفاصيل المتعلقة بالموضوع، والإشارة إلى بعض التناولات القانونية المقارنة للموضوع، وذلك عبر العناصر التالية :

- المطلب الأول: تحرير المقصود .
- المطلب الثاني: طبية الرئاسة في الفقه الإسلامي.
- المطلب الثالث: أساس الخلاف و دلالة النصوص.
- المطلب الرابع: الرئاسة في القوانين الدستورية المعاصرة.
- المطلب الخامس: رئاسة المرأة في ضوء المؤسسات المعاصرة.
- الخاتمة.

المطلب الأول: تحرير المقصود:

حتى لا يتشعب بنا الموضوع فإن القصد تناول نقطة واحدة فقط وهي حكم تولي المرأة الإمامة العظمى أو رئاسة الدولة بالمصطلح الحديث، انطلاقا من الفقه الإسلامي وتنزيلا على الواقع العالمي المعاصر.

و حتى نتمكن من معالجة الموضوع لابد من الوقوف عند بعض التعريفات و بعض التفريعات المنهجية:

✓ **تعريف الإمامة العظمى (رئاسة الدولة):**

أطلق على رئيس الدولة الإسلامية ثلاثة ألقاب: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين؛ ومعنى الإمامة اصطلاحا: " هي رئاسة البلد، لأنهم فرقوا بين الإمامة المطلقة وهي العظمى، و بين الإمامة الصغرى وهي إمامة الصلاة، ومن ثم فإنهم إذا أطلقوا اسم الإمامة أرادوا بها الإمامة العظمى (الرئاسة العليا للبلد) و إذا أرادوا غيرها قيدوها كإمامة الصلاة أو إمام الحديث أو إمام أهل السنة و نحو ذلك ... "[6] .

و قد عرف الإمام الطحاوي الإمامة بأنها : " رئاسة عامة لحفظ مصالح الناس ديناً و دنيا و زجرهم عما يضرهم "[7] .

و هذا التعريف يضعنا عند حقيقة الإمامة عند فقهاء الإسلام ، فهي مسؤولية شاملة بصلاحيات مطلقة تتناول ما يتعلق بحياة الناس الدينية و الدنيوية ، و ما يختص بما ينفعهم و ما يضرهم في أي شأن من شؤونهم . وهذا ما يؤكده الجويني عندما عرفها بأنها : "رئاسة عامة و زعامة عامة تتعلق بالخاصة و العامة في مهمات الدين والدنيا "[8] ، ويلخصها الحصكفي بقوله: " استحقاقُ تصرفٍ عامٍ على الأنام "[9] ؛ ويعطيها ابن خلدون صفة مقدسة بقوله: " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا "[10]. وربطها الماوردي بالنبوة فقال: " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا "[11] .

جملة حقائق من التعريفات :

– الإمامة في تاريخنا الفقهي وفي مسار الأمة السياسي عبارة عن خلافة و نيابة عن النبي صلى الله عليه و سلم، و لهذا سمي الإمام خليفة وأمير المؤمنين؛ و قد اقترن هذا المنصب بمبدأ البيعة الذي يربط طاعة و لي الأمر بطاعة الله تعالى، وهذا ما تميز به، فهو أمر تعبدي أساساً محركه التزام الجماعة و منع التمرد و الانشقاق و الفوضى .

– للإمام صلاحيات شاملة تبدأ بخطبة الجمعة و لا تنتهي عند تسيير الجيوش وعقد المعاهدات والقيام بواجب الحسبة (الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر)، وضبط الأسواق، و نصرة المظلوم، والحفاظ على الحدود الترابية والشرعية، و إلزام الناس بالشرع، سواء تعلق ذلك بالجماعة أو بالفرد ، أو تعلق بالكيان المسلم أو غير المسلم .

– الإمامة نيابة في حراسة الدين لا في التشريع[12] ، فليس للإمام الحق في التشريع لأنه مكلف بحماية الشرع أصلاً المنزل من عند الله تعالى ، و هذا لا يعني إمكانية اجتهاده في الحوادث ، فله حق الاجتهاد إن بلغ درجته ، كما له الاستعانة بأهل الحل و العقد لوضع حلول لما يعترضه من اشكالات أو محدثات .

– الأصل في الإمامة أنها خلافة و نيابة و ليست حقا مكتسباً ولا وراثة و لا ملكاً ، يتولاها من توفرت فيه الشروط الكافية للقيام بمسؤولياتها .

– الإمامة ولاية عامة تنسحب على جميع من يعيش تحت راية الدولة سواءً كانوا مسلمين أم غيرهم، و سواء استقروا مؤقتاً أم بشكل دائم، وعليه أدرج الفقهاء مسؤولية أهل الذمة (هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم بدار الإسلام)[13] ، و المستأمنين (المستأمن هو الطالب للأمان، وهذا الأمان الذي يعطى للمستأمن أمان مؤقت يلزم

تحديده بمدة زمنية معينة ، وينعقد الأمان بحق المستأمن بكل لفظ يفيد ذلك المعنى سواء كان صريحًا أو كتابة ، كما ينعقد بالكتابة و الرسالة و الإشارة و نحو ذلك)[14] تحت طائلة مسؤولية الإمام .

– الملاحظ أن الإمامة الكبرى نموذج موسع للشكل المعاصر لرئاسة الدولة ، و ذلك أن نظام الخلافة يقوم على استيعاب عدة أقاليم (دول) تحت راية واحدة و إمام واحد ، ينتظمها حكم إداري يقوم على الاستعانة بولاة أو حكام يخضعون للسلطة العامة للدولة الكبرى ، و يحتكمون لنفس الأنظمة و القوانين و الأحكام التي يضعها الخليفة ؛ فيحكم الحاكم في إقليم ما باسم الإمام الأعظم و ينفذ مشيئته و يجري أوامره ، مما يعطي لمجموعة الأقاليم صفة الكتلة الواحدة و الجسم الواحد و الدتلة الواحدة الكبرى .

المطلب الثاني : طبيعة الرئاسة في الفقه الإسلامي :

تظهر من خلال تناولات الفقه الاسلامي أربع صور للولاية يمكن أن يتجسد من خلالها وجود السلطة في الدولة الاسلامية، نتناولها باختصار مبينين إمكانية تولي المرأة لها في الفقه الإسلامي وهي:

- الولاية العظمى و الولاية الصغرى (الإمارة).
- الوزارة.
- النيابة التشريعية.
- القضاء.

1– فالولاية العظمى أو ما يسمى ولاية الخلافة أو الامارة العامة ، و هي التي تمنح للخليفة كما سبق الإشارة إليه في التعريفات السابقة ، و هي ولاية شاملة و تصرف عام في أمور الدين و الدنيا على كل من

كان في تراب الدولة المسلمة وصولاً إلى ضبط العلاقات مع غيرها من الدول .

وحتى يكون هناك تمكن من تسيير شؤون الدولة على شساعتها تم استحداث أمراء الأقاليم ، و سلطتهم لا تخرج عن سلطة الإمام أو الخليفة مع منح بعض صلاحيات الاجتهاد بما يتناسب مع واقع الاقليم ، بشرط عدم تجاوز الإمام الأعظم و عدم مخالفة الشرع و ما تم اصداره من تعليمات مركزياً .

وعليه و بناء على الصلاحيات الكبرى للإمام في هذين الجانبين(الإمامة الكبرى و ولاية الأقاليم)، و بناء على الدور الذي يلعبه الإمام إذ يمثل حجر الرحى من خلال الصلاحيات الشاملة و التي تفرض وجوده الشخصي و الدائم ، فقد اشترط الفقهاء شرط الذكورة في من يتولى هذا المنصب ، ورد في حاشية ابن عابدين : " انتفت كلمة الفقهاء على اشتراط الذكورة في الإمام الأعظم أو الخليفة أو الرئيس الأعلى للدولة ، و لم يجز أحد من العلماء القدامى كونه امرأة "[15] ، و جزم ابن حزم فقال : " و جميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز إمامة المرأة "[16] ، و هذا تعميم غريب منه رضي الله عنه .

وعلل صاحب نهاية المحتاج الأمر بأنه يجب على الإمام أن يكون كامل العقل و الدين ، و المرأة ناقصة عقل و دين[17] ، فالمرأة بعاطفتها الغالبة و حنانها الشامل ، و كذلك لتعرضها لما تتعرض له النساء من أعذار مانعة من أداء العبادات ، كل ذلك قد يؤثر في مسؤوليتها إن تولت رئاسة الدولة بكل تلك الصلاحيات ؛ فطبيعة المنصب و ما يقتضيه من أعمال لا تتفق و طبيعة المرأة في الإسلام[18] .

2- أما الوزارة فقد عرفها أبوبكر بن العربي بقوله : " الوزارة ولاية و هي عبارة عن رجل موثوق به في دينه يشاوره الخليفة فيما يعن له من الأمور "[19] ، فالوزارة ولاية شرعية من شروطها الرجولة و الأمانة في الدين، ووظيفتها تقديم الشورى للإمام[20] ، و قد قسمها الفقهاء إلى قسمين :

_ وزارة تفويض: و هي أن يعهد الخليفة لرجل ممن عرف بالكفاءة و الجدارة و الدراية بالنظر في شؤون دولته نيابة عنه[21] ، فمهمته تصريف شؤون الدولة و القيام بنفس أدوار الإمام من خلال التفويض العام أو الخاص ، دون الرجوع للإمام و في إطار سلطته ، و لهذا شرط لها الفقهاء أيضا شرط الذكورة بالإضافة إلى الشروط الأخرى .

_ وزارة التنفيذ : وهي أن تكون مهمة الوزير تنفيذ أوامر الخليفة و عدم التصرف في شؤون الدولة من تلقاء نفسه ، بل يعرض أمور الدولة على الخليفة و يتلقى أوامره منه[22] ، فصلاحية الوزارة هنا مقيدة بتنفيذ تعليمات الخليفة دون أي اجتهاد ، و لهذا لم يشترط الجمهور إلا شروط الذكاء و الفطنة و التجربة و الأمانة و العلم ، فيصح توليتها للمرأة إلا عند الماوردي الذي شرط الذكورة فيه [23].

و مجرد تأمل بسيط في هذا الجانب يضعنا أمام حقيقة أن هناك تشدد لا فائدة منه خصوصاً في وزارة التفويض ، فللمرأة قدرات و مؤهلات ذهنية قد تفوق الرجل في تولي بعض الوزارات خصوصاً ما كان قريباً من مجالها و تخصصها ، فكما لم يستوعب بعض الفقهاء تولي المرأة لوزارة التفويض ، فلا يمكننا أيضا استيعاب أن يتولى رجل وزارة متعلقة بشؤون المرأة و مجال تحركها .

فكان يمكن لهذا الرأي أن يكون وجيها إن ربط الذكورة في وزارة التفويض ببعض الاختصاصات مثل وزارة الدفاع و الداخلية و الخارجية ... ؛ و عليه أجاز بعض المعاصرين أن تتولى المرأة الوزارة على أساس أن الوزارة لا تبلغ مبلغ الإمامة العظمى[24].

3- النيابة التشريعية : أو السلطة التشريعية و هي التي تناولها الفقهاء عند الحديث عن أهل الفتيا و الاجتهاد ، و تقوم على وظيفتين : التشريع و المراقبة ، و لا يوجد في الإسلام ما يمنع المرأة من أن تكون مشرعة (مفتية ، مجتهدة) ، لأن التشريع يحتاج قبل كل شيء إلى العلم مع معرفة حاجات المجتمع و ضروراته التي لابد منها ، و حق العلم مكفول للرجل و المرأة على حد سواء[25] .

كذلك مراقبة السلطة التنفيذية فإنها وظيفة لا تخلو من أن تكون أمرا بالمعروف و نهياً عن المنكر ، و الرجل و المرأة في ذلك على جانب واحد من المساواة[26] .

وعليه فليس في نصوص الإسلام الصريحة ما يسلب المرأة أهليتها للعمل النيابي كتشريع و مراقبة ، و لم يخالف في ذلك إلا قلة من العلماء (لجنة الفتوى بالأزهر الشريف : فتوى يوليو 1952م) ، حيث اعتبروا العمل التشريعي من الولاية العامة التي يشترط فيها الذكورة[27] .

4- يمثل القضاء المجال الرابع الذي قد تتمثل فيه السلطة و التي وقع فيها الخلاف بين العلماء في جواز تولي المرأة له ؛ فقد اشترط الجمهور الذكورة في تولي القضاء و هو مذهب الحنابلة و المالكية (ماعــدا ابن القاسم) و الشافعية وزفر من الحنفية (على عكس ما ذهب إليه الأحناف)[28] .

بينما ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنها يصح أن تكون المرأة قاضية في كل شيء تقبل فيه شهادتها ، حيث تصح عند الإمام شهادة النساء في كل شيء إلا في الحدود و الجراح ، فهي تقضي في كل شيء سوى مسائل الحدود و القصاص[29] ، و هو نفس ماذهب إليه الإمام الطبري رحمه الله[30] .

ومن جهــة بعض القوانين الوطنية العربية فقد كانت المرأة ممنوعة من القضاء في مصر إلى غاية الثمانينات ، و منعت في اليمن إلى غاية 1991م ، و في ليبيا إلى غاية 1989م ، بينما لا يوجد نص صريح في نظام القضاء السعودي على المنع و لكن التزام المملكة بالمذهب الحنبلي يفسر القانون بالمنع[31] .

و يبدو أن الممارسة الواقعية اليوم تقول أن تولي المرأة القضاء أصبح أمراً واقعاً ، و إن كانت النفس تميل إلى اعتماد مذهب الإمام أبي حنيفة في تقييده بما يصح فيه شهادة المرأة .

و من خلال التناول المختصر للنقاط السابقة يمكن استخلاص ما يلي :

- لا اشكال في تولي المرأة الوزارة سيما إن كان ذلك في حدود اخصاصها و كانت تمتلك من المؤهلات و الخبرات ما يجعلها قادرة على تسييرها .
- لا يطرح أي اشكال في تولي المرأة مسؤولية التشريع و المراقبة ضمن الولاية النيابية إذا توفرت فيها الشروط .
- يمكن للمرأة أن تتولى القضاء فيما تصح فيها شهادتها ، أي جميع المجالات باستثناء مجال الحدود و القصاص (القانون الجنائي).

- يبقى المشكل في توليها الإمامة الكبرى أو رئاسة الدولة ، و هذا لب هذا البحث و الذي سيتم معالجته فيما يلي بناء على تناولات الفقه الإسلامي و مقتضيات عمل المؤسسات الدستورية المعاصرة .

و قبل الخوض في ذلك لابد من بيان طبيعة الرئاسة في الفقه الإسلامي ، و يظهر ذلك من خلال النقاط الآتية :

- ✓ تميز الرئاسة في تراثنا الفقهي و في إطار السياسة الشرعية بأنها شمولية ، و أن الرئيس أو الإمام فيها له كامل الصلاحيات . فالإمام أو الرئيس هو صاحب الأمر و النهي و صلاحياته تتجاوز حدود أمور الدنيا لتشمل حماية الدين ، و الحكومة أو الوزراء لهم طابع تنفيذ تعليماته بما لا يخالف الشرع .
- ✓ قد يتولى الخليفة مباشرة بعض الأعمال بنفسه كقيادة الجيوش و إدارة المعارك و مفاوضة الأعداء و الحلفاء .
- ✓ تشمل الرئاسة أو الخلافة في المنظور الإسلامي إدارة عدة أقاليم في وقت واحد، قد يصل الإقليم إلى مستوى عدة دول مجتمعة ، مع ما يتضمنه ذلك من اختلاف الأعراف والتقاليد و طباع البشر و تنوع الاحتياجات والمخاطر والمتطلبات تبعاً لاختلاف الأقاليم.
- ✓ الخليفة أو الرئيس برغم ماله من صلاحيات مطلقة إلا أنه منضبط بضوابط الشرع و بما من شأنه حفظ حقوق العباد و البلاد و مراعاة ما يحتاجه الشعب ، فهو بقدر ما له من مكانة دينية و دنيوية بقدر ما يعتبر خادماً عند من بايعه يراعي مصالحه و يخدم ما ييسر حياته .

- ✓ الوجود الدائم للخليفة أو الرئيس من خلال صلاحياته ضروري لضمان سيرورة الدولة ، و لا يقبل غيابه خصوصاً في القضايا الكبرى أو فيما لا يقبل التفويض .
- ✓ يمثل الرئيس أو الخليفة في شخصه مؤسسة متكاملة ، فهو الموجه و المراقب و المشرع و الآمر بالصرف و المحاسب و قائد الجند و وزير الاقتصاد و إمام الجمعة و ولي من لا ولي له ... ، إلى غيره من الصور التي يظهر عليها بناء على الأدوار و المهام المنوطة به .

إذاً فشكل الدولة المسلمة و طبيعة صلاحيات الخليفة لا يكاد يوجد لها مقابل في النظم الدستورية المعاصرة إلا من خلال شكل صغير يظهر في النظام الرئاسي و النظام الملكي الدستوري، وكما هو ملاحظ أن طبيعة الرئاسة متعلقة أساساً بطبيعة المهام الموكلة إليها، وبطبيعة الأدوار و الصلاحيات المنوطة بالحاكم خدمة للأمة .

وبناء على ذلك أصر الفقهاء على شرط الذكورة في من يتولى هذا المنصب، و هنا يمكن أن نطرح افتراض إن كان بالإمكان التنازل عن هذا الشرط إذا تم ضمان تحقيق تلك الأدوار و الحفاظ على كيان الأمة و مصلحة الشعب، و ذلك عن طريق فكرة العمل المؤسساتي الذي يجعل المؤسسة هي الحاكمة مهما كان الشخص المسير .

سنقف عند هذا الافتراض بعد وقوفنا عند أساس الخلاف و دلالة النصوص منعاً للوقوع في مخالفة شرعية .

المطلب الثالث : أساس الخلاف و دلالة النصوص:

المنطلق الأساسي لمن جعل الذكورة شرطاً أساسياً للحاكم هو الأدلة من الآيات والأحاديث، التي جعلها السادة الفقهاء معتمداً لهم قبل فكرة أدوار الخليفة؛ ولهذا وجب الوقوف عند أهم هاته الأدلة ومدى صحتها و دلالتها وصراحتها في إيجاب الذكورة كشرط .

الدليل الأول: قال تعالى: " **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم** " النساء 34 ؛ فالرجال قوامون على النساء أي القائمون بانتظام أمورهن و كفالة نفقتهن، و مسؤولون عن الذب عنهن و حفاظهن وأمرهم نافذ عليهن ، فهم الحكام و الأمراء، و عليهن طاعتهم فيما يأمرون به و ينهون عنه مالم يكن في معصية الله[32] .

والمتأمل يجد أن هذا الإستدلال عام ، ولا توجد فيه أي دلالة على أن الرجال فقط هم الحكام، و لا تدل على منع النساء من تولي أي منصب ، كل ما في معنى (قوّام) أي القائم بالكفالة والإنفاق و لا دلالة فيه على معنى الحاكم أو الأمير. والآية كما هو واضح من خلال سياق الآيات جاءت في بيان أحكام الحياة الزوجية[33] ، و قوامة الرجل تختص برعاية الأسرة و الحفاظ على المرأة ؛ و سبب نزول الآية يوضح ذلك ، فقد نزلت في امرأة من الأنصار لطمها زوجها فشكت أمرها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأراد الرسول صلى الله عليه و سلم أن يقتص لها منه فنزلت الآية[34].

الدليل الثاني: وهو أقوى دليل: عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه و سلم أيام الجمل ، بعدما كدت ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم ، قال : لما بلغ رسول

الله صلى الله عليه و سلم أن أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت كسرى قال : (**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**)[35]، وفي رواية بلفظ :(**لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة**)[36]، وفي رواية :(**لن يفلح قوموا ملّكوا أمرهم امــرأة**)[37]، و في لفظ آخر: (**لن يفلح قوم تملكهم امرأة**)[38] .

وفي لفظ عند الإمام أحمد: (**لا يفلح قوم تملكهم امرأة**)[39]. و في رواية عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليهو سلم: **(لن يفلح قوم يملك رأيهم امرأة**)[40] .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم أتاه بشير يبشره بظفر خيل له ، و رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها ، فقام فخر ساجداً ، فلما انصرف أنشأ يسأل الرسولَ ، فحدثه فكان فيما حدثه من أمر العدو: (و كانت تليهم إمرأة) فقال النبي صلى الله عليه و سلم (**هلكت الرجال حين أطاعت النساء**)[41] .

هذا الحديث وبمختلف رواياته وألفاظه تلقاه المحدثون والفقهاء و المهتمون بالشأن الدستوري الإسلامي، واستدل به الجمهور على عدم جواز تولية المرأة على الرجال في أي منصب، فعدم فلاح من يولي امرأةً اخبار منه صلى الله عليه وسلم، وعدم الفلاح ضرر و الضرر مرفوع .

و لكن البحث العميق يثبت أن الحديث المستدل به طعن فيه كثير من العلماء، بل قال الإمام السيوطي أنه موضوع لأن جميع رواته ضعفاء، و قد ورد عليهم الجرح فلا يحتج بهم، و ليس في السند راو واحد من أهل الحجاز بل كلهم بصريون، و قد قال الإمام الشافعي:(إذا لم يوجد للحديث من الحجاز أصل ذهب نخاعه)[42]؛ ورغم أنه ورد في صحيح البخاري إلا أنه من مرفوعاته .

ورد على هذا الاعتراض بأنه لو كانت غالب روايات الحديث ضعيفة، فتكفي رواية الإمام البخاري دليلاً على صحته، فصحيح البخاري بإجماع العلماء على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

و على فرض صحة الحديث (وهو أمر أعتقد أنه ثابت) فهل الحديث يفهم على العموم أم أنه إخبار عن واقعة معينة، وهي أن الفرس انهزموا لما وليتهم إمرأة ؟، كما أن بعض العلماء طرح فكرة أن الحديث سياسي وضع تحت ظروف سياسية خاصة أيام الفتنة ، فقد وضعه بعض أصحاب علي رضي الله عنه لتضعيف موقف عائشة رضي الله عنها في موقعة الجمل ، فقد ذكر صاحب فتح الباري: (ونقل بن بطال عن المهلب أن ظاهر حديث أبي بكرة يوهم توهين رأي عائشة فيما فعلت ، وليس كذلك لأن المعروف من مذهب أبي بكرة أنه كان على رأي عائشة في طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصدهم القتال)[43] ، و لهذا لم يظهر الحديث إلا بعد ربع قرن ، فظهر في أيام الجمل ، حتى لم يعرفه المشاركون في الجمل من أصحاب علي رضي الله عنه و لا من أصحاب عائشة رضي الله عنها مع كون الأمر المذكور في الحديث خطير جداً.

والنفس تميل إلى رفض هذا الإعتراض فمقام السيدة عائشة عند الصحابة مرفوع ثابت، ولا يقبل أن يقوم الصحابة بوضع أحاديث لنصرة موقفهم حاشاهم رضي الله عنهم، ولا يتصور أن يقبل الإمام علي رضي الله عنه وضع حديث مكذوب نصرة لموقف معين.

وعموماً فالحديث يدور بين اثباتات واعتراضات:

- هل هو حديث صحيح أم ضعيف ؟

- هل هو حديث إخباري عن واقع الفرس أم هو حديث لإنشاء حكم شرعي ؟
- هل هو حديث سياسي أم حديث ثابت عام ؟

وهنا نطرح سؤالاً، هذا حديث يتناول مسألة مهمة متعلقة بأمر الإمامة والأحكام الدستورية، فكيف يخضع لكل هذا النقاش وكل هاته الإعتراضات ؟ و القاعدة تقول : " إذا وقع الإحتمال سقط الإستدلال"، خصوصاً وأن مناسبة الحديث تشير إلى أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يتكلم عن واقعة بعينها مخبراً عنها ومعلقاً على هزيمة الفرس.

رأي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : (ونحب أن نلقى نظرة أعمق على الحديث الوارد، ولسنا من عُشَّاق جعل النساء رئيسات للدول أو رئيسات للحكومات؛ إننا نعشق شيئا واحداً، أن يرأس الدولة أو الحكومة أكفأ إنسان فى الأمة ؛ وقد تأملت في الحديث المروي فى الموضوع، مع أنه صحيح سنداً ومتناً ، ولكن ما معناه ؟ عندما كانت فارس تتهاوى تحت مطارق الفتح الإسلامى كانت تحكمها ملكية مستبدة مشئومة، الدين وثني ، والأسرة المالكة لا تعرف شورى ولا تحترم رأياً مخالفاً، والعلاقات بين أفرادها بالغة السوء، قد يقتل الرجل أباه وإخوته فى سبيل مآربه، والشعب خانع منقاد، و كان في الإمكان و قد انهزمت الجيوش الفارسية وأخذت مساحة الدولة تتقلص أن يتولى الأمر قائد عسكري يوقف سيل الهزائم، ولكن الوثنية السياسية جعلت الأمة والدولة ميراثاً لفتاة لا تدري شيئاً، فكان ذلك إيذاناً بأن الدولة كلها إلى ذهاب.

فى التعليق على هذا كله قال النبي الحكيم صلى الله عليه و سلم كلمته الصادقة، فكانت وصفاً للأوضاع كلها، ولو أن الأمر في فارس شورى،

وكانت المرأة الحاكمة تشبه(جولدا مائير اليهودية) التى حكمت إسرائيل، واستبقت دفة الشئون العسكرية في أيدي قادتها لكان هناك تعليق آخر على الأوضاع القائمة)[44] .

فهذا الحديث الصحيح – و هو أقوى أدلة المانعين – يمكن أن يعتريه الإحتمال في الإستدلال، خصوصاً في مسألة مهمة جداً كمسألة الإمامة العظمى ، فيحق لمن يرى جواز تولي المرأة للإمامة أن لا يأخذ به على ظاهره و يعتبره وصفا نبوياً صادقاً لواقع الفرس قد يتكرر عبر الأزمان إذا ولى القومُ أضعفهم أيام الأزمات.

الدليل الثالث: عن ابْنِ عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ صلى اللَّهُ عليه وسلم أَنه قال: (**أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَ الرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[45] .

فالحديث قد حدد طبيعة مهمة المرأة وهي بيتها وزوجها وأولادها، وبالتالي اشتغالها بأمر آخر قد يؤدي إلى اخلالها بوظيفتها الأصلية.

ولاشك أن الإستدلال بهذا الحديث أيضاً هو استدلال عام يمكن أن يرد، إذ لم يرد في الحديث أي اشارة أو تلميح إلى منع المرأة من تولي الإمامة، كل ما في الأمر هو الإشارة إلى الوظائف الأصلية التي يجب مراعاتها دون نفي باقي المسؤوليات .

خلاصة: من خلال تناول هاته الأدلة (وحتى باقي الأدلة العامة الأخرى) يضعنا أمام حقيقة أنه لا يوجد أمر واضح صريح صحيح غير قابل

للنقاش في منع المرأة من تولي الإمامة العظمى، بناء على قاعدة: إذا وقع الإحتمال سقط الإستدلال، بغض النظر عن طبيعة الاحتمال إن كان قوياً أو ضعيفاً – ولا حجر على الاجتهاد–. فوجود الاحتمال في مثل هاته المسألة المهمة جداً والتي تقوم عليها مصالح الأمة ، يدفعنا إلى البحث في جوهر المسألة، ولهذا أعتقد أن المعتبر في الموضوع هو تحقيق مقاصد الإمامة وفق متطلبات الشريعة ومستلزمات الواقع بغض النظرية عن الإمام من هو. وهذا يدفعنا إلى تناول مسألة الرئاسة و طبيعتها في القوانين الدستورية المعاصرة و مدى قربها أو بعدها عن تحقيق مقاصد الإمامة الكبرى وفق النظرة الاسلامية، ومدى إمكانية تولية المرأة مع الحفاظ على تحقيق المطلوب.

المبحث الرابع: الرئاسة في القوانين الدستورية المعاصرة:

عرفت القوانين الدستورية المعاصرة أشكالاً متعددة للرئاسة و النظم السياسية، و كلها تمحورت حول آداء وظائف دستورية تضمن الإستقرار و تمكن من التنمية والسيرورة الحسنة للدولة و المجتمع ، فكانت الرئاسة بما تحمله من مهام تشكل مؤسسة متكاملة بصلاحيات واسعة أو ضيقة ، ويمكن تفصيل ذلك فيما يأتي :

أشكال الرئاسة في القوانين الدستورية المعاصرة : لابد بداية أن نعرّف مصطلح النظام السياسي، بإعتباره المصطلح الذي يطلق غالباً عند التكلم عن الرئاسة، من التعريفات الشائعة النظام السياسي هو:" مجموعة القواعد والمباديء التي تنظم فن قيادة مجتمع بشري من موقع السلطة و باستخدام وسائل السلطة العامة "[46] ، و عرفه الدكتور ثروت بدوي بأنه : " مجموعة القواعد و الأجهزة المترابطة فيما بينها، تبين نظام الحكم و

وسائل ممارسة السلطة و أهدافها ، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التي تسيطر على الجماعة و كيفية تفاعلها مع بعضها و الدور الذي تقوم به كل منها "[47] ، فالنظم السياسية أو الرئاسة تشكل جملة مهام يقوم بها أشخاص لتسيير واقع معين وفق مباديء و أسس دستورية.

و قد برز للوجود عدة أنواع للأنظمة السياسية نلخصها في:

✓النظام الرئاسي : النظام الرئاسي نظام سياسي يقوم على الفصل بين السلطات الثلاث و يمنح صلاحيات واسعة للرئيس، ويعتبر أحد الأنظمة السياسية الديمقراطية التمثيلية ، ويقوم على فصلٍ صارم بين السلطات التنفيذية (الرئيس) والتشريعية (البرلمان) والقضائية.

ويُركّز النظام الرئاسي السلطة التنفيذية في يدي الرئيس الذي يُنتخب عن طريق الاقتراع العام المباشر، ويُشكل حكومة لتنفيذ برنامجه السياسي تكون مسؤولة أمامه وليس أمام البرلمان كما هو الحال في النظام البرلماني. و بحكم الفصل الصارم بين السلطات فإن البرلمان ليست له صلاحية إسقاط الحكومة كما أنها في المقابل لا تملك صلاحية حله[48] .

✓النظام البرلماني : أحد أشكال النظام الديمقراطي التعددي ، يقوم على التداخل بين السلطتين التنفيذية (الحكومة) والتشريعية (البرلمان)، وتكون الحكومة فيه مسؤولة أمام البرلمان، و أعضاؤها ينتمون في أغلبهم إلى الحزب أو الائتلاف الحائز على الأغلبية البرلمانية، ولا يمكن للحكومة أن تمارس مهامها في النظام البرلماني إلا إذا حازت ثقة أغلبية أعضاء البرلمان، كما يستطيع النواب التحرك ضد الحكومة من خلال تقديم ملتمس لحجب الثقة عنها؛ ويمكن للحكومة في مقابل ذلك أن تبادر بحل البرلمان و الدعوة لانتخابات

مبكرة إذا فقدت دعم أغلبية تمكنها من تنفيذ سياساتها و تمرير القوانين و المراسيم اللازمة لذلك داخل البرلمان[49] .

- ✓النظام المختلط (شبه الرئاسي): النظام شبه الرئاسي أو المختلط فهو صيغة تجمع بين النظام الرئاس والبرلماني، إذ يُنتخب الرئيس بالاقتراع العام المباشر ويتمتع بقدر هام من الصلاحيات، وفي نفس الوقت تكون الحكومة منبثقة عن البرلمان ومسؤولة أمامه كما أنَّها مسؤولة أمام رئيس الدولة، ويتمتع رئيسها بصلاحيات واسعة[50] .
- ✓النظام الملكي: نظام الحكم الملكي هو أن يكون الملك على رأس الدولة، ويتميز بالفترات الطويلة و التي غالباً ما تمتد الى الوفاة ليتم توريث الحكم الى ولي العهد و الذي غالباً ما يكون ابن المالك المتوفى . ونظام الحكم الملكي هو أقدم الأنظمة الحاكمة في التاريخ ، ومن أهم ما يميز نظام الحكم الملكي وحدة الهدف والسيادة، وتحقيق النظام العام داخل المملكة ويصنف الحكم الملكي الى نظامين[51] :

1- نظام الحكم الملكي المطلق: يكون فية سلطة مطلقة للملك على كل رعايا المملكة ، بكل الأشكال الاجتماعية و السياسية و الدينية، ولا يوجد دستور أو قانون أو رادع للحد من سلطة الملك، رغم وجود بعض المؤسسات أو المجالس النيابية في بعض الممالك إلا أنها تكون صورية دون جدوى ولكن لإكمال الشكل فقط. ومن الممالك التي مازالت موجودة حالياً في عصرنا المملكة العربية السعودية، وعمان، وقطر، والإ مارات العربية المتحدة، ونيبال والفاتيكان ... ،

إلا أنها تجتمع على شيء واحد و هو أن الملكية ليست مطلقة بشكل كامل ، ويتداخل معها بعض المؤسسات والهيئات .

2-نظام الحكم الملكي الدستوري: نظام يحكم فيه الملك من خلال دستور يحدد سلطاته كملك، وهو عكس النظام الملكي المطلق، وهنا الدستور الموضوع هو ما يحكم سلطات الملك ونفوذه، وهو الذي يقر انتخاب أو توارث الملكية، مثلما هو معمول به في انجلترا على الرغم من عدم وجود دستور مكتوب ومطبوع يعمل به؛ وأغلب الملكيات الدستورية تتخذ شكل برلماني مثل المملكة المتحدة و كندا واليابان وأسبانيا ...، وهنا الملك هو رئيس الدولة ولكن رئيس الوزراء أو الحكومة هو الأقوى في اتخاذ القرارات لأنة يستمد قوته الفعلية من الانتخابات العامة .

- ✓ النظام الشمولي (الديكتاتوري): الدكتاتورية كلمة تطلق على من يصل إلى الحكم بطريقة غير شرعية، ولا يستمد سلطته من الإرادة الشعبية بل من نفسه وشخصه بالإعتماد على كفائته وقدرته ومواهبه الذاتية، أو من قدرت أنصاره وحزبه أو المذهب الذي يستند إليه؛ فالدكتاتوري يستند في حكمه إلى فكرة أساسية هي العمل لصالح الشعب أو الأمة أو البلاد، والإدعاء بالتعبير عن الإرادة العامة للشعب وتمثيله وقيادته لتحقيق مطامعه وغاياته، وقد يلجأ الدكتاتور إلى إجراء انتخابات صورية لتزكية سلطته ويستخدم كافة الوسائل الإعلامية والدعائية لإضفاء صورة الزعامة و القدرة النيرة للدكتاتور[52] .

من خلال هذا الاستعراض المختصر، فإنه يبرز النظام الرئاسي والنظام الملكي الدستوري كنظامين شبيهين بما يمكن أن يتجسد فيه النظام

الإسلامي، وتجسد ذلك بشكل بارز في فترة الخلافة الراشدة التي شكلت النموذج الموفق لتطبيق الحكم في التاريخ الإسلامي، وكذلك في تناولات الفقهاء لما يمكن أن تظهر عليه السلطة في الإسلام. ويبقى العامل المشترك في كل الأنظمة هو أنها جميعا مرتبطة بمهام و صلاحيات تحققها خدمة للصالح العام وتحقيقاً للإستقرار ، كما أنها في غالبها تقوم على نظام المؤسسة، فالرئيس فيها مهما كانت قوته أو سلطته هو جزء من سلسلة مترابطة تخدم المقاصد والأهداف التي جاءت من أجلها.

ولهذا توصف وظيفة الرئاسة غالباً بأنها (مؤسسة)، تتكاتف فيها أعمال و سياسات منوعة محققة كتلة واحدة تتجمع في يد الرئيس، فينفذ ما تحقق عنده بعد استشارات و توجيهات من فروع هاته المؤسسة، و لهذا غالباً – في الدول الغربية أساساً – لا تتغير السياسيات بتغير شخص الرئيس ، كما لا تتأثر الخطط و البرامج بأي وضعية شخصية للرئيس، فحتى غيابه لن يؤثر غالباً على السير الحسن واستقرار الدولة؛ فالمؤسسة هي الخلفية التي يلجأ إليها الحاكم و التي ينطلق منها.

وعليه لا يشكل جنس الرئيس أي عائق أمام أداء المهمة مادامت المؤسسة هي الموجهة، بما تضمه من خبراء ومستشارين ونواب و مفوضين بمهام معينة، وأهل التخصص، بل غالب ما يصدره الرؤساء هو نتيجة ما أفاده بها المستشارون المتخصصون في ذلك الشأن.

المطلب الخامس : رئاسة المرأة في ضوء المؤسسات المعاصرة:

خلصنا خلال المباحث السابقة إلى جملة معطيات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

– يقوم نظام الحكم في الإسلام على آداء وظائف تحفظ للدولة كينونتها، و للمجتمع استقراره، و للمواطنين حقوقهم .

– لا يوجد نص جازم (صريح صحيح) يمكن التعويل عليه لإطلاق حكم التحريم الجازم لتولي المرأة لرئاسة الجمهورية.

– كل الأدلة الواردة يمكن مناقشتها لما تحمله من عموم و لما يرد عليها من إمكانية التأويل .

– لم يثبت في تاريخ الإسلام السياسي أن تولت المرأة الحكم رغم عدم وجود نص قطعي في التحريم، وهذا راجع أساساً لطبيعة الدور الذي كان يلعبه الخليفة، حيث كان هو المتمكن من كل نواحي السلطة تشريعاً و تنفيذاً وتوجيهاً وقيادةً.

– آداء مهام الرئاسة منوط في أنظمة الحكم المعاصرة بمؤسسات تحيط شخص الرئيس منعاً للمجازفة في القرار أو الخطأ في إصدار الأوامر، و تشكل هاته المؤسسات خير معين للرئيس من ناحية استصدار القرارات وتنفيذها. وذكرنا أن المعتبر هو قيام الرئيس بأداء المهام الموكلة إليه شرعاً و قانوناً، وأن العائق الذي طرح أمام المرأة هو عدم قدرتها على الوفاء بل تلك المسؤوليات مع الحفاظ على دورها الأساس في الحياة .

وبناء على كل ذلك ، وانطلاقاً من الشكل المعاصر للرئاسة مع توفر كل الضمانات التي من شأنها السماح للمرأة بأداء واجبها الرئاسي والشخصي (مع صعوبة الأمر)، ومع إمكانية مناقشة أدلة المحرمين، وفي ظل ما وصلت إليه المرأة مع الوقت المعاصر، مع توفر الإمكانيات ووسائل التواصل والإتصال، وأخذاً بعين الإعتبار التوجهات العالمية الداعية لحقوق الإنسان و المرأة خصوصاً، فإنه يمكن القول بإمكانية تولي المرأة

لرئاسة الدولة وأنه لا يوجد أي مانع شرعي من ذلك، وذلك وفق المتطلبات والشروط الآتية:

– أن يكون ذلك في ظل الإلتزام بضوابط الشرع، و بما يحفظ للمرأة مكانتها و للدين حرمته .

– أن تحاط المرأة بمؤسسات دستورية تكون حصناً وداعماً لها.

– أن يكون المعتبر في تعيين الرئيس هو الكفاءة وليس الخضوع للضغوط الدولية.

الخاتمة:

للمرأة دور مهم في الحفاظ على كيان المجتمع و تربية الأجيال، فمسؤوليتها الأساسية هي تربية الجيل وتنشئته بما يضمن الشهود الحضاري للأمة ، و تكفي هاته المهمة لتكون شرفاً و عزاً لأي إمرأة، و هذا لا يمنع إن وجدت من تحققت فيها الكفاءة و القدرة أن تتولى أمر المسلمين بما يفيد الموالطنين خصوصاً و البشرية جمعاء. ولا يمكن إعتبار ما تناوله الفقهاء الأجلاء من تحريم تولي المرأة الحكم أمراً جازماً غير قابل للنقاش، وذلك لتغير الظروف، وظهور معطيات جديدة تجعل من الفتوى تتغير، خصوصاً مع إمكانية مناقشة كل الأدلة الواردة في المنع.

التوصيات:

–ضرورة مناقشة التراث الفقهي الثري بما لا يخالف القطعي من النصوص و مقاصد الشريعة و بما يحقق الصالح العام .

- وقوف التشريع الاسلامي اليوم في مقام المتهم بظلم المرأة يدفع إلى وجوب تجلية كثيرا من المسائل والتي من شأنه بيان مدى انصافها في التشريع الرباني.
- اختيار الأكفأ للحكم هو المطلوب والمقصود ، دون نظر إلى جنس أو اعتبار آخر من غير الكفاءة، وهذا من شأنه الخرزج بالأمة من حالة التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي ...
- التذرع ببعض التناولات الفقهية لتبرير بعض العادات والتقاليد، ليس حجة، وإنما المعتبر هو العلم النافع والتمحيص الدقيق.

هوامش البحث :

[1] رياض محسن الصيخان ، المرأة و الولاية العامة بين الفقه الإسلامي و القوانين العربية ، ص 304 .

[2] المرجع نفسه ص 311 .

[3] المرجع نفسه ص 314 .

[4] المرجع نفسه ص 137 .

[5] مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه و القانون ، ص 29 .

[6] علي بن منصور ، نظم الحكم و الإدارة في الشريعة الإسلامية و القوانين الوضعية ، ص 34 .

[7] الطحاوي ، حاشية الطحاوي على الدر المختار ، ج 01 / ص 238 .

[8] الجويني ، غياث الأمم في التياث الظلم ، ص 15 .

[9] الحصكفي ، الدر المختار شرح تنوير الأبصار و جامع البحار ، ج 01 / 05 .

[10] ابن خلدون ، المقدمة ، ص 191 .

[11] الماوردي ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، ص 05 .

[12] رياض محسن الصيخان ، المرأة و الولاية العامة بين الفقه الإسلامي و القوانين العربية ، ص 73 .

[13] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج4 ص115 .

[14] ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج 2 / ص 873 .

[15] ابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار (المعروف بحاشية ابن عابدين) ، ج 04 / ص 204 .

[16] ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ج 04 / ص 179 .

[17] شمس الدين الرملي ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، ج07 / ص 389 .

[18] أحمد عبد الله مفتاح ، نظام الحكم في الإسلام ، ص 76 .

[19] ابن العربي المالكي ، أحكام القرآن ، ج 04 / ص 60 .

[20] رياض محسن الصيخان ، المرأة و الولاية العامة بين الفقه الإسلامي و القوانين العربية ، ص 143 .

[21] محمد فاروق النبهان ، نظام الحكم في الإسلام ، ص 544 .

[22] سليمان الطماوي ، السلطات الثلاثة في الفكر السياسي الإسلامي و الأنظمة المعاصرة ، ص 417 .

[23] الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 37-38 .

[24] محمد الحجوي ، المرأة بين الشرع و القانون ، ص 34-35

[25] مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه و القانون ، ص 107 .

[26] المرجع نفسه ص 107 .

[27] رياض محسن الصيخان ، المرأة و الولاية العامة بين الفقه الإسلامي و القوانين العربية ، ص 291 .

[28] المرجع نفسه ص 202 .

[29] أحمد فتحي بهنسي ، الموسوعة الجنائية في الفقه الإسلامي ، ص 67 .

[30] المرجع نفسه ص 68 .

[31] رياض محسن الصيخان ، المرأة و الولاية العامة بين الفقه الإسلامي و القوانين العربية ، ص 242 .

[32] ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام ، ج 8/ ص 290 .

[33] محمد الغزالي ، السنة النبوية بين أهل الفقه و أهل الحديث ، ص 48 .

[34] ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام ، ج 8/ ص 291 .

[35] البخاري ، صحيح البخاري رقم الحديث 4425 .

[36] أبوداود ، سنن أبي داود ، رقم الحديث 878 .

[37] البيهقي ، السنن الكبرى ، ج10/ ص 118 .

[38] الحاكم ، المستدرك ، ج291/4 .

[39] أحمد ، المسند ، ج5 / ص 43 .

[40] الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج 5 / ص 212 .

[41] الحاكم ، المستدرك ، ج 4 / 291 .

[42] السيوطي ، تدريب الراوي ، ج 1 / ص 85 .

[43] ابن حجر ، فتح الباري ، ج 13 / ص 60 .

[44] محمد الغزالي ، السنة النبوية بين أهل الفقه و أهل الحديث ، ص 48 / 49 .

[45] البخاري ، صحيح البخاري ، حديث رقم 7138 . و مسلم ، صحيح مسلم ، حديث رقم 1829.

[46] محمد الشافعي أبو راس ، نظم الحكم المعاصرة – دراسة مقارنة في أصول النظم السياسية – ص09 .

[47] ثروت بدوي ، النظم السياسية ، ص 12 .

[48] حسان محمد شفيق ، الأنظمة السياسية و الدستورية المقارنة ، ص 37 و ما بعدها .

[49] المرجع نفسه ، ص 39 و ما بعدها .

[50] عادل ثابت ، النظم السياسية ، ص 121 .

[51] سعيد بو الشعير ، القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة ، النظرية العامة للدولة والدستور ، طرق ممارسة السلطة ، الجزء الأول ، ص 43 .

[52] أوصديق فوزي ، الوافي في شرح القانون الدستوري ، الجزء الأول ، نظرية الدولة ، ص 175.

قائمة المصادر و المراجع (بحسب الورود في المقال):

- رياض محسن الصيخان ، المرأة و الولاية العامة بين الفقه الإسلامي و القوانين العربية ، مدارك ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2011م .
- مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه و القانون ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الثانية سنة 2003 م.
- علي بن منصور ، نظم الحكم و الإدارة في الشريعة الإسلامية و القوانين الوضعية ، دار الفتح للطباعة و النشر بيروت ، الطبعة الثانية 1971 م .
- الطحاوي ، حاشية الطحاوي على الدر المختار ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية 1996م .
- الجويني ، غياث الأمم في التياث الظلم ، تحقيق عبد العظيم الديب ، مكتبة إمام الحرمين ، الطبعة الثانية 1401 هـ
- الحصكفي ، الدر المختار شرح تنوير الأبصار و جامع البحار ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، 2002 م ،.
- عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2004 .
- الماوردي ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، دار الحديث – القاهرة .

- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، نؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ، 2005 .
- ابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار (المعروف بحاشية ابن عابدين) ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض ، عالم الكتب ، 2003 .
- ابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- شمس الدين الرملي نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: ط أخيرة – 1404هـ/1984م
- أحمد عبد الله مفتاح ، نظام الحكم في الإسلام ، دار التوزيع و النشر الاسلامية ، مصر ، القاهرة ، طبعة 2003
- ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق يوسف بن أحمد البكري و شاكر بن توفيق العاروري ، رمادي للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى 1997 .
- ابن العربي المالكي ، أحكام القرآن ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة 2003 .
- محمد فاروق النبهان ، نظام الحكم في الإسلام ، مطبوعات جامعة الكويت عام 1972 .
- سليمان الطماوي ، السلطات الثلاثة في الفكر السياسي الإسلامي و الأنظمة المعاصرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة السابعة .
- محمد الحجوي ، المرأة بين الشرع و القانون ، مؤسسة مودة للتنمية الأسرية ، دار سلسبيل ، المغرب ، الطبعة الأولى 2016 .
- أحمد فتحي بهنسي ، الموسزعة الجنائية في الفقه الاسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، طبعة 1991م

- ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام ، تحقيق محمود شاكر و أحمد شاكر ، دار المعارف مصر .
- محمد الغزالي ، السنة النبوية بين أهل الفقه و أهل الحديث ، دار الشروق الطبعة 04 .
- البخاري ، صحيح البخاري ، شركة الشهاب الجزائر ، الطبعة الأولى 1991م.
- أبو داود ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية،صيدا – بيروت .
- البيهقي ، السنن الكبرى ،، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 .
- أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة لبنان ، الطبعة الأولى 1998م
- الهيثمي ، مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، 2001 .
- السيوطي ، تدريب الراوي ، تحقيق عبد الوهب عبد اللطيف ، دار إحياء السنة ، الطبعة الثانية 1399 هـ .
- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الرسالة دمشق سوريا ، طبعة 1999م .
- محمد الشافعي أبو راس ، نظم الحكم المعاصرة – دراسة مقارنة في أصول النظم السياسية – ج 01 النظرية العامة في النظم السياسية ، عالم الكتاب ، القاهرة
- ثروت بدوي ، النظم السياسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1972 .
- حسان محمد شفيق ، الأنظمة السياسية و الدستورية المقارنة ، مطبعة جامعة بغداد ، 1986

- عادل ثابت ، النظم السياسية ، دار الجامعة الجديدة ، الأسكندرية، مصر ، 2007
- سعيد بو الشعير ، القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة ، النظرية العامة للدولة والدستور ، طرق ممارسة السلطة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ،1986 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر
- أوصديق فوزي ، الوافي في شرح القانون الدستوري ، الجزء الأول ، نظرية الدولة ، الطبعة الأولى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

الصورة النّمطية للمرأة الجزائرية في أعمال الكاريكاتير "أيوب" و"ديلام".

أ/ **بشيري حمزة. أستاذ بحث** "أ"، دائم بمركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران

ملخص:

في هذه الدراسة التي تهتم الإعلام في شقه المكتوب، أي الصحافة المكتوبة والتي حددنا موضوعها في شكل من أشكال التعبير الصحفي وهو الكاريكاتير.هي محاولة لربط مفهوم الصورة النمطية بصفة عامة مع الكاريكاتير، لتكون المرأة الجزائرية هي الموضوع الرئيس في هذا المقال وتصور الكاريكاتيرين الجزائريين لهذه المرأة؟ حيث انطلقنا من المفاهيم العامة للصورة النمطية لكونها تشكل نقطة جد مهمة في صياغة الخبر والتأثير في سوق الصحافة والإعلام والدعاية، فمن تقديمنا لهذا المصطلح حاولنا أن نسقطه على رسومات لنموذجين من الرسامين تم اختيارهم بقصد لتعرف على الصورة التي تم رسماها للمرأة في المجتمع الجزائري التي تعد ركيزة مهمة فيه وتمكنت من اختراق عدة مجالات كانت مقتصرة على الرجال فقط، بل كونت لنفسها صورة مغايرة مكسرة بذلك تلك الصور النمطية المنتجة في واقع آخر.

الكلمات المفتاحية: الكاريكاتير، الصورة النمطية، المرأة، المجتمع، الجزائر.

Résumé: Dans cette étude qui s'intéresse aux medias précisément le journal écrit, on a ciblé la thématique de stéréotype et la femme dans la caricature algérienne, c'est un

essai de faire le lien entre cette forme d'expression écrite (la caricature) et le stéréotype où la femme algérienne est un élément important, cette femme qui devenu engagée, éduqué et imposée son existence dans la société. Alors qu'il y des stéréotypes qui font d'elle un sujet de la caricature soit des stéréotypes produits d'une réalité quotidienne ou autres formés dans d'autres réalités.

Les mots clés : caricature, stéréotype, femme, société, Algérie.

Summary

In this study, which focuses on the media, in particular the written journal, we have targeted the stereotype theme and the woman in the Algerian caricature, it is an attempt to make the link between this form of written expression (caricature) and the stereotype where the Algerian woman is an important element, this woman who became engaged, educated and imposed her existence in society. While there are stereotypes that make it a topic of caricature either stereotypes produced from a daily reality or others formed in other realities.

Keywords: cartoon, stereotype, woman, society, Algeria.

المقدمة:

تعدُ الدراسات حول الإعلام من الدّراسات المهمّة، إذ نلاحظ كما كبيرًا من المقالات والكتب التي تصدر يوميا عبر مختلف دور النشر العالمية، بالمقابل هناك نقص كبير في الإنتاج المعرفي على المستوى الوطني. فالكتابات الأكاديمية الجزائرية تتباين اشكالاتها، فالمقالات والكتب والأطروحات متواضعة الكم، بحيث لا ترقى إلى التعبير عن الواقع وعن قضايا الإعلام الجزائري ذات الارتباط بالمواطن وحياته اليومية. وإن

كانت أغلب هذه الدراسات–بشكل عام– تتمحور في المواضيع الإعلامية أو القانونية للإعلام، أما المواضيع التي تنضوي تحته فهي نادرة ومنها موضوع الكاريكاتير الذي يعالج مختلف قضايا المجتمع. هذا الشكل من التعبير الذي يدخل ضمن خانة الفن لكونه يحمل لمحة جمالية تجعل القارئ ينجذب نحوه، فهو يحتوي على رسومات مختلفة وتقنيات مرتبطة بالفن التشكيلي، وبالرغم من ارتباطه بالإعلام إلا أنه يبقى في سياقه العام عبارة عن فن. ولكون الفن ارتبط منذ القديم بالمجتمع وأخذ منه وأثَر فيه يمكننا في هذا المقال أن معالجة موضوع التنميط في الكاريكاتير.

عرف الإعلام تطوراً كبيراً وتمكَن من التحوّل إلى قوة تتحكم في خلق الرأي العام وتوجيهه، وأصبح يُنعت اليوم بصناعة الإعلام التي تندرج في ظل مخططات الدول والسياسات المستقبلية. من أجل ضمان الدفاع عن المصالح وتوسيع المكتسبات وكذا الحفاظ على الاستقرار الداخلي.إن وسائل الإعلام في صناعتها للرأي العام تعتمد على صناعة الصور النمطية للآخر التي تهدف إلى تقديم صورة مقصودة وتحقق نتيجة معينة تصب في مصالح محددة.

لم يخرج الإعلام الجزائري عن هذه المعادلة، فمنذ الاستقلال ونحن نشاهد ونقرأ عن بعض النماذج التي تنحصر في شخصيات "منمذجة"، ففي السينما نجد شخصية "بوبقرة" التي جسدها الفنان حسن الحسني، وفي الحصص التربوية الترفيهية للأطفال نجد شخصية «حديدوان » و "مَا مسعودا"1 ، وهي شخصيات شعبية ظهرت في الأعمال السينمائية والتلفزيونية. أما في الصحافة المكتوبة – وخصوصاً الرسم الكاريكاتيري– فنجد عدة شخصيات. ولنا في الرسام سليم المثال،إذ عبر عن ذلك في رسوماته الكاريكاتيرية "زينة وبوزيد"2.

بعد تأميم الصحف الموجودة في الجزائر سنة 1963 التي كانت مسيرة من طرف الفرنسيين ووضعها تحت تصرف الدولة مع باقي الصحف العمومية، تمت عملية إلغاء المراسيم والقوانين المسيرة للصحافة في الجزائر سنة 1967، وكان الهدف الرئيسي هو إعادة بناء الهوية الجزائرية، بحيث أصبحت الصحافة الجزائرية الصحافة تجنديه وتعبئيه1 الهدف منها بعث الهوية الوطنية وترسيخ مفاهيم النظام الاشتراكي، ولم تعرف الصحافة المكتوبة أي قوانين بعد تلك التي سبق ذكرها إلا في سنة 1982م بعد صدور قانون الإعلام الذي وسَع من دائرة الحريات، لكن لم تتمكَن الصحافة المكتوبة من الحصول على مجال واسع من حرية التعبير إلى غاية أحداث أكتوبر 1988م وصدور دستور1989م،

الذي أكدّت المادة 40 منه بالسماح "بإنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي"، ثم لحق به قانون الإعلام لسنة 1990م والذي ضمنت المادة 02 منه حق الإعلام وحريته2. بعد ذلك أدخلت عدة تعديلات على قانون الإعلام وآخره قانون الإعلام لسنة 2012م. هذه عبارة عن لمحة عن تطور الإعلام في الجزائر وخصوصاً الصحافة المكتوبة التي عرفت عدة عقبات وحواجز أخّرت تطور حرية التعبير ونقل الصحافة الجزائرية من المستوى المحلي إلى المستوى الدولي. وهي الآن تتماشى مع تطور النظام السياسي وحركيته نحو الديمقراطية، فالكثير من الدارسين للإعلام والصحافة يعتبرون ظهور صحافة مكتوبة حرة مرتبط تاريخيا ببناء نظام سياسي ديمقراطي3.

عالجت الصحافة المكتوبة عدَة قضايا وقدِمت عدَة مواضيع بصورة محدودة وممنهجة، وسنتطرق في هذا المقال إلى واحدة منها وهي صورة المرأة في الكاريكاتير الجزائري. فكيف يمكن الحديث عن صورة نمطية للمرأة في أعمال الكاريكاتير الجزائري بوصفه فناً تشكيلياً وحاملاً لرسالة إعلامية الهدف منها صياغة الرأي العام؟

أولا: الصورة النمطية:

التنميط أو الصورة النمطية، أو القوالب، وهي مصطلحات ليست مختلفة أو متباينة، بل تعبر عن مفهوم واحد، إذ نستعمل في هذا المقال مصطلح الصورة النمطية الذي هو واحد من بين عدة ترجمات لمصطلح"stéréotype" لورده بهذه الصيغة عند أوائل العرب من كتب

في هذا الموضوع كإدمون غريب، هشام شرابي، إدوارد سعيد، مخائيل سليمان. يرجع أصل استخدام الـ "stéréotype " إلى عالم الطباعة، فهي تعني الصفيحة المعدنية المطبوعة التي تصب في قالب أو آلة سباكة طباعية. ثم يتم استخدام القالب في إنتاج السطور المطبوعة التي يمكن استخدامها آلاف المرات من دون الحاجة إلى إعادتها، يعتبر الصحفي الأمريكي والتر ليبمان أول من استخدم هذا المصطلح، بوصفه مفهوم يراد به القول "إن الشعور الوحيد الذي يحمله أي شخص حول حدث لم يُجَربه هو شعور نابع من تصوَره الذهني للحدث وأنَ ما يقوم به لا يَعتمد على معرفة معينة أو مباشرة بل على صورة صنعها أو أعطيت له

يُعرَف غردو ناليوت الصورة النمطية بأنها "اعتقاد مبالغ فيه يرتبط بفئة، وظيفته تبرير السلوك إزاء تلك الفئة ويعرفها بعض الباحثون بأنها " رأي ثابت ذو طبيعة تقييمية وتعميمية، يشير إلى فئة من الناس، الذين يجدهم متشابهين ضمن اعتبار معين"4 .

ثانيا: الفرق بين التنميط والتصنيف:

يرتكز الفرق بين التنميط والتصنيف أساسا على خلوِّ التصنيف من حُكْم القيمة، فعندما نقول:"الجزائريون" أو "التونسيون"، فهذا تصنيف، لكن بمجرد الانتقال إلى الأحكام القيمية نكون قد انتقلنا إلى التنميط كالقول: بأن "الأوربيين أذكياء" أو "الأفارقة كسالى". ويُسْهم كل من التصنيف و العَزْوُ بشكل كبير في رسم الصورة النمطية أو عملية التنميط، لحدَ أن

بعض الباحثين يرون فيه شكل من أشكال السلوك التصنيفي، حيث تستخدم سمة أو صفات مفردة لاستنباط مجموعة من التوقعات أو الصفات المعزوة، التي تكون بسيطة جداً إلى درجة يَصْعُب معها وصفُ المجموعة المعينة (أو عضو من أعضاءها) بدقة، وفي ذات الوقت فهي مُعَمَمة بصورة واسعة على الأفراد حد الافتقار إلى قدر من الصحة، هذا إلى جانب ارتكاز عملية التنميط على التعميم، كتعميم الذكاء على كل الأوربيين والكسل على كل الأفارقة.

نجد في المصطلحات بعض التقارب بين مفهوم الصورة النمطية والأحكام المسبقة، فالأحكام المسبقة هي: مواقف سلبية أو إيجابية تُتَخذ تجاه شخص أو جماعة، بحيث يصعب تصحيحها بسبب الجمود والشحنات الانفعالية حسب تعريف الباحث الألماني أيريل ديفيس، وبذلك تدخل الأحكام المسبقة في نسيج وتكوين الصورة النمطية. يُعد والترليبمان أول من طرح مفهوم الصورة النمطية، ومع أنّه صحفي أمريكي إلا أنه اهتم بالفلسفة والسياسة، ويعد كتابه "الرأي العام" الذي حاول فيه الإجابة على الأسئلة التي أثارتها الحرب العالمية الأولى من بين أشهر مؤلفاته.

لم يعد مصطلح الصورة النمطية مرتبطا بالصحافة بل انتقل إلى ميادين أخرى، وكانت الدراسات الاجتماعية من أولى الحقول التي انتقل إليها المفهوم. وانصبت الدراسات والبحوث الاجتماعية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن المنصرم بشكل أساسي على الصورة النمطية العرقية (من العرق)، كاستجابة مباشرة للصراعات والتعصب العرقي الذي كان

سائداً في تلك الفترة خصوصاً في الولايات الأمريكية كما ظهر كذلك في الفنون على نحو الرسم والنحت والموسيقى.

كان الهدف من الصورة النمطية تقديم نموذج سلبي ثابت عن الأعداء (من وجهة نظر الجهة التي تُنتقد)، لتقوية معنويات الشعوب ومهاجمة الطرف الآخر عن طريق التقليل من شأنه ونعته بصفات سلبية، على نحو المكر والخداع أو الجبن وغير ذلك من الصفات السلبية. بحيث ترسخ هذه الصفات في ذاكرة الفرد وتصبح هي الصورة الوحيدة التي يحتفظ بها تجاه غيره. كان لوسائل الإعلام وما يزال الدور الهام والأساسي في ترسيخ مثل هذه الصور النمطية والتي غالباً ما تكون ذات بُعْد عنصري و تمييزي و استعلائي6، وقد برزت بشكل كبير بين الألمان والإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى والثانية. واليوم نجده ضد المسلمين والعرب أو غيرهم من الشعوب التي أُلصِقت بها تهمة الإرهاب والتعصب. ولما كان الكاريكاتير فنَ تعبيري تشكيلي يُعبِّرْ عن تطلعات الشعوب نجد أنّ المجتمعات العربية تجد لنفسها في هذا الميدان مساحة واسعة، حيث ظهر الكثير من الكاريكاتيرين العرب الذين أبدعوا ولا يزالون في هذا الميدان، إذ لا يتسع المجال لذكرهم لكون شهرتهم لا تكاد تخُفى على من يهتم بالصحافة والكاريكاتير7.

فقد عالجوا الكثير من المواضيع التي تمس بشكل كبير مجتمعاتهم بمختلف الشرائح والفئات، كما عالجوا جل القضايا التي أفرزها المجتمع. ومن بينها موضوع المرأة في المجتمعات العربية والصورة التي يحملها الكاريكاتير والفرد العادي في هذه المجتمعات هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ وسائل الإعلام العالمية تقدّم لنا صورة نمطية عن المرأة العربية المسلمة عامة والمرأة الجزائرية خاصة. هذا النّوع من الصّور النّمطيّة يمثّل شكلاً من الأشكال الجديدة التي ظهرت بعد الحرب الباردة، حيث اتجه الإعلام الغربي نحو العرب والمسلمين لخلق صور نمطية عنهم تخدم مصالحه. يعتبر بروز الإعلام وسيلة من وسائل التحكم والسيطرة على العالم. لذا فإنّ السّياق الإعلامي إذا ارتبط بهدف الترويج للصّور غير الواقعية عن المرأة في المجتمعات الإسلامية والعربية فإنها تصبح عبارة عن "كليشي" له أهداف إعلامية تخضع لأيديولوجيات وأبعاد ذات طابع سياسي، ونظرة ذاتية خالية من الموضوعية.

ثالثا: الكاريكاتير والتنميط:

يبدو الأمر مخالفاً في حالة طرح هذا الموضوع على الصّحافة الجزائرية وبالأخص الكاريكاتير المنتَج في الصحف اليومية الجزائرية،

ومن هنا يمكن طرح التساؤل التالي: كيف يمكن الحديث عن صورة نمطية للمرأة في الكاريكاتير الجزائري؟ بمعنى هل يمكن القول أن رسام الكاريكاتير الجزائري سقط في فخ التنميط اتجاه المرأة؟

ننطلق من موضوع المرأة الذي عولج كمادة في الكاريكاتير من طرف كثير من الغربيين الذين قدموا دراسات من أشهرها دراسة قوستاف سنة 1907م، كما نجد دراسات أخرى حول المرأة تناولت قضايا شتى منها الموضة والتغيرات التي عرفتها المرأة في أوروبا وأمريكا الشمالية. أما في الدراسات العربية فهناك الكثير منها ولكنها تنحو نحو دراسة المرأة في الإعلام العربي أو في التلفزيون أو على ألواح الإشهار، تلتها دراسات أخذت بُعد "الجندر" أو "النوع الاجتماعي"8 .

في محاولتنا للإجابة عن هذا التّساؤل نعمد إلى صياغة فرضيتين: الأولى مفادها أن الرسام الكاريكاتيري يحاول تقديم صورة نمطية مصاغة سلفاً، من أجل خلق صورة معينة في ذهن القارئ ومنه ترسيخ صورة مقصودة عن المرأة الجزائرية، هذه الصورة مستوحاة من خارج تمثلات المجتمع الجزائري عن المرأة الجزائرية ونشير إلى وجود فرق بين التمثلات والواقع.

أما الفرضية الثانية: فتتمثل في أن الصورة المقدمة من طرف الكاريكاتيري هي انعكاس لصورة المرأة في المجتمع الجزائري، الأمر الذي يجعل عمل الكاريكاتيري انعكاس لهذه الواقع فقط.

وبالتالي سيتم معالجة موضوع المرأة في الرسم الكاريكاتيري وفق عدة مستويات، المستوى الأول، وهو مستوى التمثلات–أي تمثلات الرسام والمجتمع للمرأة–، والمستوى الثاني خصوصيّة المرأة الجزائرية عن باقي النّساء في الوطن العربي من حيث التقديم والرسم.

ومنه، فإن موضوع المرأة من المواضيع التي لقيت اهتماماً من طرف الرسامين الكاريكاتيرين في الصحف الجزائرية، بحيث ظهرت في أعمالهم إما موضوعاً مستقلاً، أو جزءً داخل العمل لكاريكاتيري. وينسحب هذا الأمر على أعمال كل الكاريكاتيرين سواء في الصحف العمومية أو الصحف المستقلة. تهتم كلالصّحف سواء النّاطقة بالعربية أوالنّاطقة بالفرنسية بأعمال كاريكاتيرية. وهناك بعض الكاريكاتيرين الذين يضيفون النّص إلى الرسم الذي يكون عادة باللّغة العربية أو الفرنسية التي تتخلّلها بعض العبارات الدّارجة.

وبما أنّ للّغة تأثير في الوسط المُعاش للفرد فهي تؤثّر في أعمال الرسّام الكاريكاتيري، لكونها مشحونة بالأفكار وبالإيديولوجيات فتطغى بذلك على أيّ فن. ومادامت نظرة كل رسّام كاريكاتيري مختلفة عن غيره فسنقدّم بعضالمتغيّرات التي نرى لها أثرًاعلى أعمال الرسّام الكاريكاتيري، كما نجد من ناحية أخرى أن كلا من الخط الافتتاحي للجريدة ومدرسة الرسّام الكاريكاتيريعاملان لهما الأثر الكبير في العمل الكاريكاتيري وتصوّره للمرأة.

أولاّ: الخط الافتتاحي للجريدة الذي يعبر عن توجهّها العام كما يحدّد مسارها المهني وآراءها اتجاه القضايا السياسية والاجتماعية الوطنية و الدولية.

ثانيا: السّياق الذي يطرح فيه موضوع المرأة وارتباطه مع الحدث ومدى تأثيره على القارئ، كتصادف الرسم مع الثامن من مارس أو نشاط حزبي أو جمعوي ملفت للانتباه. ويمكن أن نضيف عاملا ثالثايكمن في شخصية الرسام الكاريكاتيري في حد ذاته.

بالرغم من أنّ أغلب الرسّامين الكاريكاتيرين الجزائريين –سواء في الصّحف العمومية قبل سنة 1988م وبعدها في الصحف المستقلة– عالجوا موضوع المرأة بمختلف وجهات النظر وأولوه اهتماما كبيراً في أعمالهم، ويبقى الفرق بين الأعمال قبل هذا التاريخ وبعده هو ما ترتب عنه من إصلاحات وتغيرات3 ، وتظهر هذه التغيرات على عدة مستويات. فعلى المستوى الفني برزت عدة مدراس فنية في أعمال هؤلاء الكاريكاتيريين، كما أصبح الرسام أكثر جرأة في تقديم العمل. إلا أننا سنكتفي بدراسة أعمال رسامين اثنين فقط كنموذج للدراسة. وهما الرسام الكاريكاتيري ايوب9 من جريدة (الخبر) الناطقة بالعربية. والكاريكاتيري ديلام من جريدة (ليبرتي) الناطقة بالفرنسية، يعود سبب اختيار هذان الرسامان لكونهما يملكان رصيداً معتبراً من الأعمال وزاول كل منهما عمله في الجريدة ذاتها لفترة زمنية معتبرة.

ومن جهة أخرى نجد أنفسنا أمام نموذجين مختلفين من حيث اللغة ومن حيث طريقة الرسم، كون أيوب ينتمي إلى مدرسة تختلف عن المدرسة التي ينتمي إليها ديلام، فأيوب يتجه نحو مدرسة الرسام العربي ناجي العلي10 أما ديلام فهو متأثر بالمدرسة الفرنسية للكاريكاتيري بلانتو11.وهنا تكمن المفارقة في الرسم وفي الصورة المقدمة عن المرأة في أعمالهما.

إذا كان الكاريكاتير عبارة عن تمثلات فهو يعبر عن رغبة المجتمع ويحمل في ذاته الاستهزاء والضحك والإلهاء. والمرأة من بين المواضيع التي كانت لها عدة تمثلات في المجتمع الجزائري.إن أي لكلّ مجتمع خصائصتميزه عن باقي المجتمعات، وإن كان يبدو في الظاهر متشابها مع غيره، فالمجتمع الجزائري من خلال مسار تكونه والظروف التي نشأ فيها تمكن من تكوين خصائص ينفرد بها. ولا يمكن تجاوز التحليل النفسي للرسام الكاريكاتيري وتكوين شخصيته وتأثير ذلك على المادة المنتجة والفكرة التي يحملها. فمعنى الكاريكاتير لا يكمن فقط في الرسم، بل في النص الذي يحمله، فعن طريق النص والرسم نفسر الكاريكاتير. ونحتاج إلى معلومات كثيرة من نصوص متعدّدة لفهم الصورة الكاريكاتيرية.

وللإشارة فالكاريكاتير الجزائري عرف مراحل متباينة من التطور، وشهد مجموعة من الرسامين الذين عملوا على تقديم كاريكاتير يعبر حينا عن رغبة السلطة السياسية ويقصد بها الدولة وأيديولوجيتها في مرحلة ما بعد الاستقلال والسبعينات، وحتى مع الانفتاح الديمقراطي، بالرغم من محاولة الكاريكاتير تبني رغبة الشعب أو المواطن البسيط، إلا أن ظل السياسة وهيمنة الدولة على توجهات الكاريكاتيريين بقي متواجدا لعدة أسباب منها باختصار قصر التجربة الإعلامية في الجزائر، وارتباط وسائل النشر بالدولة، وتحكم الأطراف الخفية في السياسيات العامة.

في هذه الدراسة نعمد إلى جمع عدد هام من الرسومات الكاريكاتيرية التي عالجت موضوع المرأة خلال مدة زمنية متباينة ونأخذ بعين الاعتبار ظهور المرأة في الرسم كعامل أساسي، ثم نحلل الرسم على طريقتين: من ناحية تحليل المضمون أي الخطاب الذي يحمله الرسم على نحو النص والرسم، ومن ناحية أخرى محاولة الارتكاز على التحليل السيميائي للنص والرسم.

لا يمكن في هذه الحالات أخذ عدد كبير من الرسومات التي تعد بالمئات ولكن تم الاعتماد على الطريقة العشوائية في اختيار العينة الخاصة بالبحث واختيارنا لنموذجين للتحليل لا يعني أن النتائج تنطبق على كل أعمال الرسامين الكاريكاتيريين ولكن هي محاولة لكي يكون النموذجين تمثيليين.

رابعا: نماذج التحليل:

سننطلق من النموذج الأولالذيتمثله الصورة التي يقدّمها الكاريكاتير الجزائري عن المرأة، حيث قمناباختيار أعمال الرسام أيوب (المرأة الريفية أو المرأة التقليدية الحكيمة، المرأة الضحية...) والتي تحاول أن تعكس الواقع المعاش، وإسقاط صورة المرأة وسط المجتمع الجزائري ذو الطابع الذكوري4 الذي يرتكز في تسيير فئاته من منطلق السلطة الأبوية. ضمن التعاقد الخفي بين المرأة والرجل. لا ينطلق أيوب في عمله من فراغ، بل يستوحي جزءً من أعماله من أعمال سابقة في الميدان وكان لها تصور حول المرأة والصورة النمطية التي يمكن أن يقدمها أي رسام كاريكاتيري جزائري. هذه الصورة التي تحن إلى الماضي من خلال بعض الرسومات للمرأة الجزائرية في الريف أو كما كانت في الماضي، أي نوع من النوستالجيا ما يعرف بالحنين إلى الماضي، والتطلع للمستقبل ومعالجة الحاضر المتعلمة التي تساير العصر، والعمل على الدفاع عن نموذج محلي بعيد عن الحداثة أو العصرنة الأوربية أو التعصب السلفي الذي يظهر من خلال اللباس الخاص بتلك الفئة، والذي يعتبر لباسا دخيلا على المجتمع الجزائري ومثله اللباس الأوربي الذي لا يمثل التقاليد والعادات الجزائرية، ومن هنا نجد الرسام عندما يحاول تقديم المرأة النموذج عن الوطنية يقدمها في لباسها المحلي الجزائري.

فمثلا النموذج الثاني ديلام يقدم لنا المرأة في صورة مغايرة للصورة السابقة من حيث طريقة الرسم والنص، فهو يحاكي نوعا ما الصورة المقدمة عن المرأة في المجتمع الغربي وفي فرنسا بالأخص وذلك في المرحلة الحالية، مع ارتفاع موجة الحديث عن الجلباب والبرقع وغير ذلك من السلوكيات التي شهدتها فرنسا وأثارت الجدل حول عدة قضايا، فهو يقدم لنا صورة نمطية لهذه المرأة التي يعتبر أنها قد سقطت في حصار السلفية والتشدد،ونجد صورة المرأة المقدمة في رسوماته والتي تعبر عن الجزائر، أي أنها الجزائر في عدة أشكال ونماذج. فهي إما تقليدية في لباس تقليدي:"الحايك" أو رجعية في لباس "سلفي" بالمفهوم المعاصر والضيق" أو على النمط الأوروبي. وهنا يمكن طرح بعض التساؤلات على نحو: لمن يرسم الكاريكاتيري؟ ما هي الفئة التي يوجه لها الرسم؟ من خلال هذا التساؤل يمكن الإجابة عن صورة المرأة في أعمال الكاريكاتير ديلام الذي يرسم بشكل عام لفئة معينة من المجتمع الجزائري، وهي الفئة الفرانكفونية التي غالباً ما تحمل صورة نمطية عن المرأة الجزائرية –كما سبق القول– مستوحاة من الصور النمطية التي رسمتها الصحافة الأوربية والفرنسية بالخصوص، ولذلك نجد في رسوماته محاكاة لأعمال بعض الرسامين الكاريكاتيريين الغربيين والفرنسيين منهم.

إن الفئة التي توجّه لها الرسالة –من قراء الجريدة– تفرض نوعا من الضغط على الرسام فيبغي مسايرة القراء وتقديم النموذج الذي يرضيهم، فنجده يكثر من تقديم المرأة الجزائرية المسلمة في طابع سلفي متشدد على النحو الموجود في بعض الدول الأخرى، ولكن الأمر ليس سيان، فبالرغم من تواجد الأفكار السلفية إلا أن المجتمع الجزائري يختلف عن أي مجتمع عربي آخر ولو بدا للوهلة الأولى أنهما متشابهان، وهنا يقع الرسام الكاريكاتيري في فخ التنميط والقولبة والترويج لأفكار غير متطابقة مع واقعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجده يسعى لتقديم نموذج آخر يعبر عن المرأة الجزائرية الأصيلة في لباسها التقليدي.

1– النماذج وخصائص الصورة النمطية للمرأة المقدمة من طرف أيوب وديلام: هناك عدة متغيرات تظهر في تقدير المرأة في أعمال الكاريكاتيرين: السن أو الفئة العمرية المقدمة، الحالة المدنية للمرأة: متزوجة، أرملة، مطلقة، عانس...، الحالة التعليمية أو المستوى التعليمي على نحو: متوسطة المستوى، جامعية، أكاديمية. الحالة الاجتماعية: من وسط المدينة أو الريف، الفئة الاجتماعية والمقصود بها المكانة الاجتماعية التي يبرزها الكاريكاتيري على نحو الفئة الغنية المتفتحة أو الفئة "المتواضعة"، أو الفئة الفقيرة أضف. إلى ذلك التمثل الاجتماعي للمرأة وسط فئة معينة من فئات المجتمع.

2– المرأة داخل المنزل والمرأة خارج المنزل: الأم، الزوجة، الحماة، البنت، الجارة.....

3- المرأة خارج المنزل أي المرأة العاملة: المرأة المتحجبة(الحجاب العادي، الجلباب)المرأة بدون حجاب.

4- من حيث الهندام، تقاسيم الوجه.

جدول نماذج صور المرأة حسب الأعمال الكاريكاتيريين المختارين للدراسة:

النماذج	أنماط المرأة		الخصائص
النموذج الأول	المرأة التقليدية	مرأة بلباس تقليدي سواء الحايك أو اللباس التقليدي المنزلي.	الحكمة وحسن التدبير والرأي السديد.
النموذج الثاني	المرأةالعصرية	تظهر رسوماتها عادت في المناسبات السياسية على نحو الحملات الانتخابية والثامن من مارس. متعلمة وموظفة.	لباس عصري، تظهر في المناسبات والتجمعات.
النموذج الثالث	المرأة الرمز	تمثل الجزائر(الوطن) أو الأم.	في المواقف الحرجة، وأثناء الأزمات والصراع بين الجزائريين، اللباس يكون إما تقليدي أو رمزي على نحو ترتدي العلم الوطني.

- **أوجه التقاطع بين أيوب وديلام:**

نجد ثلاث نماذج للمرأة في رسومات ديلام تقليدية وهنا يجب الوقوف عند كلمة تقليدية، أي ما هو المقصود بمصطلح تقليدي، وهو تعبير عن

ذلك النمط من العادات والتقاليد المتوارثة عن الآباء والأجداد، والتي يحاول الأبناء التشبث بها والمحافظة عليها، كشكل من أشكال إثبات الهوية والشخصية[5] إن كلا من الرسامين الكاريكاتيريين يحملان في أعمالهما طابع الفن الكاريكاتيري الجزائري، وإن كان فيه شيء من تأثير المدارس غير جزائرية، لكن اللمسة الجزائرية نجدها واضحة في أعمالهم، كذلك الهوية والثقافة الجزائرية تبدو في الرسم عبر الكثير من الرموز والدلالات والعبارات.هذه الهوية التي يشترك فيها الرسامين.

وفي الأخير يمكن القول أن الرسام الكاريكاتيري في الجزائر، عمل من جهة على الدفاع عن صورة المرأة الجزائرية باعتباره حاملا لفن تشكيلي يمكن أن يفهم عند كل الشعوب، محاولا نزع تلك الصورة القاتمة التي رسمها لها الرسامين الغربيين وللمرأة الشرقية على العموم،إذ صوّرت على أنها ليست أكثر من أداة للجنس والمتعة في عالم ذكوري لا يعترف لها بأدنى الحقوق، بل قدمها الرسام الجزائري في عدة صور منها الأستاذة والمعلمة والطبيبة والسياسية وغيرها من الوظائف الاجتماعية والسياسية التي لا تنقص من شأن المرأة سواء في الجزائر أو غيرها من دول المشرق. ويبقى تأثير السياسي على المثقف والفنان واضحا في اختيار توجهاته الأيديولوجية والسياسية ومواقفه اتجاه حدث أو ظاهرة ما، ولهذا لا يمكن القول بأن الرسام الكاريكاتيري الجزائري صنع لنا صورا نمطية عن المرأة وقدمها في قالب ثابت لا يقبل التغير ولا التبديل، بل أعطى لنا عدة نماذج مختلفة تجعل منه ذا كفاءة عالية في تجاوز التأثير الخارجي ومحاولة وضعه في صف جهة معينة هدفها حصر المرأة

الجزائرية والعربية المسلمة في نموذج واحد لا يقبل التغير، عن طريق التخلي عن باقي النماذج الموجودة في الساحة الاجتماعية.

الهوامش

1- احدادن زهير، "مدخل لعلوم الإعلام والاتصال"، الطبعة الثالثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 64.

-2See C. McCauley, 'Are Stereotypes Exaggerated?', in Y.-T. Lee, l. Jussimand McCauley, Stereotype Accuracy (Washington DC: American Psychological Association, 1995); p 204.

3- احدادن زهير، "مدخل لعلوم الإعلام والاتصال"، الطبعة الثالثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1992 ،ص 64.

4- هشام شرابي، "مقدمة لدراسة المجتمع العربي"، الدار المتحدة للنشر، لبنان (1976)،ص 63.

5- جلبير غرانغيوم،"اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب الغربي"، تعريب محمد أسليم، دار إفريقيا الشرق، الجزائر2009، ص 52.

قائمة المراجع:

01.احدادن زهير، "مدخل لعلوم الإعلام والاتصال"، الطبعة الثالثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 .

02. زبير سيف الإسلام"تاريخ الصحف في الجزائر"،ج 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،.1971

03. في القانون الصادر عام 1990م. نصت عليه المادة 02: "الحق في الإعلام يجسده حق المواطن في الاطلاع بكيفية كاملة وموضوعية على الوقائع والآراء التي تهم المجتمع على الصعيدين الوطني والدولي، وحق المشاركة في الإعلام بممارسة الحريات الأساسية في التفكير والرأي والتعبير طبقا للمواد 35-39-40 من الدستور.

04. احدادن زهير، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثالثة، الجزائر1992م.

05. هشام شرابي، "مقدمة لدراسة المجتمع العربي"، الدار المتحدة للنشر، لبنان.(1976).

06. شوقية هجرس ،"فن الكاريكاتير"، الدار المصرية اللبنانية،2005.

07.جلبير غرانغيوم ،"اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب الغربي"، تعريب محمد أسليم، دار إفريقيا الشرق، الجزائر2009.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

01.Erik neveu,"sociologie du journalisme", édition la découverte, paris,2009.

02.cf. S. Platt, ‘The Right To Be Offensive’, New Statesman, 18 March, 1994.

03.See C. McCauley, ‘Are Stereotypes Exaggerated?’, in Y.-T. Lee, l. Jussimand McCauley, Stereotype Accuracy (Washington DC: American Psychological Association, 1995); see also Stereotypes and Prejudice, ed. by C. Stangor (Philadelphia: Taylor & Francis, 2000),

04.McGarty, R. Spears and V. Yzerbyt, ‘Conclusion: Stereotypes Are Selective, Variable and Contested Explanations’, in Stereotypes as

Explanations, ed. by McGarty, Yzerbyt and Spears (Cambridge: CUP, 2002).

06. Emmanuel Jaurand, Genre et espace : éléments de réflexion, espace et société –UMR6590 CNRS, 2011.

07.Whathappened to Zinadiali ? Gender, polities and humor in Algeria, Willy Jansan, paperprepared for the conferenceTheEverydayFunctioning of Polotic and Dissent in the Maghreb, 21-22 February 2009.

08.Algérie: arts plastiques: Dictionnaire biographique (1900-.05 2010) , Mansour Abrous,

09.JUDITH, 12-E .TUCKER, Women , Family, and Gender in Islamic law ; Cambridge.

الرسم من الموقع التالي:

http://nshr.org.sa/infocenter/?post_type=caricature